عربي مردكات حميد ساث
عربجي كتاب در ثمين

خزو هدهانه مصطفوي ؟ بهول
دعواس
اسحق توشي لهانه اهداي ومخشم

كتاب در الثمين في سيرة نور الدين
عدد ١٩





كتاب الدر الثمين في سيرة نور الدين

تأليف سيدنا الشيخ الإمام العالم
العلامة الهمام الحائز للفضائل على التمام
حجة الإسلام أوحد زمانه وفريد عصره
وأوانه العالي الرتبة أقضى القضاة
بدر الدين بن محمد ابن قاضي شهبة
الأسدي
الشافعي
رضي الله عنهما





كتاب الدر الثمين في سيرة نور الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مالك الممالك، وموضح المسالك، وجاعل العدل نجاة من المهالك، احمده وهو المحمود المالك، واوحده وهو الغني عن المشارك، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الها لم يزل ملكه ولا يفنى، وملكا تخصص بالصفات الحميدة والاسماء الحسنى، حكم فعدل في حكمه، وعلم ما كان وما يكون فلم يخف شيئا عن علمه، واشهد ان سيدنا محمدا عبده ونبيه، ورسوله وصفيه الذي رفع به منار الحق، وارسله رحمة للخلق، وزينه بالصفات الحسان، وانزل عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان، صلى الله عليه وعلى اله الامجاد، وصحبه الانجاد، الذين جاهدوا في الله حق جهاده، واجتهدوا في مصالح عباده، وبسطوا بساط العدل في بلاده، وسلم وكرم، وشرف وعظم، وبعد فان العدل قوام الدنيا والدين، وسبب صلاح المخلوقين، به تالفت القلوب، والتامت الشعوب، ولاح الفلاح، وظهر النور والصلاح

واتصلت اسباب النجاح، وهو احسن ما تزينت به الملوك الذين مكنهم الله في ارضه، واوجب عليهم القيام بفرضه، ولا يوفق الى صراطه القويم، الا من سبقت له العناية في الازل القديم، ويكفي ملوك العدل من مزيد الكرامة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المقسطون على منابر من نور يوم القيامة، وقوله صلى الله عليه وزاده شرفا لديه، احب الناس الى الله وادناهم مجلسا منه يوم القيامة امام عادل، وهو من السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه، يوم لا ظل الا ظله، وعلى الجملة والتفصيل ففي العدل الخير كله، فسبحان من وفق اليه من سبقت له الحسنى، ومن بواه لديه المقام الاسنى، فاضفى عليه من ملابس نعمه الفاخرة، وجمع له بين سعادة الدنيا والاخرة، ولما كان الملك العادل السعيد، نور الدين الشهيد، محمود بن زنكي بن اقسنقر التركي، سقى الله عهده، ووطا في الغزو وسرمهده، وشكر في مصالح الاسلام سعيه الناجح، وثقل بعظيم الحسنات ميزانه الراجح، ممن شاع فضله واشتهر، وداع عدله وظهر، واشرق نور الاسلام بهم

وملكت العدل في الرعايا احسن السلوك، ويسّر الله
ببركة العدل ما عجز عنه عظماء الملوك، احببت ان
اذكر طرفاً من سيرته الفاضلة، واحكامه العادلة ومحاسنه
الظاهرة، واوصافه الزاهرة، المشرقة اشراق الشموس الباهرة،
ليقتدي بها من نظر اليها، ووقف عليها من اعلام
سلاطين الاسلام، الذين كرمت سجاياهم، وشرفت
مزاياهم، ورغبوا في الذكر الجميل، واملوا احسن الجزاء
من الله في الاخرى، ورتبت هذا الكتاب على سبعة
ابواب مشتملة على اوصافه وعدله وانصافه ونعوته
التي فاق بها على الملوك واعماله التي سلك بها على
الملوك من مناهج الرشاد احسن السلوك ... ه

الباب الاول

في ذكر مولده وصفاته وذكر افعاله الدالة على حسن نياته

الباب الثاني

في ذكر عدله الدال على صيانة عقله ووفور كرمه وفضله

الباب الثالث

في ذكر شجاعته وشهامته ونجدته وصولته وتوقع عزمه وحسن رايه وحزمه

الباب الرابع

في ما فعله في بلاد الاسلام من المصالح والمساعي الكفيلة
بالمناجح وما ادخل على المسلمين من المسار وعمهم به من المبار

الباب الخامس

في زهده وورعه وعبادته ودينه وعلمه المكمل
لسيادته الشاهد بتاطيد دعايم سعادته ه

الباب السادس

في نبذة مما مدح به من الاشعار الفايقة والقصايد
البديعة الرايقة ... ه

الباب السابع

في ذكر غزواته العديدة وفتوحاته السعيدة وما
جرى في زمانه من الامور الغريبة والحوادث العجيبة
وسميته الدر الثمين في سيرة نور الدين
والله الموفق للصواب المرجو لحسن الثواب
وهو المؤمل لصلاح الاحوال في تسديد الافعال والاقوال

الباب الاول

في ذكر مولده وصفاته وذكر افعاله الدالة على حسن
نياته ولد نور الدين ابو القاسم محمود بن
الاتابك عماد الدين زنكي بن اقسنقر التركي
السلجوقي مولاهم يوم الاحد عند طلوع الشمس
سابع عشر شوال سنة احدى عشرة وخمسمائة بحلب

ونشا على الخير والصلاح وقراءة القرآن والعبادة
وقلة المخالطة للجند وكان ابوه يقدمه على بقية
اولاده ويرى فيه مخايل النجابة وكان معتدل القامة
اسمر اللون واسع الجبهة حسن الصورة لحيته شعرات
في حنكه ولما توفي والده في سنة احدى واربعين
وبلغ اسد الدين شيركوه وفاته ركب من ساعته
وقصد خيمة نور الدين واشار عليه بالتوجه الى حلب
وان يجعلها كرسي مملكته وذكر له انه اذا ملك حلب
اجتمع في خدمته عساكر الشام وقال له انا اعلم
ان الامر يصير جميعه اليك لان ملك الشام يحصل
بحلب ومن ملك حلب استظهر على بلاد الشرق
فركب وامر ان ينادي بالليل في عساكر الشام
بالاجتماع فاجتمعوا وساروا في خدمة نور الدين
الى حلب فدخلها سابع ربيع الاول وجاء اسد الدين
الى تحت القلعة ونادى واليها ففتحها واصعد
نور الدين اليها وقرر امره ومشى احواله
ثم ان نور الدين خرج غازيا ففتح حصونا
كثيرة قال ابن عساكر فتح نيفا وخمسين حصنا
وكسر ابرنس انطاكيه وقتله وقتل معه ثلاثة الاف

نفس واخذ من القومص ثلثماية الف دينار
وخمس ماية زرديه وخمس ماية حصان وخمس
ماية اسير وقال ابن الجوزي استرجع من
ايدي الكفار نيفا وخمسين مدينة وكان نذر (عزم)
على فتح القدس فوافته المنية وخطب له بالحرمين
الشريفين مكة والمدينة وبلاد الشام ومصر واظهر
السنة بحلب وازال البدعة التي للروافض
في الاذان بحي على خير العمل وقمع بها الرافضة
وبنى بها المدارس ووقف الاوقاف واظهر
العدل وبنى سور دمشق وبنى بها المدارس
والمساجد واصلح طرقها ووسع اسواقها واسقط
جميع المكوس وعاقب على الخمر وكان في الحرب
ثابت القدم حسن الرمي صليب الضرب يتقدم
اصحابه في الحرب ويتعرض للشهادة ويسال
الله ان يحشره في بطون السباع وحواصل الطيور
ووقف اوقافا على المرضى والمجانين وبنى المكاتب
لليتامى وبنى المارستان بدمشق ووقف على
سكان الحرمين واقطع امراء العرب الاقطاع لئلا
يتعرضوا للحجاج وامر باكمال سور المدينة واجرى اليها العين

التي باحد عند قبر حمزة رضي الله عنه وهي الربط
والجسور والخانقات والقناطر وجدد كثيرا من
قني السبيل في دمشق وغيرها من البلاد التي ملكها
ووقف كتبا كثيرة في مدارسه وله اوقاف دارة على
جميع ابواب الخير وكان الجامع الاموي قد دثر فولى
نظره لقاضي القضاة كمال الدين الشهرزوري فاصلح
اموره وفتح المشاهد الاربعة وكان حاصل الجامع
بها من حين احترق سنة احدى وسبعين واربعمائة
واضاف الى اوقاف الجامع المعلومة الاوقاف التي لا
تعرف شروط واقفيها وسماها مال المصالح ورتب عليها
لذوي الحاجات والفقراء والمساكين والارامل والايتام
وما اشبه ذلك وفتح بدمشق باب الفرج ولم يكن قبله
هناك باب بالكلية واغلق باب كيسان وكان رحمه الله
حسن الخط كثير المطالعة للكتب الدينية متبعا للآثار
النبوية مواظبا على الصلوات في الجماعات عاكفا على
تلاوة القرآن حريصا على فعل الخير عفيف البطن والفرج
مقتصدا في الانفاق متحريا في المطعم والمشرب والملبس
لم يسمع منه كلمة فحش قط لا في رضاه ولا في غضبه
واشهى ما يكون اليه كلمة حق يسمعها وارشاد الى سنة

يتبعها ولو لم يكن من حسن خصاله الا ما علم منه
وشاع انه اذا وعد وفا واذا اوعد عفى واذا
تحدث بشي يقف عليه ولا يخالف قوله ولا
يجري في مجلسه الفسق والفجور والشتم والغيبة والقدح
في الناس والكلام في اعراضهم كما يجري في مجالس
الملوك ولا يطمع في اخذ اموال الناس قال ابو الحسن
بن الاثير قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل
الاسلام ومنه الى يومنا هذا فلم ار فيه بعد الخلفاء
الراشدين وعمر بن عبد العزيز ملكا احسن سيرة
من الملك العادل نور الدين ولا اكثر تحريا للعدل
والانصاف منه قد قصر ليله ونهاره على عدل
ينشره وجهاد يتجهز له ومظلمة يزيلها واحسان
يوليه وانعام يسديه فلو كان في امة لافتخرت
به فكيف ببيت واحد ه

الباب الثاني

في ذكر عدله الدال على رضانة عقله ووفور كرمه
وفضله قال ابن الاثير وفي الحقيقة هو الذي جدد
للملوك سنة العدل والانصاف وترك المحرمات من المأكل
والمشرب والملبس وغير ذلك فانهم كانوا قبله كالجاهلية

همّ احد منهم بطنه وفرجه لا يعرف معروفا ولا ينكر
منكرا حتى جاءه الله بدولته نوقف مع اوامر
الشرع ونواهيه والزم بذلك اتباعه وذويه فاقتدى
به غيره منهم واستحيوا ان يظهر عنهم ما كانوا يفعلونه
ومن سن سنة حسنة كان له اجرها واجر من
عمل بها الى يوم القيامة وكان رحمه الله احسن
الملوك سيرة واعدلهم حكما فمن عدله انه لم يترك
في بلد من بلاده ضريبة ولا مكسا ولا عشرا بل
اطلقها جميعها في بلاد الشام والجزيرة والموصل
واعمالها وديار مصر وغيرها مما حكم عليه وكان يتحرى
العدل وينصف المظلوم من الظالم كائنا من كان
الضعيف والقوي عنده في الحق سوا وكان يسمع
شكوى المظلوم ويتولى كشف حاله بنفسه ولا يكل
ذلك الى حاجب ولا امير فلا جرم سار ذكره في
شرق الارض وغربها ومن عدله انه كان يعظم الشريعة
المطهرة ويقف عند احكامها ويقول نحن شحنة
لها نمضي اوامرها فمن اتباعه انه كان يلعب بدمشق
بالكرة فراى انسانا يحدث اخر ويومي بيده اليه
فارسل اليه يسأله عن حاله فقال لي مع الملك العادل

حكومة وهذا غلام القاضي ليحضرني الى مجلس الشرع
يحاكمني على الملك لقلاية فعاد اليه ولم يتجاسر يعرفه
ما قال ذلك الرجل ثم لما الح عليه في السؤال ذكر له
قوله فالقى الجوكان من يده وخرج من الميدان وسار
الى القاضي وهو حينئذ كمال الدين الشهرزوري
وارسل الى القاضي يقول له انني قد جئت محاكما
فاسلك معي ما تسلكه مع غيري فلما حضر ساوى بينه
وبين خصمه وتحاكما فلم يثبت عليه حق وثبت الملك
لنور الدين فقال نور الدين حينئذ للقاضي ولمن
حضر هل ثبت له حق عندي قالوا لا فقال اشهدوا
على اني قد وهبت له هذا الملك الذي حاكمني عليه
وقد كنت اعلم انه لا حق له عندي وانما حضرت
معه لئلا يظن بي اني ظلمته فحيث ظهر ان الحق
لي وهبته له وهذه غاية العدل بل غاية الفضل
وهي درجة فوق درجة العدل فرحم الله تلك النفس
الزكية الطاهرة المنقادة الى الحق الواقفة معه
قال ابن الاثير وهذا مستكثر من ملك متاخر بعد
فساد الازمنة وتفرق الكلمة والا فقد انقاد الى
مجلس الحكم جماعة من الصحابة مثل عمر وعلي رضي الله عنهم

قال ومن عدله انه لم يعاقب على الظنة والتهمة
بل يطلب الشهود على المتهم فان قامت عليه بينة
شرعية عاقبه العقوبة الشرعية من غير تعدّ فدفع
الله عن الناس من الشر ما يوجد في غيره ولا بد
مع هذه السياسة واليها انتهى في العقوبة والاخذ
بالمظنة وامنت بلاده مع سعتها وقل المفسدون
ببركة العدل واتباع الشريعة المطهرة قال وحكى
لي من اثق به انه دخل يوما الى خزانة المال فراى
مالا كثيرا فقال من اين هذا قالوا بعث به القاضي
كمال الدين من فايض الاوقاف فقال ان هذا المال
ليس لنا ولا لبيت المال في هذه الجهة شيء وامر
برده واعاده على كمال الدين ليرده على صاحبه
فارسله متولي الخزانة الى القاضي فرده ايضا الى الخزانة
وقال اذا سأل السلطان عنه فقولوا له عني انه له
فدخل نور الدين الخزانة مرة اخرى فوجده فانكر
على الخازن وقال الم اقل ان هذا المال يعاد على
اصحابه فذكر له قول القاضي فرده اليه وقال لرسوله
قل لكمال الدين انت تقدر على حمل هذا واما انا
فرقبتي دقيقة لا اطيق حمله والمخاصمة عليه بين يدي الله تعالى

قال ومن عدله ايضا بعد موته وهو من اعجب
ما يحكى ان انسانا كان بدمشق غريبا استوطنها
واقام بها لما راى من عدل نور الدين فلما توفي
تعدى بعض الاجناد على هذا الرجل فشكاه فلم
ينصفه فنزل من القلعة وهو يستغيث ويبكي
وقد شق ثيابه وقال يا نور الدين لو رايتنا وما
نحن فيه من الظلم لرحمتنا اين عدلك وقصد تربة
نور الدين ومعه من الخلق ما لا يحصى وكلهم يبكي
ويصيح فوصل الخبر الى صلاح الدين وقيل له احفظ
البلد والرعية والا خرج عن يدك فارسل
الى ذلك الرجل وهو عند تربة نور الدين يبكي
والناس معه وطيب قلبه ووهبه شيئا واوسعه
فبكى اشد من الاول فقال له صلاح الدين لم تبكي
قال ابكي على سلطان عدل فينا بعد موته فقال صلاح الدين
هذا هو الحق وكل ما ترى فينا من عدل فمنه تعلمناه
قال ونور الدين اول من بنى دار العدل
بدمشق وسماها دار الكشف وسببه ان الامراء لما
قدموا دمشق اقتنوا الاملاك واستطالوا على الناس
وخصوصا اسد الدين شيركوه وكثرت الشكاوى الى القاضي

فلم يتقدم الي الانصاف من اسد الدين فشكاه الي
نور الدين فامر ببناء دار العدل فلما سمع اسد الدين
بذلك احضر اصحابه ودوابه وقال لهم اعلموا ان نور الدين
ما بني هذه الدار الا بسببي وحدي والا فمن هو
الذي يمتنع الي كمال الدين والله لان احضرت الي
دار العدل بسبب احد منكم لاصلبنه فامضوا الي كل
من كان منكم وبينه منازعة في ملك فافصلوه وارضوه
باي طريق امكن ولو اتي ذلك علي جميع ما بيدي فقالوا
له ان الناس اذا علموا هذا اشتطوا في الطلب فقال
خروج املاكي عن يدي اسهل علي من ان يراني
نور الدين بعين اني ظالم ويساوي بيني وبين احد
العامة في الحكومة ففعلوا وارضوا الخصوم فجلس نور الدين
في دار العدل لفصل الخصومات والحكومات وكان يجلس في
الاسبوع يومين الاثنين والخميس وعنده القاضي والفقهاء
ويامر بازالة الحجاب والبواب ويوصل اليه الشيخ الضعيف
والعجوز الكبيرة ويسال الفقهاء عن ما اشكل عليه
من الامور الغامضة فلا يجري في مجلسه الا محض الشرع
وبقي علي ذلك مدة فلم يحضر عنده احد يشكوا من
شيركوه فعرف القاضي الحال فسجد لله وقال الحمد لله الذي

اصحابنا ينصفون من انفسهم قبل حضورهم الينا
قال فانظر الي هذه المعدلة ما احسنها والي هذه
الهيبة ما اعظمها والي هذه السياسة ما اشدها هذا
مع انه كان لا يريق دما ولا يبالغ في عقوبته وانما كان
يفعل هذا صدقه في عدله وحسن نيته وحضر
اليه يوما جماعة من التجار وشكوا ان القراطيس كانوا
ستون منها بدينار فصار سبعة وستون لدينار
ويزيد وينقص ويخسرون فسال نور الدين عن كيفية
الحال فذكروا ان عقد المعاملة علي اسم الدينار
في الوسط وانما يعدون القراطيس بالتسعير تارة
ستين بدينار وتارة سبعة وستين بدينار فالتمس
كل واحد من الحاضرين علي نور الدين ان يضرب الدينار
باسمه ويكون المعاملة بالدنانير المكية وتبطل القراطيس
بالكلية فسكت ساعة وقال اذا ضربت الدينار وابطلت
المعاملة بالقراطيس كاني خربت بيوت الرعية فان
كل واحد من السوقة عنده عشرة الاف وعشرون الف
قرطاس ليشتري ويعمل بها فيكون سببا لخراب بيته فاي شفقة
تكون اعظم من هذا علي الرعية رحمه الله وحكي
انه كان قبل بناء دار العدل يجلس يوم الثلثا بالمسجد المعلق

الذي بالكشك ليصلا لي كل احد من المسلمين واهل
الذمة حتى لشاد هم وحكي بادكت الطواشي الخادم
النوري قال كنت يوما انا وسنقرجا واقفين على
راس نور الدين وقد صلى المغرب وجلس وهو مفكر فكرا
عظيما وجعل ينكت باصبعه في الارض فتعجبنا من فكره
وقلنا في اي شيء يفكر في عائلته او في وفاء دينه
وكانه فطن بنا فرفع راسه وقال ما تقولان فقلنا ما قلنا
شيئا فالححنا في قولنا فقال لي عجبنا من افراط مولانا
في الفكر وقلنا يفكر في عائلته او في وفاء دينه فقال والله
انني افكر في وال وليته امرا من امور المسلمين فلم يعدل
فيهم او فيمن يظلم المسلمين من اصحابي واعواني واخاف
المطالبة بذلك فبالله عليكم والا فخبزي عليكم حرام
الا تراءيتما قصة ترفع الي او تعلما مظلمة الا واعلماني بها
وارفعاها الي وحكي ابو المحاسن بهاء الدين يوسف
بن رافع بن تميم قال كان نور الدين لما صارت له
الموصل قد امر لستكين شحنة الموصل ان لا يعمل شيئا
الا بالشرع اذا امره القاضي بروان لا يعمل شيئا القاضي
والنواب كلهم شيئا الا بعد مراجعة الشيخ عمر الملا قال
وكان لا يعمل بالسياسة وبطلت الشحنكية فجاء اكابر الدولة

وقالوا المشتكين قد كثر الزعار وارباب الفساد ولا
ينجي من هذا شيء الا بالقتل والصلب فلو كتبت الى
نور الدين في ذلك فقال انا لا اكتب اليه في هذا
المعنى ولا اجسر على ذلك ولكن قولوا للشيخ عمر يكتب
اليه فحضروا عنده وذكروا له ذلك فكتب الى نور الدين
فقال له ان الزعار والمفسدين وقطاع الطريق قد
كثروا ويحتاج الى نوع سياسة ومثل هذا لا ينقطع الا
بقتل وصلب وضرب واذا اخذ مال انسان في البرية
من يجي يشهد له قال فقلبت نور الدين كتابه على ظهره
ان الله تعالى خلق الخلق وهو اعلم بمصلحتهم وان
مصلحتهم تحصل فيما شرعه على وجه الكمال ولو علم ان
على الشريعة زيادة في المصلحة لشرعها لنا فلا حاجة
الى زيادة على ما شرعه الله تعالى فمن زاد فقد زعم
ان الشريعة ناقصة فهو يكملها بزيادته وهذا من
الجراة على الله تعالى وعلى شرعه والعقول المظلمة لا تهتدي
والله سبحانه وتعالى يهدينا واياك الى صراط مستقيم قال
فجمع الشيخ عمر الملا اهل الموصل واقراهم الكتاب وقال
انظروا الى كتاب الزاهد الى الملك وكتاب الملك الى
الزاهد وحكي انه دخل في ايام نور الدين الى حلب تاجر

وكتب ع

موسر فمات بها وخلف ولداً صغيراً ومالاً كثيراً
فكتب بعض من بحلب الى نور الدين يذكر له انه
قد مات هاهنا رجل تاجر موسر وخلف عشرين الف
دينار او نحوها وله ولد صغير عمره عشر سنين وحسن
له ان يرفع المال الى الخزانة الى ان يكبر الصغير ويرجى
منه لمشي ويمسك الباقي للخزانة فكتب نور الدين
على الرقعة اما الميت فرحمه الله واما الولد فانشاه
الله واما المال فثمره الله واما الساعي فعليه لعنة الله
وهذه الحكاية تحكى ايضاً عن عمر نور الدين فلعله مما انطلت
عليه الحائر

الباب الثالث

في ذكر شجاعته وشهامته ونجدته وصرامته وقوة عزمه
وحسن رأيه وحزمه فقد كانت النهاية اليه في ذلك
وكان اصبر الناس في الحرب واحسنهم مكيدة ورأياً
واجودهم معرفة بامور الاجناد واحوالهم وبه كان
يضرب المثل في ذلك يقال انه لم ير في رماية على
الفرس احسن منه كأنما خلق عليها لا يتحرك لا ينظر
وكان من احسن الناس لعباً بالكرة واقدرهم عليها
وربما ضرب الكرة ويجري الفرس ويتناولها بيده من الهوى
ويرميها الى آخر الميدان ولم ير جوكانه يعلو على رأسه

وكانت يده لا ترى والجوكان فيها بل تكون في كم
قبائه استهانة باللعب وكان اذا حضر الحرب اخذ
قوسين وشد تركاشين وكان يباشر الحرب بنفسه
وكان يقول قد تعرضت للشهادة غير مرة فلم ادركها
ولو كان فيّ خير ولي عند الله قيمة لرزقنيها والاعمال
بالنية وقال له يوماً القطب النيسابوري الفقيه الشافعي
بالله يا مولانا السلطان لا تخاطر بنفسك وبالاسلام
والمسلمين فانك عمادهم فلو اصبت في معركة والعياذ
بالله لا يبقى من يقوم مقامك ولا يبقى من المسلمين
احد الا اخذه السيف وتؤخذ البلاد فقال يا قطب الدين
اسكت فان قولك هذا اساءة ادب على الله ومن
محمود حتى يقال له هذا قبلي من حفظ البلاد ذلك
الله الذي لا اله الا هو نبكي من كان حاضراً قال
ابن الاثير ومن احسن الآراء ما كان يفعله مع جند
فانه كان اذا توفي احدهم وخلف ولداً اقر اقطاعه
عليه فان كان الولد كبيراً استبد بنفسه وان كان
صغيراً رتب معه من يتولى امره الى ان يكبر فكان
الاجناد يقولون هذه املاكنا يرثها الولد عن الوالد
فنحن نقاتل عليها وكان ذلك سبباً عظيماً من الاسباب المقتضية للصبر

في المشاهد والحروب وما كان يتكل الجند الى الامراء بل
يتولاهم بنفسه ويباشر خيولهم وسلاحهم مخافة ان
يقصروا الامراء في حقهم ويقولون نحن كل وقت في النفير
فاذا لم تكن اجنادنا كاملين العدة دخل الوهن على الاسلام
واما هيبته ووقاره فالى النهاية كان كما قيل شديد من
غير عنف رقيق من غير ضعف واجتمع له ما لم يجتمع لغيره
فانه ضبط ناموس الملك مع اجناده واصحابه الى غاية لا مزيد
عليها وكان يلزمهم بوظايف الخدمة الصغير منهم والكبير
ولم يجلس عنده امير من غير امره له بالجلوس الا نجم الدين
ايوب والد صلاح الدين يوسف واما ما عداه كاسد الدين
شيركوه ومجد الدين ابن الداية وغيرهما فانهم كانوا اذا
حضروا عنده يقومون الى ان يامرهم بالقعود وكان مع
هذه العظمة وهذا الناموس اذا دخل عليه الفقيه او الصوفي
يقوم له ويمشي بين يديه ويجلسه الى جانبه كانه اقرب الناس
اليه وكان اذا اعطى احدهم شيئا يقول هولاء لهم في بيت المال
حق فاذا قنعوا منا ببعضه فلهم المنة علينا وكان مجلسه كما
روي في صفة مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم حلم وحياء
لا تؤبن فيه الحرم هكذا كان مجلسه لا يذكر فيه الا العلم والدين
واحوال الصالحين والمشاورة في امر الجهاد وقصد بلاد العدو

ولا يتعدى هذا **وحكي** ان الحافظ بن عساكر رضي الله عنه
حضر مجلس الملك الناصر صلاح الدين يوسف لما ملك دمشق
فراى فيه من اللغط وسوء الادب من الحاضرين فيه ما لا
يحد فشرع يحدث صلاح الدين كما كان يحدث نور الدين
فلم يتمكن من القول لكثرة الاختلاف من الحديث وقلة
استماعهم فقام وبقي مدة لا يحضر المجلس الصلاحي وتكدر
من صلاح الدين الطلب له فحضر فعاتبه صلاح الدين على
انقطاعه فقال نزهت نفسي عن مجلسك فاني رايته كبعض
مجالس السوقة لا يستمع الى قول قايل ولا يرد جواب متكلم
وقد كنا بالامس نحضر مجلس نور الدين فكنا كما قيل كانما
على رؤسنا الطير تعلونا الهيبة والوقار فاذا تكلم انصتنا
واذا تكلمنا انصت واستمع لنا فتقدم صلاح الدين الى اصحابه
وقال ان لا يكون منهم ما جرت به عادتهم اذا حضر الحافظ **قال**
ابن الاثير هكذا كانت احواله رحمه الله جميعها مضبوطة
وكان معتنيا بحفظ اصول الديانات ولا يمكن احدا من اظهار
ما يخالف الحق ومتى اقدم متقدم على ذلك ادبه بما يناسب بدعته
وكان يبالغ في ذلك ويقول نحن نحفظ الطرق من لص وقاطع
طريق والاذى الحاصل منهما قريب افلا نحفظ الدين ونمنع عنه
ما ينافيه ويقصده قال **وحكي** ان انسانا بدمشق يعرف بيوسف بن ادم

كان يظهر الزهد والتنسك وقد كثر اتباعه اظهر شيا من
التشبيه فبلغ خبره نور الدين فاركبه حمارا وامر بصفعه
وطيف به في البلد جميعه ونودي عليه هذا جزا من
اظهر في الدين البدع ثم نفاه من دمشق فقصد حران
قال ويسوق الله الغضب الى الاعمار والى البلاد الرحمة

الباب الرابع

فيما فعله في بلاد الاسلام من المصالح والمساعي الكثيرة بالنجاح
ومما ادخل على المسلمين من المسار وعمهم من المبار
وذلك عظيم كثير من ذلك انه بنى اسوار الشام جميعها و
قلاعها منها دمشق وحمص وحماة وحلب وبارين وشيزر
ومنبج وغيرها من القلاع والحصون وحصنها واحكم
بناها وانفق عليها من الاموال ما لم تسمح به النفوس
وبنى ايضا المدارس بدمشق وحمص وحماه وحلب وغيرها
للشافعية والحنفية حتى ان بلاد الشام وكانت خالية
من العلم واهله وفي زمنه صارت مقرا للعلماء والفقهاء
والصوفية وبنى الجوامع في غالب البلاد فجامعه في
الموصل اليه النهاية في الحسن والاتقان وكان قد فوض
امر عمارته والخرج عليه الى الشيخ عمر الملا رحمه الله وكان
من الصالحين فقيل له انه لا يصلح لمثل هذا العمل فقال اذا

وليت العمل بعض الاجناد او بعض العمال اعلم انه يظلم
في بعض الاوقات ولا يبني الجامع بظلم رجل مسلم واذا
وليت هذا الشيخ غلب على ظني انه لا يظلم احدا
فاذا ظلم كان الاثم عليه لا علي وانما يسمى هذا
الشيخ بالملا لانه كان يملأ تنانير الاجر ويأخذ
الاجرة يتقوت بها وكان ما عليه من الثياب مثل
القميص والعمامة يملكه لغيره فلا يملك من الدنيا
شيا وكان عالما بفنون العلوم وجميع الملوك والعلماء
والاعيان يزورونه ويتبركون به وكان يعمل مولدا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كل سنة ويحضر دعوته
صاحب الموصل والاكابر وكان نور الدين يحبه وكان
وكان مكان الجامع النوري خربة واسعة ما شرع
احد في عمارتها الا وقصر عمره فاشار الشيخ عمر
على نور الدين بعمارتها جامعا فاشتراها وانفق عليها
اموالا كثيرة يقال ستين الف دينار ويقال ثلثمائة
الف دينار فتم في ثلث سنين ولما تم جاء نور الدين
الى الموصل وهي المرة الاخيرة فصلى فيه ووقف عليه
قرية بالموصل ورتب فيه خطيبا ومؤذنين وعمل له
البسط والحصر وغيرها ثم دخل الشيخ عمر على نور الدين وهو جالس

علي دجله فترك بين يديه دساتير الخرج علي الجامع
وقال يا مولانا ما ينبغي ان تنظر فيها فقال له يا شيخ
نحن علمنا هذا لله تعالى دع الحساب الي يوم الحساب
ثم رمي بالدساتير في دجله قال وبني جامع
حماه علي نهر العاصي وهو من احسن الجوامع وانزهها
وبني البيمارستانات في البلاد ومن اعظمها البيمارستان
الذي بناه بدمشق فانه عظيم كثير الخرج وحكي
انه وقع بيد نور الدين افرنجي من اكابر الملوك ففدي
نفسه بمال عظيم فشاور نور الدين امراءه فاشاروا
ببقائه في الاسر خوفا من شره فارسل اليه نور الدين
في الستر يقول احضر المال واحضر ثلثمائة الف دينار
فاطلقه نور الدين فعند وصوله الي قلعته مات
وبلغ نور الدين خبره فاعلم اصحابه فتعجب من لطف الله
بالمسلمين حين جمع لهم الحسنيين وهما الفدا وموت
ذلك اللعين وبني نور الدين البيمارستان بدمشق منه
وبني منه ايضا مدرسة دار الحديث بدمشق ووقف
عليها الاوقاف قال ابن الاثير قال الشيخ عماد الدين
ابن كثير ومن شرط البيمارستان انه علي الفقراء والمساكين
واذا لم يوجد بعض الادوية التي يعز وجودها الا فيه

فلا يمنع منه الاغنياء ومن جاء اليه فلا يمنع من شرابه
ولهذا جاء اليه نور الدين وشرب من شرابه رحمه الله تعالى
قلت ويقال انها مستمرة الي زماننا لم تخل الا
في فتنة تمرلنك عامله الله بما يستحق وحكي
الشيخ الجزري في تذهيل علي المراة ان نور الدين
لما حضر الي البيمارستان احضر له قدح شراب فشربه
وقال هذا حلال علي جميع المسلمين وعلي مثلي وعلي
اقل العالم وحرام علي اليهود والنصاري وعلي غلام
وجارية تحت الرق فما يدخله الا من هو معتوق
قال وبني ايضا الابراج علي الطرق بين المسلمين
والفرنج وجعل فيها من يحفظها ومعهم الحمام الهوادي
ارسلوا الطيور فاخذ الناس خبرهم وتجهزوا لهم
فلم يبلغ العدو منهم غرضا وكان هذا من الطف
الفكر واكثرها نفعا قال وبني الربط والخانقاهات
في جميع البلاد للصوفية ووقف عليها الوقوف الكثيرة
وادر عليهم الادرارات الصالحة وكان يحضر
مشايخهم عنده ويقربهم ويدنيهم ويباسطهم ويتواضع
لهم واذا اقبل اليه احدهم يقوم له ويرتفع عينيه
عليه ويعتنقه ويجلسه معه علي سجادته ويقبل عليه بحديثه

وكذلك كان ايضاً يفعل بالعلماء من التعظيم والتوقير
والاحترام وتجمعهم عنده للبحث والنظر وكانوا يقصدونه
من البلاد الشاسعة من خراسان وغيرها وكان اذا
نُقل عن انسان منهم عيب يقول ومن المعصوم وانما الكامل
من تعد ذنوبه قال ابن الاثير ان بعض الامرا
حسد قطب الدين النيسابوري الفقيه الشافعي لقربه
من نور الدين وكان قد استقدمه من خراسان
وبالغ في اكرامه فنال منه يوماً عند نور الدين فقال له
يا مسكين لو نظرت في عيب نفسك لشغلك عن عيوب
غيرك ولو صح ما تقول فله حسنة تغفر كل زلة تذكرها
وهي العلم والدين واما انت واصحابك ففيكم اضعاف ما
ذكرت وليست لكم حسنة تغفرها والله لئن عدت
الي ذكره او ذكر غيره بسوء لاؤدبنك فكف عنه قال
ابن الاثير هذا هو الاحسان والفعل الذي ينبغي
ان يكتب على العيون بماء الذهب وبني دار الحديث
بدمشق وهو اول من بنى دار الحديث فيما علمنا وبنى
مكاتب للايتام في كثير من البلاد واجرى عليهم وعلى
معلميهم الخيرات الوافرة وهي ايضاً المساجد الكثيرة ووقف
عليها وعلى من يقرأ القرآن قال وهذا فعل

لم يسبقه اليه احد قال وبلغني من عارف باعمال الشام
ان وقوف نور الدين في وقتنا هذا وهو سنة ثمان
وستمائة في ابواب البر بالشام كل شهر تسعة الاف دينار
صورية ليس فيها ملك فيه كلام بل حق ثابت وذكر
العماد الكاتب في اول كتابه البرق الشامي واثنى عليه
قال وفي سنة تسع وستين وخمسمائة وهي السنة التي
توفي فيها نور الدين اكثر فيها من الاوقاف والصدقات
وعمارة المساجد المهجورة وامر بتعفية اثار الاثام
واسقاط ما فيه حرام وما ابقى سوى الجزية والخراج
وما يحصل من قسمة الغلات على قويم المنهاج قال
وامرني بكتبة مناشير لجميع البلاد فكتبت اكثر من
الف منشور وحسبنا ما تصدق به على الفقراء في
تلك الاشهر فزاد على ثلثين الف دينار وكانت
عادته في الصدقة ان يحضر جماعة من اماثل البلد
من كل محلة ويسالهم عمن يعرفون في جوارهم
من اهل الحاجة ثم يصرف اليهم على قدر حاجاتهم ولو
اشتغلت بذكر وقوفه وصدقاته في كل بلد لطال
الكتاب ولم يبلغ الى امده ومشاهد ابنيته دالة على
خلوص نيته تغني عن خبرها بالعيان وتكفي اسوار البلدان

والربط والمدارس على اختلاف المذاهب واختلاف المذاهب
وفي شرح ما له طول وعمله ذلك مبرور ومقبول ولما
اسقط نور الدين الجهات المحظوره والتشبه المحذوره
عزل الشحنه وصرف عن الرعيه بصرفهم المحن وقال
للقاضي كمال الدين الشهرزوري انظر انت في ذلك
واحمل امور الناس فيها على الشريعة قال ولم يكن
لبيت المواريث حاصل ولا الديوان حاصل فجعل نور الدين
ثلث ما يحصل منه لكمال الدين الحاكم توفيره نوابه
وكنزوه وما كان نور الدين يحاسب القاضي على شي
من الوقوف ويقول انا قلدته على ان يتصرف بالمعروف
وحكى الشيخ ابو البركات الحسن بن محمد بن هبة الله
انه حضر مع عمه الحافظ ابي القاسم رحمه الله مجلس
نور الدين لسماع شي من الحديث فمر في اثناء الحديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم تقلد بالسيف وليشير
الى التعجب من عادة الجند اذ هم على خلاف ذلك لانهم يربطونها
باوساطهم قال فلما كان من الغد مررنا تحت القلعة
والناس مجتمعون ينتظرون ركوب السلطان فوقفنا ننظر
اليه فخرج نور الدين رحمه وهو متقلد السيف وجميع
عسكره كذلك فرحم الله هذا الملك الذي لم يفرط في الاقتداء

بالنبي صلى الله عليه وسلم بل لما بلغته رجع بنفسه ورد
جنده عن عوايدهم اتباعا لما بلغه عن نبيه صلى الله
عليه وسلم فما الظن بغير ذلك من السنن كان رحمه الله
فردا في زمانه من بين ساير الملوك ولو لم يكن الا استماع
الموعظه وانقياده لها وان اشتملت على الفاظ قد اغلظ
فيها وحكى شرف الدين ابن المستوفي في تاريخ اربل
ان المنتجب الواعظ ابا عثمان ابن ابي محمد البحتري الواسطي
عمل في نور الدين قصيده وانشده اياها من لفظه وهي هذه

القصيده البليغه

مثل وقوفك ايها المغرور ... يوم القيامه والسماء تمور
ان قيل نور الدين رحت مسلما ... فاحذر بان تدعى وما لك نور
اتنوب عن شرب الخمور وانت من ... كاس المظالم طايح مخمور
عطلت كاسات المدام تعففا ... وعليك كاسات الحرام تدور
ماذا تقول اذا نقلت الى البلى ... فردا وجاءك منكر ونكير
ماذا تقول اذا وقفت بموقف ... فردا ذليلا والحساب عسير
وتعلقت فيك الخصوم وانت في ... ضيق اللحود موسد مقبور
وتفرقت عنك الجنود وانت في ... ضيق اللحود يوم الحساب محصور
ووددت انك ما وليت ولاية ... يوما ولا قال الانام امير
وبقيت بعد العز رهن حفيرة ... في عالم الموتى وانت حقير

وحشرت عرياناً حزيناً باكياً ... قلقاً وما لك في الانام مجير
ارضيت ان تحيى وقلبك دارس ... عاني الخراب وجسمك المعمور
ارضيت ان تحظى سواك بقربه ... ابداً وانت مبعد مهجور
مهد لنفسك حجة تنجو بها ... يوم المعاد ويوم تبدو العور
تدعى بنور الدين فاحذر في غد ... تدعى ظلام الدين ما لك نور

قال صاحب الروضتين ولعل هذه الابيات كانت من اقوى الاسباب المحركة الى بطال تلك المظالم والخلاص من تلك المآثم رضي الله عن الواعظ والمتعظ بسببه ووفق من رام الاقتداء به وكان هذا الواعظ من كبار الصالحين ليس له شي ولا يقبل من احد شيا انما كانت له جبة يلبسها اذا خرج الى مجلس وعظه وكان يجتمع في مجلسه الالوف من الناس

قال قاضي القضاة بهاء الدين ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم حكى لي السلطان الملك الناصر صلاح الدين قال ارسلني الملك العادل نور الدين الى عمي اسد الدين شيركوه وكان لا يفعل شيا الا بمشورته وقال امضي اليه وقل له قد خطر في بالي ان ابطل هذه الضمانات باسرها والمؤن والمكوس وحذر ايه في ذلك قال فجيت اليه وانهيت اليه ما قال لي

فقال امض وقل له يا مولانا اذا فعلت ذلك فالاجناد الذين اربابهم على هذه الجهات من اين نعطيهم وتحتاج اليهم عند الغزاة وخروج العساكر فقال صلاح الدين فقلت لعمي هذا امر قد الهمه الله اياه فساعد عليه فصاح في امضي اليه وقل له ما قلت لك قال فعدت الى نور الدين فانهيت اليه ما قال لي عمي فقال امضي اليه وقل له اذا كنا نغزوا من هذه الجهات بتركها ونقعد ولا نخرج قال فعدت الى عمي وقلت له ما قال فقال قل له ان تركوك تقعد نجيد هو فراجعته في ان لا يثبطه في ذلك فصاح في وقال امض اليه وقل له ما قلت لك فجيت اليه وقلت له ذلك فترك ذلك مدة ثم امضي ما كان عزم عليه وحكي عن بعض مماليك نور الدين انه قال كان نور الدين يرفع يديه الى السماء ويبكي ويتضرع ويقول ارحم العشار المكاس وقال صفوان بن يحيى بلغني ان موفق الدين خالد رائي في النوم كان نور الدين دفع اليه ثيابه ليغسلها فقصه على نور الدين فتغير وجهه فخجل موفق الدين وبقي اياما على غاية من الخجل فاستدعاه يوماً نور الدين وقال قد ان لك ان لك ان تغسل ثيابي اتعد واكتب للمسلمين انني قد رفعت عنهم

ما رفعه الله عنكم واثبت ما اثبته الله تعالى عليكم
فكتب موفق الدين لو توقيعا بذلك وحدثت رضي الدين
ابو سالم عبد المنعم بن المنقذ رحمه فامره نور الدين
رحمه الله بكتابة منشور باطلاق المظالم بحلب ودمشق
وحمص وحران وسنجار والرحبة وعزاز وتل باشر
وعدد العرب فكتب عنه لو توقيعا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما تقرب به الى الله صافحا واطلقه مسامحا
لما علم ضعفه من الرعايا رعاهم الله لضعفهم عن عمارة
ما اخربته ايدي الكفار اباده الله تعالى عند الاسلام
على العباد وظهور كلمته على العباد رفقا بالمسلمين الشآم
ولطفا بالضعفاء المرابطين الذين خصهم الله تعالى
بفضيلة الجهاد وامتحنهم بمجاورة اهل العناد اختبارا
لصبرهم واعظاما لاجرهم فصبروا احتسابا واجزل
الله لهم اجرا وثوابا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير
حسابا واعاد عليهم ما اغتصبوا عليه من املاكهم التي
افاء الله عليهم بها من الفتوح العمرية واقرها في الدولة
الاسلامية بعد ما طرى عليها من الظلمة المتقدمين
واسترجعه بسيفين الكفرة الملاعين فطمس عنهم بذلك
معالم الجور وهدم اركان التعدي واقر الحق مقره لقوله تعالى

من جاء بالحسنة فله عشر امثالها والله يضاعف لمن يشاء
ثم اعلم انه الله يحوز ولي بنصره ويمنع به عادية
الكفر واظهر به شرايع الاسلام واظهره بالفئة
الباغية وامكنه من ملوكها الطاغية فجعلهم بين قتيل
غير منقاد وهارب ممنوع الرقاد واخرين مقرنين
في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب
وان له عندنا لزلفى وحسن مآب علما ان الدنيا فانية
فاستخدمها للآخرة الباقية واستبقى ملكه الزائل
بانفاقه وجعلها ذخرا للمعاد فالتقوى مادة
زاده اذا انقطعت المواد يوم لا تملك نفس لنفس شيئا
والامر يومئذ لله تسمح لكافة المسافرين وجميع المسلمين
بالضرائب والمكوس واسقطها من دواوينه وحرمها
على كل متطاول اليها ومتهافت عليها تجنبا لاثمها واكتسابا
لثوابها فكان مبلغ ما سمح به واطلقه وانفذ الامر فيه
اتباعا لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
في كل سنة من العين مائة الف وستة وخمسون الف دينار
جهة ذلك حلب خمسون الف دينار عزاز عن مكس
الفرج خذلهم الله على المسافرين عشرة الاف دينار
تل باشر احد وعشرين الف دينار المعرة ثلاثة الاف دينار

لما استخدمت اهلها واستصرخ بمن فيها خوفا على انفسهم
واموالهم من استيلاء العدو وضعفهم عن مقاومة ومنها ما
كان يؤخذ منهم في كل سنة وهو رسوم تسمى التنبيه
عشرون الف دينار حمص سنة وعشرون الف
دينار حران خمسون الف دينار سنجار الف دينار
الرحبة عشرة الآف دينار عداد العرب عشرة الاف
دينار طلبا لما عند الله والله عنده حسن الثواب فالواجب
على كل امام عادل وسلطان قادر ان يمده او يوده
ويشد عضده ويقوي عزمه وينفذ حكمه وعلى كل
مسلم ان يواصله بالدعاء آناء الليل واطراف النهار
وكتب الى كل من وصل اليه من ائمة الدين وفقهاء المسلمين
واصحاب الزوايا والمتعبدين وكافة التجار والمسافرين
احسن الله توفيقهم ليشعروا بذلك من حضرهم من
التجار والمترددين اليهم من السفار ليعرفوا قدر ما
انعم الله به عليه وعليهم ويمدونه بادعيتهم ويبرأوا
ذمته مما سبق من اخذ مؤنتهم فانه لم يصرف ذلك
الا في وجه بر وتجهيز جيش ومعونة مجاهد وردع
كافر ومعاند فهم شركاؤه في الثواب فلما وقف
نور الدين على قولهم وبرؤا ذمته مما سبق استحسن ذلك وعلم

باقطاع الحسن **وذكر** قاضي القضاة بهاء الدين
ان نور الدين سير كتابا الى بغداد يعلم الخليفة بما
اطلقه وبمقدار ما اطلق وسأله ان يتقدم الى الوعاظ
بان يستحلوا من التجار ومن جميع المسلمين له وان يجعلوه
في حل مما كان قد وصل اليه من اموالهم فتقدم
بذلك وجعل الوعاظ ينادون على المنابر بذلك **قال**
صاحب الروضتين نقلت من خط الشيخ الامين
ابي القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن عبدان الازدي
الدمشقي وقف المولى نور الدين بستان الميدان
سوى الغيضة التي من قبلته تعقد عمارته واصلاح
ما يحتاج اليه على تطييب المساجد التي ياتي ذكرها
وهي جامع دمشق المحروسة جامع القلعة بها مدرسة
الحنفية التي جددها نور الدين مسجد بن عطية
داخل باب الجابية مسجد بن لبيد بالفسقار مسجد سوق
الرماحين المسجد المعلق بسوق الصاغة مسجد دار
البطيخ المعلق مسجد العباس بسوق الاحد بالصالحية المسجد
الذي جدده نور الدين جوار بيعة اليهود جامع الصالحية
بجبل قاسيون يبتاع بذلك الطيب وعود ويفرق على هذه
الاماكن النصف للجامع بدمشق والنصف الثاني ينقسم على احد عشر جزءا

جزان للمدرسة ولستة اجزا للمساجد الباقية لكل مسجد
جزء واحد يطيب هذه الاماكن في الاوقات الشريفة
ومواسم الاجتماعات وليالي شهر رمضان والاعياد وايام
الجمع وقت عقد الجمعة في الجوامع وليالي الجمعة والخميس
والاثنين قال ونقلت من خطه ايضا ان
نور الدين رحمه الله تعالى حضر عنده بقلعة دمشق
يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة اربع وخمسين وخمسماية
القاضي زكي الدين ابو الحسن علي بن محمد بن يحيى القرشي
والفقهاء الشيخ شرف الدين بن ابي عصرون
والخطيب عز الدين ابو البركات بن عبد والامام عز الدين
ابو القاسم علي بن الحسن الشافعيون وشرف الدين ابو
القاسم عبد الوهاب بن عيسى المالكي وشرف الاسلام
نجم بن عبد الوهاب الحنبلي ورضي الدين ابو غالب بن عبد
المنعم بن محمد بن اسد التميمي رئيس دمشق ونظام
الدين ابو الكرم المحسن ابن ابي الصبا متولي الوزارة
بدمشق والاعيان من شهود العدالة بدمشق وهم
عبد الصمد بن تميم وعبد الواحد بن هلال والصابن
ابو الحسن وغيرهم فشا لهم نور الدين عن المضاف الى
اوقاف المسجد الجامع بدمشق من المصالح التي ليست وقفا عليه

وان يظهر كل واحد منهم ما يعلم من ذلك ليعمل بموقع
الاعتماد عليه وقال لهم ليس يجوز لاحد منكم ان
يعمل من ذلك شيئا الا ويذكره منكر ولا ينكر شيئا مما
يتوقف عليه الا ويذكره والساكت مصدق للناطق ومصوب
لقوله وليس لعمل الا على ما يتفقون عليه ويشهدون
به وعلى هذا كان الصحابة رضي الله عنهم يجتمعون
ويتشاورون في مصالح المسلمين فكل من الحاضرين
شكره على ما فعله واثنى عليه ودعى له بالبقاء
ثم امر نور الدين متولي اوقاف الجامع والمساجد
والميمارستان وقناة السبيل وما يجري مع ذلك
ان يقرا على محضر من المذكورين ضريبة الاوقاف
موضعا موضعا ما يفرد ما يعلمون انه للمصالح ذوا
الوقف فافتتح بالسوق المستجد تحت المادنة الغربية
جوار الميمارستان فقال الصابن وابن تميم وابن هلال
هذا السوق بكماله لمصالح المسلمين وليس من وقف
الجامع لانه احدث في طريق المسلمين كما شهدوا به
ومبلغ ذلك خمس وعشرون عضادة ثم عين للمصالح
ايضا ما في زيادة الجامع القبلية وزيادة باب البريد
في الصف القبلي والشامي من العضايد والحوانيت والحجر التي علوها

وجميع بيوت الحضرا من قبلة الجامع والغربي المسجد بها
ودار الخيل والمساكن والحوانيت المجاورة لدار الخيل وحانوت
في الحواصين في الصف الغربي واثني عشر حانوتا متلاصقات
في الصف الشرقي تعرف بالمعتصمات ونصف حانوت
والترجمة المستجدة بحضرة دار الوكالة الى سوق علي وعدتها
ثلاثة عشر حانوتا ومصطبة وثلاث حوانيت في الصف الشامي
من سوق علي الصقوا الترجمة من شرقيها وحانوت بالبستان
في الصف القبلي تعرف بسكيني بغلبا الفقاعي وحوانيت
اللبادين والتي بحضرة الفوارة تحت اللبادين وقيسارية
العقيقي بسوق الاحد وتعرف بدار السحن وحانوتا
في الصف الشرقي بحضرة فندق الزيت من عند درب
التمارين وحانوت بقنطرة الشماعين في الصف الشامي
بحضرة القناطر وقطعة جوارا الماموني من غربيها و
العصايد التي في الصف الشامي من سوق الاحد وهي
خمسة عشر عضادة وستة اسهم من طاحون السقيفة
وذلك كله بقضية ميراث عن بني امية وبعضهم اخذ من
ايادي اهله الموقوف عليهم ولم يكن له مال وبعضهم احدث
في الطريق قال فلما شهدوا بصحة جميع ما ذكروا
من منافع ذلك واجوره جارية في المصالح قال نور الدين ان اهم

المصالح سد ثغور المسلمين وبناء السور المحيط بدمشق
والخندق لصيانة المسلمين وحريمهم واموالهم وصوبوا
ما اشار اليه وشكروه ثم سالهم عن فواضل الاوقاف
هل يجوز صرفها في عمارة الاسوار وعمل الخندق
للمصلحة المتوجهة للمسلمين فافتى شرف الدين المالكي
بجواز ذلك ومنهم من توقف ليتروى وقال الشيخ
شرف الدين بن ابي عصرون الشافعي لا يجوز ان
يصرف وقف مسجد الى غيره ولا وقف معين الى غير تلك
الجهة واذا لم يكن بد من ذلك فليس طريقه الا ان يقرضه
من اليه الامر في بيت مال المسلمين فيصرفه في المصالح
ويكون القضاء واجبا من بيت مال المسلمين فيصرفه
في المصالح ويكون القضاء واجبا من بيت المال فوافقه
الائمة الحاضرون على ذلك ثم سال ابن ابي عصرون
نور الدين هل انفق شيئا قبل اليوم على سور دمشق وعلى
بناء الكلاسة من شام الجامع وعلى انشاء السقف المعترض
تحت النسر بالجامع وعلى الرصاص المعمول على سطح الرواق
الشامي من الجامع وسائر العمائر المتعلقة بالجامع المعمور بغير
اذن مولانا وهل كان للاملاء الامر العالي في عمل ذلك
فقال نور الدين لم ينفق ذلك شي منه الا باذني وانا امرت

وبغنج المشهد بن غزني الجامع المعمور الذين كانا مخربين وكتب
مبلغا عشر في ومؤذنا امري هذا مختصر المحضر الذي كتب فيه
صورة ما جرى في ذلك المجلس وهو مشتمل على فوايد حسنة
وتاكيد لما نقل عن سيرة هذا الملك في وقوفه في اوامر
الشرعية وفي ذلك المحضر خطوط الجماعة الحاضرين وحكى
صاحب الروضتين عن بعضهم انه حضر صبي الى عند الملك
العادل وبكى وذكر ان اباه محبوس على اجرة حجرة من حجر
الوقف فسأل عن حاله فقالوا هذا الصبي بن الشيخ ابي سعيد
الصوفي وهو رجل زاهد قاعد في حجرة وليس له قدرة
على الاجرة وقد حبسه وكيل الوقف لانه اجتمع عليه اجرة سنين
قال الملك العادل كم اجرة السنة قالوا مائة وخمسون قرطاسا
وذكروا سيرته وطريقته وفقره فرق عليه وانعم عليه وقال
نحن نعطيه هذه النقد ليصرفه الى الاجرة ويتعيش فيها وامر
باخراجه من الحبس فوصل الى قلب كل احد من الحاضرين الفرح
حتى كان الانعام كان في حقه

الباب الخامس

في زهده وورعه وعبادته ودينه وعلمه المكمل لسيادته
الشاهد بتاطيد دعايم سعادته قال ابن الاثير فان
قال قايل كيف يوصف بالزهد من له الممالك الفسيحة وتجبى اليه

الاموال الكثيرة قلنا قد كان نبي الله سليمان بن داود عليه السلام
مع ملكه وهو سيد الزاهدين في زمانه ونبينا محمد صلى الله
عليه وسلم قد حكم على حضرموت واليمن والحجاز وجميع جزيرة
العرب من حدود الشام الى العراق وهو على الحقيقة سيد الزاهدين
قال وانما الزهد خلو القلب من محبة الدنيا لا خلو اليد منها
وكان نور الدين رحمه الله مع سعة ملكه وكثرة ذخاير بلاده
واموالها لا ياكل ولا يلبس ولا يتصرف فيما لا يخصه الا
من ملك اشتراه من سهمه من الغنايم وكان يحضر الفقهاء ويستفتيهم
بما يحل له من تناول الاموال المرصدة لمصالح المسلمين فياخذ
ما يفتونه بحله ولو يتعداه الى غيره البتة ويقال ان نفقته
كانت من الجزية في كل شهر الف قرطاس يصرفها في كسوته
وملبوسه وماكوله حتى اجرة خياطه ويستفضل منها ما
يتصدق به في اخر الشهر ويقال ان قيمة القرطاس ما بين خمسين
درهما وما كان يصل اليه من هدايا الملوك وغيرهم يبعثه
الى القاضي يبيعه ويعمر به المساجد المهجورة ويشتري لها
اوقافا ولا يلبس قط لما حرمه الشرع من حرير او ذهب او
فضة ومنع من شرب الخمر وبيعها في جميع بلاده ومن دخولها
الى بلد ما وكان يحد شاربها الحد الشرعي كل الناس
فيه سوا وكان كثير الصيام وله اوراد في الليل والنهار وكان يقدم

اشغال المسلمين عليها ثم تيتم اولاده اخرت عنه زوجته الخاتون
بنت معين الدين وانه كان اذا جاء اليها يجلس في المكان
المختص به فيقومون في خدمته ولا يتقدم اليه الا في اخذ ثيابه
عنه ثم يعتزل الى المكان المختص بها وينفرد هو تارة يطالع
رقاع اصحاب الاشغال او ينظر في كتاب اتاه ويجيب عنهما
وكان يصلي فيطيل الصلوة وله اوراد في النهار فاذا جاء
الليل وصلى العشا نام ثم استيقظ نصف الليل فيتوضاء
ويصلي الى الفجر ثم يصلي الصبح ويظهر للركوب ويشتغل
بمهمات الدولة وارسلت اليه الخاتون يوما اخاها من
الرضاع تذكر له انه لم يكفيها ما كان قرره لها وطلبت
منه زيادة فلما قال ذلك تنكر واحمر وجهه ثم قال من
اين اعطيها ان كانت تظن ان الذي بيدي من الاموال
هي لي فبيس الظن انما هي اموال المسلمين مرصدة لمصالحهم
وانا خازنهم فلا اخونهم فيها ثم قال لي بمدينة حمص
ثلاث دكاكين اشتريتها من الغنايم وقد وهبتها اياها
فلتاخذها وكان يحصل منها قدر يسير وقد كانت
زوجته هذه ايضا من الصالحات الخيرات كثيرة القيام فنامت
ذات ليلة عن وردها فاصبحت وهي غضبا فسالها نور الدين
عن امرها فذكرت له نومها الذي فوت عليها وردها

فامر نور الدين عند ذلك بضرب طبلخانة في القلعة وقت
السحر ليوقظ النايم ذلك الوقت لقيام الليل ورتب
للضارب جراية وجامكية قال ابن الاثير كان لا يفعل
فعلا الا بنية حسنة وكان بالجزيرة رجل من الصالحين
كثير العبادة والورع شديد الانقطاع عن الناس وكان
نور الدين يكاتبه ويراسله ويرجع الى قوله ويعتقد فيه
اعتقادا حسنا فبلغه ان نور الدين يدمن اللعب بالكرة
فكتب اليه يقول ما كنت اظنك تلهو وتلعب وتعذب الخيل
لغير فايدة فكتب اليه نور الدين بخطه يقول والله ما يحملني
على اللعب بالكرة اللهو والبطر انما نحن في ثغر
والعدو منا قريب فربما وقع صوت فتكون الخيل قد آمنت
على سرعة الانعطاف بالكر والفر فاذا طلبنا العدو
ادركناه ولو تركناها على حالها لصارت جماما لا تنتفع
ولا تمكننا ملازمة الجهاد دونها صيفا وشتاء اذ لا بد
من الراحة للجند فهذا والله الذي يبعثني على اللعب بالكرة
قال فانظر الى هذا الملك لعدم النظير الذي ينزل في
اصحاب الدنيا بالمنقطعين الى العبادة مثله فان من يجي الى
اللعب بهذه النية الصالحة حتى يصير من اعظم العبادات واكثر
القربات فقل من العالم مثله وفيه دليل على انه كان لا يفعل شيا

لئلا صح

الابنية صالحة وهذه افعال العلماء الصالحين العاملين
قال وحكي عنه انه حمل اليه من مصر عمامة من القصب الرفيع
مذهبة فوضعت بين يديه فلم يلتفت اليها فبينما هم معه في
حديثها اذ جاءه رجل صوفي فامر له بها فقيل له انها لا
تصلح لهذا الرجل ولو اعطي غيرها كان انفع له فقال اعطوها
له فاني ارجو ان اعوض عنها في الآخرة فسلمت الي الرجل فسار
بها الي بغداد فباعها بستمائة دينار اميري او سبعمائة دينار
ويقال انه اعطاها للشيخ الصوفية ابي الفتح ابن حمويه
فبعث بها الي العجم فبيعت بالف دينار قال وكان عارفا
بمذهب ابي حنيفة رضي الله عنه وليس عنده تعصب على
احد والمذاهب كلها عنده سواء قال ابن عساكر وسمع
الحديث واسمعه وكان قد استجيز له ممن سمعه وجمعه
حرصا منه على الخير في نشر السنة والتحديث ورجاء ان يكون
ممن حفظ على الامة اربعين حديثا كما جاء في الخبر
فمن راه شاهد في جلال السلطنة وهيبة المملكة ما
يبهره فاذا فاوضه راى من لطافته وتواضعه ما يحيره ويحب
الصالحين ويواخيهم ويزورهم في اماكنهم لحسن ظنه فيهم
قال الشيخ شهاب الدين في المرآة وقد صنف له احدهم
كتابا سماه الخبر النوري في احاديث العدل والجهاد ومواعظ

وغير ذلك وصنف نور الدين ايضا كتابا في الجهاد وهو
بدمشق ثم قال فقد ذكرت ما نقله علماء السير مما
وقع لهم من سيرته وما يستدل به على صالح سريرته وقد
وقع لي مآثر لم يذكروها ومفاخر لم يسطروها لم تكن
لغيره من ملوك الجاهلية والاسلام ولا راوها ولا في الاحلام
كان شغوفا بصيد الصيد لا بصيد الغزلان وما زال
يبدر مبادرته الي الخيرات ثم لا عن نقصان هذي المكارم
لا تعبان وهذه الفصاحة لا لسحبان فمن ذلك انه كان
في عزمه ان يفتح البيت المقدس فعمل منبرا وقبلة بجامع حلب
على اسم القدس فتوفي الي رحمة الله تعالى قبل الفتوح
فلما ملك صلاح الدين بيت المقدس حمل المنبر اليه وابقى القبلة
بجامع حلب ومنها انه كان له عجائز بدمشق وحلب
وكان يخيط الكوافي ويعمل السكاكر للابواب ويبيعها
العجائز ولا يدري بهن احد وكان يوصي وينظر على
اثمانها وحكى لي شرف الدين يعقوب ولد المبارز المعتمد
ان في دارهم سكرة من عمل نور الدين على خرشتان وهي
باقية الي سنة خمسين وستماية يتبركون بها ومنها ما
حكاه الشيخ ابو عمر شيخ المقادسة رحمه الله تعالى قال كان
نور الدين يزور والدي الشيخ احمد في المدرسة الصغيرة

التي على نهر يزيد المجاورة للدير ونور الدين بنى هذه المدرسة
والمصنع والقرن قال فجاء يوما لزيارة والدي وكان في
سقف المسجد خشبة مكسورة فقال له يا نور الدين لو كشفت
السقف وجددته فنظر الى الخشبة وسكت فلما كان من الغد
جاء بمعماره ومعه خشبة صحيحة فنزل فيها موضع المكسورة
ومضى قال فتعجب الجماعة فلما جاء للزيارة قال بعض الحاضرين
له يا نور الدين فاكرتنا في كشف السقف واعادته فقال لا
والله وانما هذا الشيخ احمد رجل صالح وانما ازوره لانتفع به
وما اردت ان ازخرف له المسجد وانقض ما هو صحيح وهذه
الخشبة يحصل بها المقصود فدعا لي من حسن ظني فيه فلعل
الله ينفعني به ومنها ما حكاه رجل صالح من اهل حران
لقيه الشيخ حياة في سنة خمس وستمائة وكان قد نيف على الستين
سنة قال فلما قتل اتابك زنكي على قلعة جعبر وملك
نور الدين قلعة حلب تصدق وازال المكوس ورد المظالم
وانا حديث عهد بعرس وقد ركبني دين فقالت لي زوجتي
قد سمعت اوصاف نور الدين واحسانه الى الناس فلو قصدته
وانهيت اليه حالك لقضى دينك قال فخرجت من حران وليس
معي سوى درهمين تركت عندها درهما وتزودت بالدرهم
واتيت الى القراة وقت القايلة تحت شجرة منيخ وابعدت عن اعين الناس

وخلعت ثيابي ونزلت فتوضات وصليت ركعتين واذا
جاءني شخص ملفوف في عباءة فقال لي يا فقير من اين انت
قلت من حران قال والى اين قلت الى حلب قال وما تصنع
فيها قلت انا فقير مديون وقد بلغني احسان نور الدين
الى الخلق فقصدته لعله يقضي ديني فقال واين انت من
نور الدين ومن يوصلك اليه وكم عليك دين قلت خمسون
دينارا فاخرج يده من العباءة ونحت الرمل واخرج منه
قرطاسا والقاه الي وقال خذ هذا فاقض به دينك
وارجع الى اهلك قال فاخذته وعددته فاذا به خمسون
دينارا والتفت فلم اره فبهت وبت في مكاني افكر
هل ارجع الى حران او امضي الى حلب فقلت في نفسي فهذا
او في بها ديني فمن اين اتقوت فقمت وقصدت
طريق حلب فبت بباب بزاعة وقمت في الليل فاصبحت
تحت قلعة حلب وقت الصباح فصليت وقعدت تحت القلعة
واذا قد فتح بابها ونزل نور الدين في ابهة عظيمة
والامراء بين يديه حتى جاء الى الميدان فلما اراد
ان يدخل نظر الي ورمقني طويلا واشار الى خادم بين
يديه فجاء الخادم الي وقال قم فاخذني وصعد بي
القلعة قال فتندمت على مجيي حلب وقلت يا ليتني قبلت من ذلك

الرجل الصالح ولعل نور الدين نوهوا الي اسماعيلي فذاق
قال فلما كان بعد ساعة عاد نور الدين الي القلعة وجلس
في الايوان ومد سماط عظيم ولم يمد يده اليه واذا قد
فتح باب صغير عن يمينه وخرج منه خادم وعلي يده طبق
خوص مغطي بمنديل فوضعه بين يديه وفيه غضارة عليها
رغيف فتاملتها من بعيد فاذا هي ثردة فتناول منها
شيا يسيرا واكل الناس واكلت معهم وصرف الناس وبقيت
قاعدا خايفا فاومي الي فقمت واتيت الي بين يديه
وانا خايف ارعد فقال من اين انت قلت من حران قال
وما الذي اقدمك قلت علي دين وبلغني احسانك الي
الناس فقصدتك لتقضي ديني قال وكم دينك قلت خمسون
دينارا قال فما قد اعطاك مسر صاحب العباة علي الفرات
خمسين دينارا فهلا رجعت الي اهلك وانت عليك
خرقة الفقر واذا حصل للفقير ما يطلب شيا
اخر ثم قال ما نضيع تعبك ورفع سجادته وكانت زرقا
فاذا تحتها قرطاس شكل القرطاس الذي اعطاني صاحب العباة
قال فبكيت بكاء كثيرا وقلت لا اخذه حتي تخبرني بصاحب
العباة قال هذا امر ما يلزمك فقلت يا مولانا انا رجل
غريب وضعيف ولي حرمة فبالله عليك اخبرني فقال احلف لي

انك لا تحدث بهذا في حياتي فحلفت له فكشف الغطا
واذا بتلك العباة علي جسده وقال اتذكرها يا فقير
فقلت له بالذي اعطاك هذه المنزلة باي شي وصلت
الي هذا فقال بقوله تعالي ان الذين سبقت لهم منا الحسني
الاية ولكن لابد من السبب لما التقينا بالفرنج علي حارم
ونصرنا الله عليهم وعدت الي حلب التقاني في الطريق
شاب حسن الوجه طيب الرايحة فسلم علي وقال يا محمود
انت من الابدال قد اعطاك الله تعالي الدنيا فاشتري
بها الاخرة وساله مما شيت ثم علمني كلمات وقال اذا
طلبت امرا فاذكرها فقلت له بالله عليك من انت فقال
انا اخوك الخضر ثم غاب عني فاذا عزمت علي امر واردت
اذهب الي مكة او الي المدينة او الي اي بلد شيت لبست
هذه العباة وتكلمت بتلك الكلمات واغمض عيني وما
افتحها الا وانا في تلك البقعة **قال** وحكي لي نجم الدين
حسن بن سلام احد عدول دمشق واعيانها وكان
صديقنا وصاحبنا قال لما ملك الاشرف ابن العادل دمشق
وعمر مسجد ابي الدرداء في القلعة وافرده علي الدور
دخلت يوما عليه وهو فيه فقال لي يا نجم الدين كيف تري
هذا المسجد قد عمرته وافردته عن الدور وما صلي فيه احد

منذ زمن أبي الدرداء إلى الآن قال فقلت له الله الله
يا مولانا قال نور الدين منذ ملك دمشق يصلي فيه
الصلوات الخمس فقال من أين لك هذا قلت حدثني والدي
أنه لما نزلت الفرنج على دمياط بعد وفاة أسد الدين
وضايقوها أشرفت على الأخذ فأقام نور الدين عشرين
يوماً صائماً لا يفطر إلا على الماء فضعف وكاد يتلف
وكان مهاباً فلم يتجاسر أحد أن يخاطبه في ذلك وكان
له إمام يقال له يحيى ضرير يصلي به في هذا المسجد ويقرأ
عليه القراءات وله عنده حرمة فاجتمع إليه خواص نور الدين
وخدمه وقالوا قد خفنا على السلطان ونحن من هيبته ما
نقابله وأنت تدل عليه ونسألك أن تسأله أن يتناول
ما يحفظ به قوته قال نعم إذا صليت به غداة غد الفجر
نسأله قال فلما كان في تلك الليلة رأى الشيخ يحيى في
المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له يا يحيى
بشر نور الدين محمود برحيل الفرنج عن دمياط قال
فقلت يا رسول الله ربما لا يصدقني وأريد أمارة
قال قل له بعلامة يوم حارم قال فانتبه يحيى وهو ذاهب
العقل فلما صلى نور الدين خلفه الفجر وشرع يدعو أهابه
أن يحدثه فقال له نور الدين يا يحيى قال لبيك يا مولانا

قال تحدثني أو أحدثك فارتعد يحيى وخرس فقال له
أنا أحدثك رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في هذه
الليلة وقال لك كذا وكذا فقال نعم يا مولانا فما معنى
قوله عليه الصلاة والسلام بعلامة يوم حارم فقال
نور الدين لما التقى الصفان خفت على الإسلام لأني
رأيت من كثرة الفرنج ما هالني فانفردت عن العسكر
ونزلت فمرغت وجهي على التراب وقلت يا سيدي من محمود
في البين الدين دينك والجند جندك وهذا اليوم فافعل
ما يليق بكرمك ونصرنا الله عليهم قال وحدثني
شهاب الدين ابن البانياسي عم كمال الدين بن البانياسي
وكان على ديوان جامع دمشق أول ما قدمت الشام
اجتمعت به في درب الشعارين في قاعة الوزير صفي الدين
بن شكر وزير العادل ابن أيوب وكان هناك جماعة
فاشتغل الوزير بالحديث معهم وكان الشهاب إلى جانبي
فتذاكرنا نور الدين فقال كان أبي يخدم نور الدين
في أسفاره ومقامه على ديوانه قال فحكى لي وأنا
صغير قال خرج نور الدين من دمشق يتصيد في أرض
قطنا ولم يعرفوا أنا معه فبينما هو ذات يوم قد ركب
من المخيم ليذهب إلى الصيد وإذا برجل أعجمي قد أقبل من ناحية دمشق

ومعه خيل له ومماليك وكان تاجرا فلما وصل الى
نور الدين ترجل وقبل فرحب به نور الدين وكان
صديقه قال ابن الارمعان قال الحاضر ومضى نور الدين
فلما عاد استدعاه فاحضر قماشا وعدة مماليك فيهم
مملوك مستحسن جدا فقبل المملوك ورد الباقي وكان
له خادم ابيض يسمى سهيل قد رباه فقال يا سهيل
خذ هذا المملوك وادفع الى التاجر خمسماية دينار وخلعه
وبغله قال ابو الشهنا فحدثني سهيل قال لما كان كذا
قلت انا لله وانا اليه راجعون هذا ما اشترى مملوكا
قط يساوي خمسين دينارا يشتري مملوكا بخمسماية
دينار قال ففعلت ما امرني به فتركني اياما وقال
يا سهيل احضر المملوك مع المماليك كل يوم يقف في الخدمة
قال فاحضرته فلما كان بعد ايام قال لي احضره وقت
العشا الاخيرة الى الخيمة وبت انت واياه على باب
البرج قال فقلت في نفسي هذا الشيخ في زمن شبابه
ما ارتكب كبيرة لما ارتفع سنه يقع فيها والله لاقتلنه
قبل ان يقع في معصية قال فعمدت الى عذار في
فاصلحتها فقلت والله لاقتلنه قبل ان يصل اليه
وجيت بالمملوك الى الخيمة وانا قلق فسهرت عليه ونور الدين

في اعلا البرج فلما كان وقت السحر غلبتني عيناي
فنمت ثم انقلبت فوقعت يدي على خد الغلام
واذا به مثل الجمرة وقد اخذته الحمى فاخذته
ومضيت الى خيمتي فلما اصبحت احضرت الطبيب فرآه
فقال هذا مرضه سماوي فلما كان وقت الظهر
مات فغسلته وكفنته ودفنته فلما كان في اليوم
الثاني دعاني نور الدين فدخلت فقال اقعد
فقعدت فقال يا سهيل ان بعض الظن اثم قال
فاستحييت قال قد عرفت حالي وانت ربيتني هل عثرت
لي على زلة قلت حاش لله قال فلم حملت العداوة
وحدثتك نفسك لي بالسوء ما انا معصوم لما رايت
الغلام وقع في قلبي منه مثل النار فعلمت انه من تسويل
الشيطان فقلت اشتريه لعل يذهب عني ما انا فيه
فلم يذهب فقالت لي نفسي تريد ان تراه كل يوم فامرتك
باحضاره فقالت نفسي ما اقنع الا بان يحضر معك
في البرج في الليل فامرتك ان تحضره فاحضرته فلما كان
في تلك الليلة ما تركتني نفسي انام وبقيت انا واياها
في حرب الى وقت السحر فهممت ان افتح باب البرج وا
الى عندك فجاءتني اليقظة وكشفت راسي وقلت الهي محمود عبد

ضعاح

المجاهد في سبيلك الراغب في دين نبيك محمد افضل الصلوة والسلام
الذي عمر المدارس واوقف الاوقاف وفعل ما فعل يختم
اعماله بمثل هذا قال فسمعت هاتفا يقول قد كفيناك
يا محمود امره لا باس عليك فعلمت انه قد حدث به حدث
واما انت يا سهيل فجزاك الله عن الصحبة خيرا والله ان
القتل اهون علي من الوقوع في المعصية ثم قدم سهيلا
واحسن لبه قال وحكى لي الكمال ابن البابا سي ابن
اخي لشيهان قال حكى لي من يتولى اوقاف نور الدين انه
اخذ بعض بساتينه لرجل من دمشق بستماية درهم فاصاب
البساتين جايحة فجاء ذلك الرجل يتضرر فاستقطوا
عنه ثلثماية درهم فلما كان بعد ايام جاء الرجل ومعه
ستماية درهم وهو يبكي فقلنا له مالك قال رايت في المنام
وقد خرج علي نور الدين من قبره وبيده چوكان وقال
انت تكسر وقفي فقلت انا تايب واراد ان يضربني
ورمي بالدراهم فقلنا له خذها فقال لا والله اخاف
ان يضربني قال وحدثني رجل من اهل حران
قال خرج يوما نور الدين من حران قاصدا الى الرها
فاجتاز على نهر وفقير نايم على جنب النهر فوقف وسلم
عليه فرفع الفقير راسه وقال بيده كذا ومعنى في اي شي

انت تحرك نور الدين اصبعا واحدة تحرك الفقير
اصبعين ومضى نور الدين باكيا فقيل له ما هذا
فقال اشار الي الفقير وقال في اي شي انت وهذا
كله لماذا فقلت من اجل رغيف واحد فاشار الي
باصبعه قال فانا اكل كل يوم رغيفين وما اتاشكك
وقال الفقيه ابو الفتح الاشتري متعبدا لنظامية وكان
قد جمع سيرة مختصرة لنور الدين بلغنا عن جماعة يعتمد
على قولهم ان نور الدين كان اكثر الليالي يصلي
ويناجي ربه بوجهه عليه ويؤدي الصلوات الخمس في
اوقاتها بتمام شرايطها واركانها وركوعها وسجودها
قال وبلغنا عن جماعة يعتمد على قولهم ممن دخلوا
ديار القدس للزيارة حكاية عن الكفار انهم يقولون
ان القسيم بن القسيم يعني نور الدين له مع الله سر
فانه ما يظهر علينا بكثرة جنده وعسكره وانما يظفر علينا
وينصر بالدعاء وصلوة الليل فانه يصلي بالليل ويرفع
يديه الى الله ويدعو الله سبحانه وتعالى ليستجيب دعاءه
ويعطيه سؤله وما يرد يده خايبة فيظفر علينا نهذا
كلام الكفار في حقه وحدث الشيخ داود القدسي
خادم قبر سيدنا شعيب عليه وعلى نبينا افضل الصلوة والسلام

قال حضرت في دار العدل في شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين
فحضر رجل زاهد فيه سمة الخير معروف بالسداد والصلاح
فسألت عنه فقالوا أخو الشيخ أبو البيان وكان شخص قد
اودع عند اخيه الشيخ ابي البيان وديعة وقد توفي فادعى
المودع على هذا الشيخ انه يعلم بالوديعة وطالبه بالرد عليه
فانكر هذا الرجل علمه بالوديعة فاوجب عليه القاضي
كمال الدين حكم الشرع ان يحلف انه لا علم له بهذه الوديعة
فحلف على ذلك فجعل المودع يشنع عليه ويقول حلف كاذبا
ويتكلم في عرضه ويقول في حقه من التشنيع وغيره فحضر
الى عند الملك العادل شاكيا منه وذاكرا سيرته وطريقته
ومن الذي يقدر ان يقول في حق هذا ويتعرض في
واراد بالتماسه من الملك العادل التقدم باحضاره و
الانكار عليه مما يقول في حقه فلما فرغ من الكلام ورمى
ما كان في حقه من دعوى الحنيفة والطريقة وكان
حاصله التماس الانكار عليه قال له الملك العادل اليس ان
الله تعالى يقول في كتابه الكريم واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما فاذا كان يجهل عليك ويقول في حقه الجهل
فلا يجوز يجب عليك ان لا تحمل معه مثل معاملته فتكون
مثله وكانك قابلت الاساءة بالاساءة ومن حقك ان تقابل

الاساءة بالاحسان فقلت في نفسي لحق ما قاله الملك
العادل اما قراء هذا في كتب التفسير فبقيت في قلبي
اذا اجراه الله على لسانه وانطقه به **وقال** قاضي
القضاة بهاء الدين بن رافع بن تميم كان نور الدين
ينفذ في كل سنة في شهر رمضان يطلب من الشيخ عمر
الملا شيئا يفطر عليه فكان ينفذ اليه الاكياس فيها
الفتيت والرقاق وغير ذلك فكان نور الدين يفطر عليه
وكان اذا قدم الموصل لا ياكل الا من طعام الشيخ عمر الملا
وقال صاحب المرآة حكى لنا شيخنا تاج الدين الكندي
رحمه الله قال لم يبتسم نور الدين الا نادرا قال
وحكى لي جماعة من شيوخنا المحدثين انهم قرأوا عليه
حديث التبسم وكان يرويه فقالوا له تبسم فقال لا
والله لا اتبسم من غير عجب **ذكر** الالقاب التي جاءت
من بغداد مع الخلعة ويخطب له بها على المنابر اللهم
واصلح المولى السلطان الملك العادل العالم العابد الزاهد
العابد الورع المجاهد المرابط المثاغر نور الدين
وعدته ركن الاسلام وسيفه قسيم الدولة وعمادها
اختيار الخلافة ومعزها رضي الامامة واثيرها فخر
الملة ومجيرها شمس المعالي وملكها سيد ملوك المشرق والمغرب وسلطانها

محيي العدل في العالمين، منصف المظلوم من الظالمين،
ناصر دولة امير المومنين، ثم ان نور الدين احفظ
الجميع فتلمو منه وقال اللهم واصلح عبدك الفقير
محمود بن زنكي **فروي** اذ كتب رقعة بخطه الى
وزيره خالد بن القيسراني يامره ان يكتب له صورة
ما يدعى له على المنابر وكان مقصوده صيانة الخطيب
عن الكذب ولئلا يقول ما ليس فيه فكتب ابن القيسراني
كلاما دعي له به ثم قال واري ان يقال على المنابر اللهم
واصلح عبدك الفقير الى رحمتك الخاضع لهيبتك المعتصم
بقوتك المجاهد في سبيلك المرابط لاعداء دينك
ابا القاسم محمود بن زنكي بن اقسنقر ناصر امير المومنين
فان هذا ما يدخله كذب فكتب نور الدين على راس الورقة
بخطه ما صورته مقصودي ان لا يكذب على المنبر انا
بخلاف كل ما يقال افرح بما لا اعمل فلة عقل عظيم
الذي كتب به جيد اكتب به نسخا الى البلاد وكتب في
اخر الرقعة ثم يبدا بالدعاء اللهم اره الحق حقا
اللهم اسعده اللهم انصره اللهم وفقه من هذا الجنس
وكان يقول لاصحابه حرام على كل من صحبني ولا
يرفع الي قصة مظلوم لا يستطيع الوصول الي **قال** ابن

الاثير حكي لنا الامير بهاء الدين علي بن الشكري
وكان خصيصا بخدمة نور الدين قال كنت مع نور الدين
يوما في الميدان بالرها والشمس في ظهورنا فكلما
سرنا تقدمنا الظل فلما عدنا صار الظل وراء ظهورنا
فاجري فرسه وهو يلتفت وراءه ثم قال اتدري
لاي شي اجري فرسي والتفت ورائي قلت لا قال
شبهت ما نحن فيه بالدنيا تهرب ممن يطلبها وتطلب
من يهرب منها فرضي الله عن ملك تفكر في مثل
هذا وانشد صاحب الروضتين في هذا المعنى بيتين **شعر**

مثل الرزق الذي تطلبه ، مثل الظل الذي يمشي معك
انت لا تدركه متبعا ، فاذا وليت عنه تبعك

وذكر عبد الرحمن بن نصر الشيرزي في كتابه
المسمى المنهج المسلوك في سياسة الملوك قال حدثني
الفقيه ابو طاهر ابراهيم بن الحسين بن الحصني
الحموي قال كنت عند الملك العادل نور الدين محمود
بن زنكي في دار العدل بدمشق وقد اخرج جريدة
خراج املاك فجعل ينظر فيها فلما انتهى الى ذكر خراج
معرة النعمان قال اني عرفت على انتزاع املاك
اهل المعرة من ايديهم فقد رفع الي اهل الخبرة من الثقات

انّ جميع اهل المعرّة يتقارضون الشهادة فيشهد احدهم
لصاحبه في دعوى ملك حتى يشهد معه ذلك في دعوى
اخرى وان الملك الذي في ايديهم انما حصل لهم بهذا
الطريق قال فقلت له ايها الملك ان الله تعالى اوجب عليك
العدل في رعيتك فانظر واكشف وتوقف في الامور اذا
رفعت اليك فان اهل المعرة خلق كثير يستحيل تواطيهم على شهادة
الزور وانتزاع الاملاك من اربابها بمجرد هذا القول لا
يجوز قال فاطرق ساعة ثم رفع راسه وقال اني امسكها
عليهم ثم اكشف عنها بعد ذلك والتفت الى كاتبه وقال
اكتب كتابا الى الوالي في المعرة ليتمسك جميع الملك الذي
في ايدي اهله حتى يستدعي البينة في ذلك فكتبه ووضعه
بين يديه ليعلم عليه واذا صبي على شاطي بردا يغني و

اعدلوا ما دام امركم	،	نافذا في النفع والضرر
واحفظوا ايام دولتكم	،	انكم منها على خطر
انما الدنيا وزينتها	،	طيب ما يبقى من الاثر

قال فلما سمعه الملك العادل تغير لونه وهملت عيناه
بالدموع ثم نظر وقال فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى
فله ما سلف وامره الى الله ثم استدار نحو القبلة وقال
اللهم اني استغفرك واتوب اليك مما عزمت عليه الان ثم تناول

الكتاب فمزقه وجعل يستغفر الله جميع ذلك اليوم وذكر
الشيخ جمال الدين المطري رحمه الله في تاريخ المدينة
الشريفة على ساكنها افضل الصلوة والسلام قال وصل
السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن
اقسنقر رحمه الله في سنة سبع وخمسين وخمسمائة الى المدينة
الشريفة لرؤيا رآها ذكرها بعض الناس من الفقيه علم الدين
يعقوب بن ابي بكر المحترق ابوه ليلة حريق المسجد
عمن حدثه عن اكابر من ادرك ان السلطان محمود
المذكور راى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات في
ليلة واحدة وهو يقول له في كل مرة منها يا محمود انقذني
من هذين الشخصين يشير الى اشقرين تجاهه فاستحضر
وزيره قبل الصبح فذكر له ذلك فقال هذا امر حدث
في مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فليس له غيرك فتجهز
وخرج على عجل بمقدار الف راحلة وما يتبعها من خيل
وغير ذلك حتى دخل المدينة على غفلة من اهلها فزار
وجلس في المسجد لا يدري ما يصنع فقال له الوزير
اتعرف الشخصين اذا رايتهما قال نعم فطلب الناس عامة
للصدقة وفرق عليهم ذهبا كثيرا وفضة وقال لا يبقين
احد بالمدينة الا جاء فلم يبق الا رجلان مجاوران من اهل

نازلات في الناحية التي تلي قبلة حجرة النبي صلى الله عليه وسلم
من خارج دار آل عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي تعرف
اليوم بدار العشرة فطلبهما للصدقة فامتنعا وقالا نحن على
كفاية ما نبتغي شيئا فجد في طلبهما فجيء بهما فلما رآهما
قال للوزير هما هذان فسالهما عن حالهما وما جاء بهما
فقالا اتينا لمجاورة النبي صلى الله عليه وسلم فقال اصدقاني
وتكرر السؤال حتى افضى الى معاقبتهما فاقرا انهما من
النصارى وانهما توصلا لكي ينقلا من في هذه الحجرة
باتفاق من ملوكهم ووجدهما قد حفرا نقبا تحت الارض
من تحت حائط المسجد القبلي وهما قاصدان الى جهة الحجرة
الشريفة ويجعلان التراب في بئر عندهما في البيت الذي
هما فيه فضرب اعناقهما عند الشباك الذي في شرقي
حجرة النبي صلى الله عليه وسلم خارج المسجد ثم احرقا بالنار
آخر النهار وركب متوجها الى الشام فصاح به من كان
نازلا خارج السور واستغاثوا وطلبوا ان يبني عليهم سورا
يحفظ ابناءهم وماشيتهم فامر ببناء هذا السور المجدد
اليوم فبني في سنة ثمان وخمسين قدس الله روحه وكتب
اسمه على باب البقيع فهو باق الى اليوم رحمه الله تعالى وقدس روحه

الباب السادس

في نبذة مما مدح به من الاشعار الفائقة والقصائد البديعة
الرائقة وكان رحمه الله قليل الابتهاج بالشعر وبحسن
عليه وقد مدح باشعار كثيرة واوصافه فوق ما مدح به
وكان في دولته شاعران اشعر زمانهما ابو عبد الله محمد
بن نصر بن صغير القيسراني وابو الحسن احمد بن منير
ولهما فيه مدائح ولغيرهما منائح فمن ذلك قول ابن القيسراني في قصيدة

ذوا الجهاد بين عدو ونفس … فهو طول الحياة في هيجاء
ايها المالك الذي الزم الناس … سلوك المحجة البيضاء
قد فضحت الملوك بالعدل لما … سرت في الناس سيرة الخلفاء
فاسما ما ملكت في الناس حتى … لرفعنا التقى على الاتقياء
شيم الصالحين في خير الترك … وكم من سكينة في فناء
انت حينا تعاش بالاسد الورد … وحينا تعد في الاولياء
صاغك الله من صميم المعالي … حيث لا تشبهما سوى الآلاء
وكان الفناء منك لما صيغ … من الطهر مسجد بفناء
انت ان لا تكن نبيا فما ذي … فانك لا خلاء يوالانبياء
رافة في شهامة وعفاف … في تبذل وسطوة في حياء
وجمال ممنطق بجلال … وكمال متوج ببهاء
عجب الناس منك في الحرب فعلا … كشهاب للكتيبة الشهباء
وكان السيوف من عزمك الماضي … افادت ما عندها من مضاء

ولعمري لو استطاع فداك القوم ، بالأمهات والأولاد والآباء

وله فيه

لله عزمك أي سيف وغى ، طبعت مضاربه على القهر
ما رفت الحرب لعنوانيه ، الا انجلت عن معقل بكر
هل وجه نور الدين عن بشر ، سطع الدجى عن غرة البدر
ملك مهابة طلعته أبدا ، أما وجبينه دائم البشر
كم قد كبتهم بصاعقة ، شغلت قلوبهم عن الفكر
تركت حصونهم تحوطهم ، فالقوم قبل الأسر في أسر
عصم العواصم فهي ضاحكة ، تجلو الصبى ثغرا على ثغر
وإذا سرا بأجيله فلت ، نهضت سرايا الخوف والذعر
ورمى القلاع بمثل جند لها ، حتى استكانت الصخر بالصخر
يا سائلي عن نهج سيرته ، هل غير مفرق هام النجر
عدلك حقيق من تأمله ، أنى يجيئي لعمر بالذكر
وشهامته في الله خالصة ، عقدت عليه تمائم الحجر
وندى يديه ما صدر وارده ، أن لا يبيت يجاور البحر
هذا المخيم في ذرى حلب ، وثناه أبدا على ظهر

وله فيه

ملك شبه الملائك فضلا ، وشبيه بمالك الأمر جنده
عم إحسانه فأصبح يتلى ، شكره في الورى ويذكر حمده

نسقي الله ذكره أينما حل ، ولا فاته في النصر فلج

وله فيه

سام الشآم وبأهلها صنعة ، لولاه ما عتت على يد سائم
تلك التي جمحت على مرتاضها ، ودعوت فانقادت بغير شكائم
وإذا السعادة أحسنت في دولة ، قام الزمان لها مقام الخادم
حصن بلا دك هيبته لا رهبة ، فالدرع من عدد الشجاع الحازم
هيهات يطمع في محلك طامع ، طال البناء على يمين الهادم
كلفت همك السمو وكلفت ، فكأنما هي دعوة في ظالم
وأظن أن الناس لما لم يروا ، عدلا كعدلك أرخوا بالأيام

أيا ملكا لدنيا الجلال جلى لكنه ، له الأرض دار والبرية أعبد
وليست بدعوى لا ينوء دليلها ، ولكنه الحق الذي ليس يجحد
أخو غزوات كالعقود تناسقت ، تحل بلجين الجياد وتعقد
لسان بذكر الله يكسو نهاره ، وجفن في الدجى ليس يرقد
وبذل وعدل أغرقا وتألقا ، فلا الرزق ممنود ولا الباب موصد
قوام سماوي وحزم مسدد ، ورأي شهابي وعزم مؤيد

الباب السابع

في ذكر غزواته العديدة وفتوحاته السعيدة وما جرى في زمانه من الأمور الغريبة والحوادث العجيبة من ولايته

الى وفاته على سبيل الاختصار سنة احدى عشر وخمسمائة
ولد فيها نور الدين محمود وفيها غرقت سنجار من سيل
المطر وغرق فيها خلق كثير حتى ان السيل اخذ
باب المدينة وذهب به عدة فراسخ واختفى تحت التراب
الذي جره السيل ثم ظهر بعد سنوات ومن اعجب ما
حكى ان السيل حمل مهدا فيه طفل فتعلق المهد في شجرة
ونقص الماء فسلم ذلك الطفل وغرق غيره من الماهرين
بالسباحة وفيها زلزلت اربل وبغداد وغيرهما من البلاد
المجاورة لها زلزلة عظيمة ووقع بالجانب الغربي من بغداد
دور وحوانيت على اهلها وفيها هجم الفرنج على بعض
حماه فقتلوا خلقا كثيرا ورجعوا الى بلادهم وفيها توفي
السلطان محمد بن ملك شاه السلجوقي سلطان بلاد العراق
وخراسان وغير ذلك من البلاد الشاسعة والاقاليم الواسعة
وكان من خيار الملوك واحسنهم سيرة وقام بالامر بعده ابنه
محمود وله اربع عشر سنة وفرق خزاينه في العسكر
وقيل كانت احدى عشر الف الف دينار عينا وما يناسب
ذلك من العروض سنة اثني عشر فيها مات بغدوين
الذي فتح القدس وكان صا راحسا شجاعا باحد مصر وسار
في جموعه حتى وصل بلبيس ثم رجع عليلا فمات بصبخة بردويل

نشقوه وصبروه ورموا حشوته هناك قال الذهبي
ودفن بالقمامة وتملك القدس بعده القمص صاحب
الرها وكان قد قدم القدس زائرا فرمي بعدوله
بالملك بعده وفيها توفي الخليفة المستظهر وولي بعده
ولده ابو الفضل منصور ولقب بالمسترشد بالله ومن
الاتفاق الغريب انه لما مات السلطان الب ارسلان مات
بعده الخليفة القائم ثم لما مات السلطان ملك شاه مات
بعده المقتدي ثم لما مات محمد مات بعده المستظهر هذا
وفيها كان حريق كثير ببغداد احترقت الريحانيين
ومسجد ابن عبدون وفيها قبض على ابن ابي طاهر
الخرزي صاحب المخزن واعدم واخذ من داره مائة
الف دينار وجدت مدفونة سنة ثلاث عشر فيها خرج
على المسترشد اخوه ابو الحسن ابن المستظهر بالله ومضى
الى واسط ودعا الى نفسه واجتمع معه جيش وتملك واسط
واعمالها وجبى الخراج وشق ذلك على الخليفة فبعث
ابن الانباري كاتب الانشاء الى دبيس وعرفه ذلك
وقال امير المؤمنين معول عليك فاجاب وجهز صاحب
جيشه عنانا في جمع كبير فلما سمع ابو الحسن ذلك ترحل
من واسط في عسكره ليلا فاضلوا الطريق وساروا الليل اجمع

الحرق

حتى وصلوا الى عسكر دبيس فلما لاح لهم العسكر
ابو الحسن عن الطريق فتاه مع عدد من خواصه وذلك
في تموز ولم يكن معهم ماء فاشرفوا على التلف فادركهم
نضر بن سعيد الكردي فسقاه حتى عادت نفسه اليه
ونهب ما كان معه من ماله وحمله الى دبيس الى النعمانية
فانفذه الى بغداد وخيم بالرقة وبعث به الى المسترشد
بعد تسليم عشرين الف دينار فردت عنه وكانت ايامه
احدى عشر شهرا وشمر وزيره ابن دهموبه على جمل
ثم قتل في الحبس ودخل الامير ابو الحسن على اخيه
المسترشد فقبل قدمه فبكيا جميعا ثم قال لقد فضحت نفسك
وباعوك بيع العبيد واسكنه في داره التي كان فيها
وهو ولي عهده ورد جواريه واولاده واحسن السيرة
اليه ثم شدد عليه بعد ذلك وفيها خطب بولاية العهد
للامير ابي جعفر منصور بن المسترشد وله اثنتي عشرة سنة
وفيها كانت الوقعة بين السلطانين سنجر ومحمود
بن اخيه وذلك ان سنجر لما بلغه موت اخيه السلطان
محمد قصد العراق عازما ان يملكه فلما سمع محمود تحرك
عمه سنجر نحوه راسله ولاطفه وقدم له تقادم فابى
الا القتال او النزول له عن السلطنة فتجهز محمود وتضمن معه

قعة

ثلاثون الفا واقتتل سنجر في نحو مائة الف وكانت الواقعة
بصحرا ساوه وكان مع سنجر خمسة ملوك على خمسة اسرة
واربعون فيلا عليها البركصطوانات والمراذات
والزينة الباهرة وخلق من الاسماعيلية فلما التقوا
هبت ريح سوداء اظلمت الدنيا وظهر في الجو حمرة
منكرة واثار مزعجة وخاف الناس ثم انكشفت
الظلمة واقتتلوا فانكسرت ميمنة سنجر ثم ميسرته
وثبت هو في القلب وحده وتفرق اكثر جيوشه
في النهب فحمل سنجر بالفيلة فولت الخيل منها فتاخر
محمود ولم ينهزم فلم يتبعه سنجر لانه راى جيشه
قد انهزم اكثره وثقله نهب وقتل كثير من امرائه
واسر وزيره وارسل الى ابن اخيه يقول له انت ابن
اخي وولدي وما اواخذك لانك محمود على ما صنعت
ولا اواخذ اصحابك لانهم لم يطلعوا على حسن نيتي لهم
فقال محمود انا مملوكه ثم جاء بنفسه وسنجر قد جلس
على سريره فقبل الارض فقام له سنجر واعتنقه وقبله
واجلسه معه وخلع عليه خلعة عظيمة وكان على سرج
الفرس الخلعة جوهر بعشرين الف دينار واكل معه وخلع
على امرائه وافرد له اصبهان يكون حاكما عليها وعلى ممالكه فالبس

وخورستان وجعله ولي عهده وزوجه ابنته ثم عاد
الى خراسان ثم جاءت رسله بالتقادم الى الخليفة
وهي ثلاثون تختا من الثياب وخف وعشر مماليك
واقطاع للخليفة بخمسين الف دينار وللوزير بسبعة آلاف
دينار وفيها سارت الفرنج الى مدينة حلب ففتحوها
وملكوها وقتلوا من اهلها خلقا فسار اليهم صاحب
ماردين ابن غازي ابن ارتق في جيش كثيف فهزمهم
عنها وحصرهم الى جبل قد تحصنوا فيه فقتل منهم هناك
مقتلة عظيمة ولم يفلت منهم الا اليسير واسر من
مقدميهم نيفا وسبعين اسيرا وقتل فيمن قتل سرجال
صاحب انطاكية وحمل راسه الى بغداد وفيها ظهر قبر
سيدنا ابراهيم الخليل وقبر اسحاق ويعقوب عليهم
الصلوة والسلام وراهم كثير من الناس لم تبل اصلا
اجسادهم وعندهم في المغارة قناديل من ذهب
وفضة قاله حمزة بن اسد التميمي في تاريخه على ما حكاه
ابن الاثير سنة اربع عشرة فيها كانت وقعة عظيمة
بين الكرج والمسلمين بالقرب من تفليس ومع الكرج كفار
القفجاق فقتلوا من المسلمين خلقا كثيرا وغنموا اموالا
جزيلة واسروا نحو من اربعة آلاف اسير ونهب الكرج

تلك النواحي وفعلوا اشياء منكرة وحاصروا تفليس
مدة ثم ملكوها عنوة بعد ما احرقوا القاضي والخطيب
حين خرجوا اليهم يطلبون الامان وقتلوا عامة
اهلها وسبوا الذرية واستحوذوا على الاموال فلا
حول ولا قوة الا بالله وفيها خطب للسلطان سنجر
ولابن اخيه السلطان محمود معا في موضع واحد
وسمي كل واحد شاهنشاه ولقب سنجر عضد الدولة
سنة خمس عشرة فيها انقض كوكب عظيم من ضوءه اعتم
عند انقضاضه وسمع له عند ذلك صوت هدة
كالزلزلة وفيها هبت بمصر ريح سوداء ثلاثة ايام
فهلكت خلقا كثيرا من الناس والدواب والانعام وفيها
كانت زلزلة عظيمة بالحجاز تضعضع بسببها
الركن اليماني زاده الله شرفا وتهدم شيء من
من حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة الشريفة
وفيها احترقت دار المملكة التي استجدها بهروز
الخادم باصبهان وكان بها السلطان نائما على سطح
فنزل وهرب في سفينة وذهب من الفرش والالات
والجواهر ما تزيد قيمته على الف الف دينار ولم
يبق فيها شيء من الاثاث سوى اليا قوت الاحمر وغسل

الغسالون التراب وظفروا بالذهب والحلي الذي قد سبك
ولم يسلم من الدار الا الخشب وامر السلطان ببناء
دار له غيرها واعرض عن الدار التي احترقت وقال
ان ابي لم يتمتع بها ولا امتد بقاؤه بعد انتقالها
الينا وقد ذهبت اموالنا فيها وفيها احترق باصبهان
جامع انفقت عليه اموال يقال انه غرم على اخشابه الف الف
دينار وفي جملة ما احترق فيه خمسمائة مصحف ثمانية منها
مصحف ابي بن كعب رضي الله عنه وفيها كان ببغداد
امطار عظيمة متوالية ثم وقع ثلج عظيم وكثر حتى كان
علوه ذراع قال ابن الجوزي وقد ذكرت في كتابي يعني
المنتظم ان الثلج وقع في سنين كثيرة في ايام الرشيد
وفي ايام المقتدر وفي ايام المطيع والطائع والقادر والقائم
وما سمع بمثل هذا الواقع في هذه السنة فانه بقي خمسة
عشر يوما ما ذاب وهلك شجر الاترج والليمون ولم
يعهد سقوط ثلج بالبصرة الا في هذه السنة وفيها جلس
الخليفة المسترشد في دار الخليفة في ابهة عظيمة والبردة
على كتفه والقضيب بين يديه وجاء الاخوان الملكان
محمود ومسعود ابني محمد بن ملكشاه فوقفا بين يديه
وقبلا الارض فخلع على محمود سبع خلع بطوق وسوارين وتاجا

واجلس على كرسي ووعظه الخليفة وتلا عليه قوله تعالى
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره وامره بالاحسان الى الرعية وعقد له الخليفة
اللواء بيده وقلده الملك وخرجا من بين يديه وتوجها
الى دارهما والجيش بين ايديهما في ابهة عظيمة وفيها
مرض وزير السلطان فعاده وهنأه السلطان بالعافية
فاحتمل واحتفل وعمل الغني الوزير وليمة عظيمة الى الغاية
فيها الملاهي والاغاني نائبة عليها خمسون الف دينار
وفيها حكى ابن الجوزي عن خط من خبره بالصدق
انه كان في سوق نهر المعلى وبين يديه رجل على
راسه قفص زجاج وهو مضطرب المشي يظهر منه عدم
المعرفة بالحمل فما زلت انتظر سقوطه قال فسقط
فتكسر الزجاج فبهت الرجل ثم بكى وقال هذا والله جميع
بضاعتي والله لقد اصابني بمكة مصيبة عظيمة تربي
على هذه واجتمع حوله جماعة يرثون له ويبكون وقالوا
ما الذي اصابك بمكة فقال دخلت قبة زمزم وتجردت
للاغتسال وكان في يدي دملج فيه ثمانون مثقالا فخلعته
واغتسلت ونسيته وخرجت فقال رجل من الجماعة هذا
دملجك خذه له معي سنين فدهش الناس من اسراع خبر مصيبته

وفيها قتل الملك الأفضل احمد بن امير الجيوش بدر الجمالي
مدبر دولة الفاطميين وخلف من الأموال ما لم يسمع
بمثله قال ابن خلكان خلف ستمائة الف الف دينار
عينا ومائتي وخمسين اردبا دراهم وسبعمائة الف ثوب
أطلس ديباج وثلاثين احقاقا ذهب عراقي ودواة ذهب
فيها جوهر قيمته اثني عشر الف الف دينار ومائة
مسمار ذهب وزن كل مسمار مائة مثقال في عشر مجالس
في كل مجلس عشرة على كل مسمار منديل مشدود بذهب
كل منديل على لون من الألوان أيما احب منها لبسه
وخمسمائة صندوق لبس بدنه وخلف من الرقيق
والخيل والبغال والمراكب والطيب والحلي وغير ذلك
ما لم يعلم قدره الا الله وخلف من البقر والجواميس
والغنم ما يستحي الانسان من ذكر عدده وبلغ ضمان
البانها في السنة ثلثين الف دينار ووجد في تركته
صندوقان كبيران فيهما ابر ذهب برسم النساء والجواري
سنة تسع عشرة فيها قتل وزير السلطان محمود ابو طالب
السميرمي قتله باطني وكان قد برز للمسير الى همدان
وكانت قد خرجت زوجته في مائة جارية بمراكب الذهب
فلما بلغت قتله رجعن حاسرات الرؤس قد اهن بعد العز

وفيها ظهر معدن النحاس بديار بكر قريبا من قلعة
ذي القرنين سنة سبع عشرة فيها ختن الخليفة المسترشد
اولاده واولاد اخوته فزينت بغداد وعمل الناس القباب
وعملت خاتون قبة بباب النوبي علقت عليها من
الديباج والجواهر ما ادهش الابصار وعملت قبة
على باب السيد العلوي عليها غرائب الحلي والحلل
من ذلك ستارات من الديباج الرومي طول الستر
نحو عشرين ذراعا على الواحد اسم المقتفي لله وعلى الآخر
اسم المعتز بالله وبقوا اسبوعا سنة ثمان عشرة فيها ظهرت
الباطنية بآمد فقاتلهم اهلها فقتلوا منهم سبعمائة نفس
ولله الحمد وفيها اخذ الفرنج صور من طغتكين بعد حصار
شديد واستنجد طغتكين بالمصريين فما نجدوه فلما
اشرف اهلها على الهلاك راسل طغتكين ملك الفرنج على
ان يسلمها اليه ويمكن اهلها من حمل ما يقدرون عليه
من الامتعة فاجابه الى ذلك ووفى بالعهد وتفرق اهلها
في البلاد ودخلها الفرنج في الثالث والعشرين من جمادى
الاول وكانت من امنع حصون المسلمين فانا لله وانا اليه راجعون
ودامت في يد الفرنج الى سنة تسعين وستمائة سنة تسع عشرة
فيها قتلت الباطنية القاضي ابا سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي

بحملات وكان قد ارسله الخليفة الي السلطان سنجر
يخطب له ابنته ومنها قصد دبيس والسلطان
طغرل بغداد لياخذاها من الخليفة فلما قربا منها برز اليهما
الخليفة في جحفل عظيم والناس سكات بين يديه وعليه
السواد والبردة والقضيب بيده ثم ركب الناس بعد ذلك
فلما امست الليلة التي تيقنا تلوثت في صبيحتها وفي
عزمهم ان ينهبوا بغداد ارسل الله عليهم مطرا عظيما
ومرض السلطان طغرل في تلك الليلة فتفرقت تلك
الجموع ورجعوا علي اعقابهم خاسئين خائبين

سنة عشرين وخمسمائة

فيها استفحل امر بهرام داعي الباطنية بحلب
والشام وعظم الخطب ثم التمس من طغتكين حصنا يحتمي به
فاعطاه بانياس فصار اليها وتجمع اليه اوباش فعظمت
البلية بهم وتالم العلماء واهل الدين واحجموا عن
الكلام فيهم والتعرض لهم خوفا من شرهم لانهم قتلوا
جماعة من الاعيان وصاروا بحيث لا ينكر عليهم ملك
ولا وزير فلا حول ولا قوة الا بالله

سنة احدى وعشرين

فيها جاء الخبر بان السلطان سنجر قتل من الباطنية
اثني عشر الفا وقتلوا وزيره المعين لانه كان يحرص
عليهم وعلي استيصالهم فتحيل رجل منهم وصار سايسا للبغال

المعين فلما وجد الفرصة وثب عليه وهو مطمئن فقتله
وقتل بعده وكان هذا الوزير ذي دين ومروة
وحسن سيرة ومنها فوض السلطان محمود شحنكية
بغداد الي عماد الدين زنكي والد نور الدين ثم ولي
بعد موت عز الدين مسعود بن اقسنقر البرسقي
في هذه السنة الموصل فرتب الامور علي احسن نظام
واحكم قاعدة وكان الفرنج قد اتسعت بلادهم وكثرت
اجنادهم وامتدت الي بلاد المسلمين ايديهم وضعف
اهلها عن كف عاديتهم وتتابعت غزواتهم وامتدت
مملكتهم من ناحية ماردين وسجستان الي عريش ولم
يتخلله من ولاية المسلمين غير حلب وحماة وحمص ودمشق
وكانت سراياهم تبلغ ديار بكر الي آمد ومن الجزيرة
الي نصيبين وراس عين واما اهل الرقة وحران فقد
كانوا معهم في ذل وهوان وانقطعت الطرق الي دمشق
الا علي الرحبة والبرية ثم زاد الامر وعظم الشر حتى
جعلوا علي اهل كل بلد جاورهم خراجا ثم لم يقنعوا
بذلك حتى ارسلوا الي دمشق واستعرضوا الرقيق ممن
اخذ من الروم والارمن وسائر بلاد النصرانية وخيروهم
بين المقام عند اربابهم والعود الي اوطانهم فمن اختار المقام تركوه

ومن آثر العود الى اهله اخذوه وناهيك بهذه الحالة
ذلة للمسلمين واما اهل حلب فان الفرنج اخذوا منها
مناصفة اعمالها حتى في الرحا التي على الجنان وبينها
وبين المدينة عشرون خطوة واما في بلاد الشام وكان
حالها اشد من حال هذين البلدين فلما نظر الله تعالى
الى بلاد المسلمين ولاها عماد الدين زنكي غزى الفرنج
في عقر ديارهم واخذ للموحدين منهم ثارهم واستنقذ منهم
حصونا ومعاقل وسيأتي تفصيل ذلك وفيما فتح من البلاد
الاسلامية ان شاء الله تعالى وفيها ملك عماد الدين
زنكي والد نور الدين مدينة حلب وما حولها من البلاد
وفيها تحارب الخليفة والسلطان محمود ببغداد فثارت
الاعوام مع جيش الخليفة فكسروا جيش السلطان وقتلوا
خلقا من الامراء واسروا الحزين ونهبوا دار السلطان
ودار وزيره وجرت خبطة عظيمة جدا وقالت العامة
من السلطان وجعلوا يقولون يا باطنية تترك الروم
والفرنج وتقاتل الخليفة ثم حصل الصلح بينهم وتخالف ودخل
جيش السلطان بغداد وهم في غاية الجهد من قلة
الطعام عندهم في العسكر وقالوا لو لم نصالح لمتنا جوعا
وظهر من السلطان حلم عظيم على العوام سنة اثنين وعشرين فيها

فتح زنكي مدينة اربل وعظم شانه واستعدت دولته
سنة ثلاث وعشرين فيها ملك عماد الدين زنكي سنجار
والخابور والرحبة وافتتح نصيبين وفيها اظهر زنكي انه
يريد جهاد الفرنج وارسل الى تاج الدين بوري يستنجده
فبعث له عسكرا بعد ان اخذ عليه العهد والميثاق وامر
ولده سونج ان يسير اليه من حماه ففعل فاكرمهم زنكي
واطمانهم اياما ثم غدر بهم وقبض على سونج وعلى امراء
ابيه ونهب خيامهم وحبسهم بحلب وهرب جندهم ثم
سار ليومه الى حماه واستولى عليها ونازل حمص وحاصرها
مدة فلم يقدر عليها فرجع الى الموصل ولم يطلق سونج
ومن معه حتى اشتراهم تاج الملوك بوري منه بخمسين
الف دينار قال الذهبي ثم لم يتم ذلك ووقفت الناس زنكي
على قبيح فعله انتهى وحكى صاحب الروضتين عن ابن
ابي يعلى ان زنكي طلب في اطلاق سونج واصحابه خمسين الف
دينار فاتفق حضور دبيس بن صدقة من العراق فتهيا
فطلبه زنكي واطلق من كان عنده من سونج واصحابه وفيها
اتفق ان بهرام الاسماعيلي داعي الباطنية وكان مقيما
ببانياس كما تقدم فاستدعى برق بن جندل المقدم
وادي التيم وقتله صبرا بين يديه لا لسبب فالم الناس لذلك

لشهامته وحسنه وحداثة سنه وهلع اهل وادي التيم طالبين
بثاره مع اخيه الضحاك بن جندل فحشدوا وقصدوا بانياس
وجمع بهرام ايضا وخرج اليهم فبغتوه صباحا واعجلوه
قبل ان يركب من مخيمه هو واصحابه فقتلوهم اشر قتلة وقتلوه
هو ايضا في جملتهم واخذوا راسه فطافوا به في بلادهم
ثم بعثوه الي الخليفة بمصر الآمر بامر الله لانهم كانوا ينتمون اليه
ويقولون بانتظار الحاكم ليعود من غيبته ويتسمون في
ايمانهم بحقه فبعث الي اعيان اهل الوادي الخلع والاقفاد
ثم قام بعد بهرام صاحبه اسماعيل العجمي فجد في الاضلال
والاستغواء جدوة وعامله الوزير المزدقاني بما كان
يعامل به بهرام فانه كان يصادق الباطنية ويراعي اصحابهم
وغرضه في ذلك ان يساعدوه علي اعدائه ويحيدوه
اذا دهمه امر لا يطيقه فلم يغن عنه ذلك من الله شيا وضرب
عنقه الملك بوري صاحب دمشق واحرق بدنه وعلق
راسه وانقلب البلد بالسرور وحمدوا الله وثارت الاحداث
والشطار في الحال بالسيوف والخناجر يقتلون من راوه من
الباطنية واعوانهم ومن يتهم بمذهبهم ويتبعونهم حتي افنوهم
وامتلات الطرق والاسواق بجيفهم وكان يوما مشهودا
اعز الله فيه الاسلام واهله واخذ جماعة اعيان منهم شادي الخادم

تربية ابي طاهر الصايغ الباطني الحلبي وكان هذا الخادم
راس البلاء فعوقب عقوبة شديدة شفت القلوب ثم صلب
هو وجماعة علي السور وقتل بدمشق من كان يرمي بمذهب
الباطنية ستة الاف نفس ولما سمع اسماعيل الداعي واعوانه
ببانياس ما جري انخذلوا وذلوا وسلم اسماعيل اللعين بانياس
الي الفرنج وذهب هو وطائفته الي البلاد الافرنجية في
الذلة والقلة ثم مرض اسماعيل بالاسهال وهلك فلا رحمه
الرحمن ولما عرف الفرنج بواقعة الباطنية وانتقلت اليهم بانياس
قويت نفوسهم وطمعوا في دمشق وحشدوا وتالبوا وجمعوا
من الرها وانطاكية وطرابلس والسواحل والقدس فكانوا
نحوا من ستين الفا بين فارس وراجل فتاهب تاج الملوك
بوري وطلب التركمان وانفق الخزاين واقبل الملاعين
قاصدين دمشق فنزلوا علي الجسر الخشب والميدان وبرز عسكر
دمشق وجاء التركمان والعرب وعليهم الامير مرة بن
ربيعة وبعثوا كراديس في عدة جهات فلم يبرز احد من
الفرنج بل لزموا خيامهم فاقام الناس اياما هكذا ثم وقع
المصاف فحمل المسلمون وشدوا الفرنج فلم يزل عسكر الاسلام يكر
عليهم ويقتل منهم الي ان قتلوا وخذلوا وولوا ووضع المسلمون
فيهم السيف وغنم المسلمون غنيمة لا تحد ولا توجد وهرب حشاشة الفرنج

في الليل وابتهج الخلق بهذا الفتح المبين فلله الحمد والشكر
سنة اربع وعشرين فيها كانت زلزلة عظيمة بالعراق هدمت
بيوتا كثيرة ببغداد ووقع بارض الموصل مطر عظيم وامطرت
عليهم نارا فاحرقت دورا كثيرة وخلقا وهرب الناس
وفيها وجد ببغداد عقارب طيارة لها شوكتان فخاف
الناس خوفا شديدا وفيها ملك عماد الدين زنكي بلادا
كثيرة من الجزيرة وبلاد الفرنج وفتح حصن الاثارب
عنوة وجعله دكا وكان على اهل حلب من هذا الحصن
ضرر شديد لقربه منهم فان الاثارب على ثلاثة فراسخ
من غربي حلب وجرت له حروب كثيرة وحظوظ جليلة
ونصر عليهم في تلك المواقف كلها وقتل خلقا ومنها ذلت
الفرنج وعلموا عجزهم عن زنكي واشتد ازر المسلمين
وفيها قتل الباطنية الخليفة الفاطمي الامر بالله ابن المستعلي
صاحب مصر وله من العمر اربع وثلاثون سنة ومدة خلافته
تسعا وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصف وهو العاشر من
الفاطميين من ولد عبيد الله المهدي ولما قتل تغلب على
الديار المصرية ارمني فاستحوذ على الامور ثلثة ايام
حتى حضر ابو علي احمد بن الافضل بن بدر الجمالي فاقام
الحافظ عبد المجيد بن الامير ابي القاسم المستنصر وله من العمر

ثمان وخمسون سنة ولما اقامه استحوذ على الامور
دونه وحصره في مجلسه لا يدع احدا يدخل اليه الا
من يريد هو ونقل الاموال من القصر الى داره ولم
يبق للحافظ سوى الاسم فقط سنة خمس وعشرين فيها
وثب اثنان من الباطنية على تاج الملوك صاحب دمشق
فجرحاه فادركهما جماعته وهبروهما بالسيوف وسبب ذلك
ان الباطنية لما جرى عليهم ما ذكرناه في سنة ثلاث وعشرين
على تاج الملوك وندبوا لقتله هذين الرجلين فتوصلا
حتى خدماه في ركابه ثم وثبا عليه فجرحاه فتعلل مدة
ثم مات رحمه الله وفيها قتل ابو علي الافضل بن بدر
الجمالي وزير الحافظ فنقل الحافظ الاموال التي كان
اخذها الى داره واستوزر بعده ابا الفتح يانس الحافظي
ولقبه امير الجيوش ثم احتال له فقتله واستوزر ولده حسن
سنة ست وعشرين فيها تملك دمشق شمس الملوك اسماعيل بعد
ابيه تاج الملوك بوري بن طغتكين فغزا وناعيا الامر وخافته
الفرنج وابطل بعض المظالم وفرح الناس به بشهامته وفرط
شجاعته واحتملوا ظلمه واخذ شمس الملوك مدينة حماة من زنكي
سنة سبع وعشرين فيها قتل شمس الملوك اخاه سونج الذي
كان قد اسره زنكي فحزن الناس عليه وفيها اخذ شمس الملوك

بابنياس من الفرنج بالسيف وقلعتها بالامان فلما نزلوا
اسروا كلهم منهم قدم دمشق مؤيدا منصورا والاسرى
بين يديه ورؤس القتلى وراء الناس ما اقر الله اعينهم
فلله الحمد وكان يوما مشهودا سنة ثمان وعشرين فيها
فتح شمس الملوك الشقيف وبيروت ونهب بلاد الفرنج
وفيها افتتح اتابك زنكي بن اقسنقر قلاعا كثيرة
وقد خلقا من الفرنج وفتح المعرة وكانت بيد الفرنج
سبعة وثلاثون سنة ورد على اهلها املاكهم فكثر
له الدعاء سنة تسع وعشرين فيها كانت وفاة المسترشد
وولاية الراشد وسبب ذلك انه كان بين السلطان
مسعود وبين الخليفة المسترشد واقع كبير اقتضى الحال
ان الخليفة اراد قطع الخطبة له ببغداد فاتفق موت اخيه
طغرل بن محمد بن ملك شاه فسار مسعود الى البلاد فملكها
وقوي جاشه ثم شرع بجمع العساكر لياخذ بغداد من يد
الخليفة فلما علم الخليفة بذلك انزعج واستعد لذلك ثم
خرج من بغداد في جحافل كثيرة فيهم القضاة ورؤس
الدولة من جميع الاصناف ومشوا بين يديه اول منزلة حتى
وصل الى السرادق ثم سار الى ان التقى الجيشان في
يوم الاثنين عاشر رمضان فاقتتلوا قتالا كبيرا ولم يقتل

من الصفين سوى خمسة انفس ثم حمل الخليفة على جيش الملك
مسعود فهزمهم ثم تراجعوا فحملوا على جيش الخليفة فهزموهم
وقتلوا منهم واسروا الخليفة واخذوا ما معه وكان معه
خزائن عظيمة وكانت صناديق الذهب على سبعين بغلا
اربعة الاف الف الف دينار وكان الثقل على خمسة الاف
جمل وخزانة السبق اربعمائة بغل ووصل الخبر الى بغداد فنفر
اهل بغداد في يوم عيد الفطر ووثبوا على الخطيب وكسروا
المنبر والشباك ومنعوه من الخطبة وحثوا في الاسواق
على رؤسهم التراب يبكون ويضجون وخرج النساء حاسرات
يندبن الخليفة في الطرق وتحت التاج قال ابن الجوزي
وزلزلت بغداد مرارا كثيرة ودامت كل يوم خمس او ست
مرات الى ليلة الثلثا فلم تزل الارض تميد من نصف
الليل الى الفجر والناس يستغيثون وتفاقم الامر وانسلم
الناس ثم ارسل سنجر الى ابن اخيه مسعود يقول ساعة
وقوف الولد غياث الدنيا والدين على هذا المكتوب يدخل
على امير المؤمنين ويقبل الارض بين يديه ويسأله العفو
والصفح ويتنصر غاية التنصر فقد ظهر عندنا من الايات
السماوية والارضية ما لا طاقة لنا بسماع مثلها فضلا
عن المشاهدة من العواصف والبروق والزلازل ودوام ذلك

عشرين يوما وتشويش العساكر وانفلات البلدان ولقد
خفت علي نفسي من جانب الله وظهور ابانة وامتناع
الناس من الصلوات في الجوامع ومنع الخطباء ما لا طاقة لي
بحمله فالله بتلافي امرك ويصيلك الي مقر عزك وتسلم
اليه دبيسا ليحكم فيه وتحمل الغاشية بين يديه انت
وجميع الامراء كما جرت عادتنا وعادة ابائنا فلما
ان قراء مسعود هذه المكاتبة امتثل ما امر به عمه
وضرب للخليفة سرادقا عظيما ونصب فيه قبة عظيمة
تحتها سرير هايل والبس الخليفة السواد علي عادته
ثم جاء مسعود فدخل علي الخليفة وقبل الارض ووقف
ليسال العفو فقال قد عفي عن ذنبك فاسكن
وطب نفسا ثم عامله مسعود بما امره به عمه ثم احضر
دبيسا مكتوفا بين اربعة امراء ومع واحد سيف مسلول
وكفن منشور والقي بين يدي السرير وقال مسعود
يا امير المومنين هذا السبب الموجب لما تم فاذا زال
السبب زال الخلاف وهما تامر يفعل به وهو يبكي
ويتضرع ويقول العفو عند المقدرة وانا اقل واذل
تعفي عنه وقال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم
فخلوه فقبل يد امير المومنين وامرها علي وجهه

وقال بعزتك من رسول الله صلي الله عليه وسلم الا
ما عفوت عني وتركتني اعيش في الدنيا فان الخوف
منك قد برح بي وطار هذا الخبر في الافاق وفرح
الناس بذلك واطمانت قلوبهم فلما كان مستهل
ذي القعدة جاءت الرسل من جهة الملك سنجر الي ابن
اخيه يحثه علي الاحسان الي الخليفة وان يبادر الي
سرعة رده الي وطنه وارسل مع الرسل جيشا ليكونوا
في خدمة الخليفة الي بغداد فصحب الجيش سبعة عشر من
الباطنية فقيل انه مسعود لو يعلم بهم والله اعلم
فركب السلطان والعسكر لتلقي الرسول فهجمت الباطنية
علي الخليفة في خيمته وقتلوه بها وقطعوه قطعا
ولم يلحق الناس منهم الا الرسول وقتلوا معه جماعة
من اصحابه في يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة فلما
علموا العسكر احاطوا بالسرادق فخرج الباطنية
وقد فرغوا من شغلهم فقتلوا ووقع النحيب والبكاء وذلك
علي باب مراغه ودفن بها كذا قاله الذهبي وقال
ابن كثير انه حمل الي بغداد وصلي عليه بها ولما
وصل خبر قتله الي بغداد وقع النحيب والبكاء وخرج
الناس حفاة محرقين الثياب والنساء منشرات الشعور

يلطمن ويقلبن فيه المراثي على عادتهن لأن المسترشد
كان محببا فيهم لما فيه من العدل والشجاعة والترفيه
وكان عمره ثلاثا وأربعين سنة وثلثة أشهر وثمانية
أيام وكانت خلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وتمكن
في خلافته تمكنا عظيما لم يره أحد ممن تقدمه من الخلفاء
في عهد المستظهر بالله الى الخلافة الآن يكون المعتضد
والمكتفي ولم يكن للسلطان معه في كثير من الأوقات
سوى الخطبة واجتمعت عليه العساكر وقاد الجيوش وباشر
الحروب قال ابن كثير وهو آخر خليفة رؤي خطيبا وعمل
العزاء في الديوان ثلثة أيام ثم جلس ابنه الراشد
في الشباك في الدار المثمنة المستديرة وبايعه الأمراء
والأعيان وخطب له على الناس ببغداد وظهر للناس
وكان أبيض بحمرة جسيما مستحسنا وكان يومئذ كبيرا
له أولاد ونادى بإقامة العدل ورد بعض المظالم
وظهر في أيامه الرفض قليلا ثم إن السلطان مسعود
جهز إلى دبيس من قتله وقصد بذلك أن سبب قتل
المسترشد إلى دبيس وأنه أخذ ثأر الخليفة منه وعلى كل
حال أراح الله الأرض ومن عليها من ذلك المارد الرافضي
وفيها اختلت أحوال الشام لسوء سيرة شمس الملوك

فإنه حنق على الناس وصادر الأعيان وكاتب أهل
دمشق أتابك زنكي وسألوه أدراكهم وأطمعوه في
دمشق ثم اجتمع جماعة من عسكره وغيرهم وتشاوروا
فيما دهمهم من ظلم صاحبهم وعسفه وهتكه حرمهم
وأخذه أموالهم وأزواجهم وقال بعضهم هذا نوع
من الجنون والسوداء لا دواء له إلا بالموت وأنهوا
الحال إلى والدته صفوة الملوك زمرد خاتون فاستدعت
بولدها شمس الملوك ولامته ووبخته فلم يلتفت لها
وسبها وكاد يبادر إليها فلما خرج من عندها
أشار عليها الخواص بالتمكين من قتله وقيل لها
إنه قد عزم على قتلك فمكنت من ذلك فاجتمع عليه طائفة
من الغلمان فقتلوه في بعض الدهاليز وابتهج الناس بمصرعه
وشكروا الله تعالى على الراحة منه وأجلس في الملك أخوه
شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري واستقامت
الأحوال ثم وصل أتابك زنكي وخيم بين عذرا والقصير
فخرج إليه خلق من العساكر والأحداث فصدوه ولم
يمكنوه من مقاربة البلد ثم حصل الصلح معه ورجع
سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة فيها وقع بين الخليفة الراشد وبين
السلطان مسعود لسبب أنه أرسل إلى الخليفة يطلب منه ما كان

كتابه والذي خطه بيمينه اسره وهو اربع مائة الف دينار
ويطلب من اولاد صاحب المخزن ثلثمائة الف دينار
ويقسط على بغداد خمسمائة الف دينار فامتنع الراشد
من ذلك وارسل اليه يقول اما الاموال المضمونة فانما
كانت لاعادة الخليفة الى داره ولم يحصل وانا مطالب
بالثار واما مال البيعة فحتى يعاد الي املاكي واقطاعي
واما الرعية فلا سبيل لك عليهم وما عندي الا السيف
ثم استنهض الخليفة الامرا وارسل الى عماد الدين زنكي
فجاء اليه والتف عليه خلائق وجاء في غضون ذلك
السلطان داود بن محمود بن محمد بن ملكشاه فخطب له
الخليفة ببغداد وخلع عليه وبايعه على الملك فتاكدت
الوحشة بين الخليفة والسلطان جدا وبرز الخليفة الى
ظاهر بغداد ومشى الناس بين يديه كما كانوا يعاملون
به اباه قبله وخرج السلطان داود من جانب آخر فلما
بلغهم كثرة الجيوش مع السلطان مسعود حسن عماد الدين
زنكي للخليفة ان يذهب معه الى بلاد الموصل واتفق
دخول السلطان مسعود الى بغداد في غيبتهم فاستحوذ
على دار الخلافة بما فيها حتى استخلص من نساء الخليفة
وحظاياه الحلي والمصاغ والثياب التي للزينة وغير ذلك

وجميع القضاة والفقهاء وابرز لهم خط الراشد انه متى
خرج من بغداد لقتال السلطان فقد خلع نفسه من
الخلافة فافتى من افتى من الفقهاء بخلعه فخلع وكانت
خلافته احدى عشر شهرا واحدى عشر يوما واستدعي
محمد بن المستظهر بالله وبويع بالخلافة عوضا عن
ابن اخيه الراشد وله من العمر يومئذ اربعون سنة
ولقب بالمقتفي يقال انه راى النبي صلى الله عليه وسلم
في المنام وهو يقول له سيصل هذا الامر اليك فاقتف بي
فصار الامر اليه بعد ستة ايام فلقب بذلك لذلك وقيل
انهم بايعوا المقتفي على ان لا يكون عنده خيل ولا
آلة سفر واخذ مسعود جميع ما في دار الخلافة من
دواب واثاث وذهب وستور ولم يترك بدار الخلافة
سوى اربعة افراس وثمانية بغال برسم الماء وسار الراشد
صحبة زنكي ودخل الموصل **فائدة** ولي المقتفي والمسترشد
الخلافة وكانا اخوين وكذلك السفاح والمنصور
وكذا الهادي والرشيد ابناء المهدي وكذلك الواثق
والمتوكل ابناء المعتصم اخوان واما ثلثة اخوة فالامين
والمامون والمعتصم بنوا الرشيد والمعتز والمهتدي
بنوا المتوكل والمكتفي والمقتدر والقاهر بنوا المعتضد والراضي

والمتقي والمطيع بنو المقتدر واما اربعة فلم تكن الا في
بنجلة فيه وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك
بن مروان وفيها تحركت الاشجار بدمشق والشام
فابيعت الغرارة القمح باربعمائة درهم وظهر جراد كثير فزاد
خوف الناس وفيها ظهر علي دمشق واعمالها وبعلبك
والبقاع سحاب مظلم اسود ملا الافق ثم احمر حتي عاد كانه
النار وجاءت من بعده ريح شديدة ووقع برد كبار
ومطر مفرط في الكثرة وفاضت السيول وامتدت المدود
واختلطت انهار دمشق بعضها ببعض والخرب وفيها
اجتمعت عساكر حلب مع الامير سوار نائب حلب وكبسوا الافرنج
فقتلوا واسروا وغنموا قال ابن كثير كانت الاسري سبعة الاف
نفس بالصغار والكبار ومائة الف من الدواب والمواشي وخربوا
اللاذقية وفرح المسلمون بذلك فرحا عظيما سنة احدى وثلاثين
فيها خرج الراشد من الموصل متوجها نحو مراغة وسببه ما بلغه
من انتظام الحال بين اتابك زنكي وبين الخليفة المقتفي والسلطان
مسعود علي ضياع فتركت له ببغداد علي ان يخطب له في البلاد
التي تحت يديه من الموصل والشام علي ان لا يكلف الحضور
عند السلطان ولا يزور ولا يزار وشرط هو ان لا يسلم
الراشد اليهم ولا يخطب له ويخلعه فلما تم ذلك خرج الراشد من الموصل

ليلا ومعه اصحابه من العدد وعلم بهم زنكي فلم يتعرض
اليهم فلما تعدي الموصل تبعه داود السلجوقي
وساروا الي همذان فلما علم بهم الملك مسعود خرج من
بغداد الي همذان لدفع الراشد وابن اخيه داود وتلاقت
العساكر واصطفت الجيوش فحمل مسعود علي التل وفيه
داود فكسره ثم حملت منشرية وكسرت الميمنة فانهض
الراشد الاتراك ووعدهم ومناهم فردوا الي عسكر
مسعود وكانوا قد نزلوا عن خيولهم واستراحوا وبعضهم
قد نزع عن نفسه وعن فرسه وبعضهم قد شرب في سكر
فحملوا عليهم فانهزموا جميعهم ولما راي مسعود انهزام
اصحابه وتحكم السيوف فيمن بقي منهم ولي منهزما ودخل
الي اصفهان مكسورا ولما وصلت الاخبار الي بغداد
بكسرة الملك مسعود اضطرب امر الخليفة المقتفي وسار
الراشد الي اصفهان ومعه داود والعساكر فعاثوا في
البلاد واخربوا القري وظلموا الناس واخربوا كثيرا
من قري الملاحدة فدست اليه الملاحدة من قتله علي
باب اصفهان في ليلة السابع والعشرين من رمضان فدست
اليه الملاحدة من قتله علي باب اصفهان وخلص الامر
للمقتفي وتقررت السلطنة لسنجر ثم لمسعود وفيها كثر موت

العجاجة باصتعها فمات الوف من الناس واغلقت دور كثيرة
وفيها تزوج الخليفة المقتفي بالخاتون فاطمة بنت السلطان
محمد بن ملكشاه اخت السلطان مسعود على صداق
مائة الف دينار وحضر السلطان مسعود العقد ونثر على
الناس انواع النثار وفيها صام اهل بغداد رمضان
ثلاثين يوما ولم يروا الهلال ليلة احدى وثلاثين مع كون
السماء كانت مصحية قال ابن الجوزي وهذا شيء لم يقع مثله
سنة اثنين وثلثين فيها ولد السلطان صلاح الدين يوسف
بن ايوب بقلعة تكريت وفيها كانت زلزلة عظيمة ببلاد الشام
والجزيرة والعراق فانهدم شيء كثير ومات خلق كثير
تحت الردم وفيها كان بخراسان غلاء كبير حتى اكلت
الكلاب وفيها اخذ عماد الدين زنكي مدينة حمص وتزوج
بالست زمرد خاتون ام شمس الملوك اسماعيل وهي اخت
الملك دقاق لامه وهي التي تنسب اليها المدرسة الخاتونية
البرانية بدمشق باعلى الشرف القبلي وفيها كسي الكعبة
رجل من التجار يقال له راست الفارسي بثمانية عشر الف دينار
وذلك لانه لم تاتها كسوة في هذا العام لاجل اختلاف
الملوك وفيها خرج ملك الروم من القسطنطينية ومعه خلق كثير
لا يحصون كثرة من الروم والفرنج وغيرهم من انواع النصارى وقصد

الشام فخاف الناس خوفا عظيما فقصد مدينة بزاعة وحصرها
وهي على مرحلة من حلب وفتحها عنوة ثم سار عنها الى
شيزر وهي حصن منيع فحصرها ونصب عليها ثمانية عشر منجنيقا
وارسل صاحبها الى زنكي يستنجده فحضر ونزل على حماه
وكان كل يوم يركب في عساكره ويسير الى شيزر بحيث
يراه ملك الروم ويرسل السرايا فتخطف من يخرج من سوادهم
وعساكرهم للميرة والنهب ثم يعود اخر النهار وكان الروم
قد نزلوا على شيزر فارسل اليهم زنكي يقول لهم
انكم قد تحصنتم بهذه الجبال فاخرجوا عنها الى الصحراء
لنلتقي فان ظفرتم بنا اخذتم شيزر وغيرها وان ظفرنا
بكم ارحنا المسلمين من شركم ولم يكن له بهم قوة اكثر منهم
وانما كان هذا ترهيبا لهم وكان زنكي يراسل فرنج
الشام ويحذرهم ملك الروم ويعلمهم انه ان ملك بالشام
حصنا واحدا اخذ البلاد التي بايديهم وكان يراسل
ملك الروم يهدده ويوهمه ان الفرنج معه فاستوحش كل
واحد من الفرنج والروم من صاحبه فرحل ملك الروم عنها
وكان مقامه عليها اربعة وعشرين يوما وترك المنجنيق
والالات بحالها فسار زنكي خلفهم فظفر بطائفة منهم
في ساقة العسكر فغنم منهم وقتل واسر واخذ جميع ما خلفوه ورفعه الى قلعة حلب

وكفي الله المومنين القتال سنة ثلث وثلثين فيها كانت
زلزلة عظيمة بمدينة جنزة مات بسببها مايتا الف وثلثون
الفا وخسف بها وصار مكان البلد ماء اسود عشرة
فراسخ في عشرة فراسخ وزلزلت حلب في ليلة واحدة
ثمانين مرة فخرج اهلها الي الصحراء قال ابن الاثير ولم
تزل الزلازل تتعاهدهم بالشام من رابع صفر الي تاسع
عشره وكان معها صوت وهدة شديدة وفيها قتل صاحب
دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري قتله ثلثة
من خواصه ليلا وهربوا من القلعة فادرك اثنان فصلبا
وافلت واحد وتملك بعده اخوه كمال الدين محمد بن تاج
الملوك وكان ببعلبك قبل ذلك فجاء الاتابك زنكي
واخذ بعلبك بعد ان نصب عليها اربعة عشر منجنيقا ترمي
ليلا ونهارا فاشرف اهلها علي الهلاك وسلموا البلد
وعصي بالقلعة جماعة من الاتراك ونزلوا بالامان
فغدر بهم وصلبهم فمقته الناس ونفر منه اهل دمشق وقالوا
لو ملك دمشق لفعل بنا مثل ما فعل بهؤلاء ولما ملك بعلبك
ولاها لنجم الدين ايوب والد صلاح الدين وكتب له
تلثها واستقر فيها هو واهله ولم يزل بها الي ايام
نور الدين محمود سنة اربع وثلثين فيها دخل المقتفي علي

الخاتون فاطمة اخت السلطان مسعود واغلقت بغداد
وكان وقتا مشهودا وتزوج السلطان مسعود بنت
امير المومنين المقتفي وفيها نقصت المياه من سائر
الدنيا وفيها توفي رجل صالح من اهل باب الازج فنودي
للصلوة عليه بمدرسة الشيخ عبد القادر فلما اريد غسله
عطس وعاش وفيها ولد تقي الدين عمر بن شاهنشاه
بن ايوب بن شادي وفيها قدم اتابك زنكي من
بعلبك فنزل لبقاع طالبا دمشق فوردت الاجناد
اليه هدية صاحب دمشق وطلب منه العود ويعطيه
خمسين الف دينار ويعطيه حمص فاشار نجم الدين علي
زنكي بقبول ذلك فقال هذا مال كثير وقد حصل
بلا تعب وبلد كبير بلا عنا ودمشق بلد عظيم وقد الف
اهلها هذا البيت وتمرنوا علي سياستهم وقد بلغتهم الاحوال
التي جرت ببعلبك فامتنع زنكي بقبول ما اشار به
ففاته ذلك ولم يظفر بعوضه فانه جاء ونزل داريا
وراسل كمال الدين محمد بن بوري يطلب منه دمشق
ويعوضه عنها اي بلد شاء فلم يجبه فالتقي العسكران
فانهزم الدمشقيون وقتل كثير منهم ثم تقدم زنكي الي
المصلي فالتقاه جمع كثير من جند دمشق واحداثها ورجال الغوطة

وقاتلوه فانهزموا واشرفوا البلد علي الاخذ لكن عاد
زنكي فامسك بيده ايام عن القتال وتابع الرسل الي
صاحب دمشق بتسليمها فلم يجب فعاد الي القتال والزحف
فمرض صاحب دمشق محمد ومات في ثامن شعبان وهو مثل
الوقت الذي قتل فيه اخوه فكانت مدة ولايته سنة
واحدة وكان حسن السيرة قليل الظلم فحزنت الناس عليه
وولي بعده ابنه مجير الدين ابق ودبر دولته معين الدين
انر فلما الح عليهم زنكي بالقتال راسل انر الفرنج يستنجدهم
وخوفهم من زنكي ان يملك دمشق فتجمعت الفرنج وعلم
زنكي فسار الي حوران ليلقاهم فهابوه ولم يخرجوا فعاد
الي ديار دمشق ونزل بعذرا واحرق قري المرج ورحل
فجاءت الفرنج واجتمعوا بانر وكان قد شارطهم ان
دخلوا زنكي يعطيهم بانياس وكانت لزنكي فسار
انر في عسكر دمشق الي بانياس فاخذها وسلمها الي
الفرنج فغضب زنكي وعاد الي دمشق فعاث بحوران
وافسد فجاء الي دمشق فخرجوا واقتتلوا معه وقتل
جماعة ثم رحل عنها ومع اصحابه شي كثير من النهب وسار
الحصن بارين وكان بيد الفرنج فحصره حصرا شديدا
فراسلوه في طلب الامان فاجابهم وتسلم الحصن قال ابن الاثير

وكان هذا الحصن من اضر بلاد الفرنج علي المسلمين
فان اهله كانوا قد اخربوا ما بين حماة وحلب من البلاد
وانقطعت السبل فازال الله تعالي بزنكي هذا الضرر
العظيم وفي مدة مقامه علي بارين سير الله جنده
الي المعرة وكفرطاب وتلك الولاية جميعها فاستولي عليها
وهي بلاد كثيرة وقرايا عظيمة سنة خمس وثلثين فيها
وصلت البردة والقضيب الي بغداد وكانا قد اخذا مع
المسترشد سنة تسع وعشرين فحفظهما السلطان سنجر
عنده حتي ردهما في هذه السنة وفيها اصاب الحجاج
عطش شديد فهلك منهم خلق كثير ومنهم من تاخر
وصوله حتي فاتته الوقفة وفيها ظهر ببغداد رجل
قدم اليها واظهر الزهد والنسك وقصده الناس من
كل جانب فمات ولد لانسان فدفنه قريبا من قبر
السبتي فذهب ذلك المتزهد ونبشه ودفنه في موضع
آخر ثم قال للناس اعلموا اني رايت عمر ابن الخطاب رض
في المنام ومعه علي رضي الله عنهما وقالا في هذا الموضع
صبي من اولاد علي بن ابي طالب رض ودلهما علي المكان
فحفروه فاذا صبي امرد من الذي قتلي فقطعه من اكفان
شقعت له وانقلبت بغداد وخرج ارباب الدولة واخذوا التراب

للبركة فازدحم الخلق وبقوا يقبلون يد المتزهد وهو يبكي
ويتخشع وبقي الناس على هذا الحال اياما والميت مكشوف
يراه الناس ويتمسحون به ثم انتن وجاء الاذكياء ونقدوا
فاذا هو جديد فقالوا كيف يكون هذا هكذا من نحو
اربعمائة سنة ودققوا عن ذلك حتى جاء ابو الصبي يعرفه
وقال هذا والله ولدي دفنته عند الشبيبي فمضوا معه
فراوا القبر قد نبش فكشفوه فاذا ليس فيه ميت فسمع
المتزهد الخبر فهرب ثم وقعوا به وقرروه فاقر فاركب
حمارا وصفع **قلت** هكذا حكاه الذهبي والله
اعلم بصحته ويلزم من صحته نسبة التغفل الى اهل
بغداد في ذلك الوقت اذ على تقدير صحة قول ذلك
الزاهد عندهم كيف لا تقتضي عقلهم ان يحفروا قبر
واحد من اولاد علي رضي الله عنه ويقطعون كفنه
ويكشفونه وينتهكون حرمته بل لو قيل لهم ان قبر
ابي لهب ما كان يليق ان يفعل به ذلك بل كان
اللائق اذا صدقوا قوله ان يعظم ذلك الضريح ويزار
وعلى تقدير وقوع ذلك من جهلة الناس كيف لم تنكر
عليهم العلماء والحكام مع فقهاء تلك الايام هذا
من الامور المستبعدة **ومنها** ملكت الاسماعلية حصن مصيات

كان والبيه نايبا لصاحب شيراز فاحتالوا عليه ومكروا به
حتى صعدوا اليه فقتلوه وملكوا الحصن وبقي في ايديهم
الى دولة الملك الظاهر بيبرس **سنة ست وثلثين**
كانت وقعة عظيمة بين السلطان سنجر وبين ملك الخطا
وسبب ذلك كما حكاه الكتبي عن تاريخ تاج الدين بن
حمويه ان طايفة من الترك تعرف بقرلق كانوا بما
وراء النهر بنواحي سمرقند ترعى بمروجها وتنتقل
في مراعيها ولهم اموال ودواب لا يعرفون عدد اغنامهم
واهل تلك الناحية ينتفعون بمعاملتهم وجلبهم ولا
يتضررون بسببهم وهم يعفون عن اموال غيرهم
ويكفون دوابهم عن الزروع فاتفق ان الامراء
السنجرية اغروا سنجر والحوا عليه بان يبعث اليهم
الجيوش تغزوهم وتكسب اموالهم فسير اليهم جيشا
وواقعهم وغنم اموالهم وسبى ذراريهم وقتل رجالهم
فانحازوا الى جهة وبعثوا جماعة من مشايخهم الى السلطان
سنجر يسالونه الكف عن اذيتهم وتركهم على ما هم عليه
وقالوا نحن قوم في الصحاري والخراب ولا مضرة على احد
منا فانا لا نخيف السبيل ولا نطرق القرى ولا نوذي
الزروع ومع هذا فانا نبذل عن خراج دوابنا في كل سنة

للسلطان خمسة آلاف فرس وخمسة وثلثون ألف راس غنم
فلم يلتفت إليهم ولا قبل منهم ما بذلوه فلما عادت
شيوخهم بذلك قصدوا ملك الخطا الملقب بكور خان
مستنصرخين ومستنجدين واطمعوه في البلاد وهونوا عليه
بلوغ المراد فجمع ناوعي وسار في سبعماية الف مقاتل
واجتهد سنجر غاية الاجتهاد فجمع سبعين الفا وكان
التقا بصحاري سمرقند على ست مراحل منها فانكسر سنجر
وقتل خلق كثير من عسكره واسرت زوجته واولاده
وخواصه ونجي سنجر بنفسه وتقدم الخطا الى سمرقند
وبخارا فاستولوا عليها وامنوا من بها واستحوذ ملكهم
على دار الامارة ورتب نايبا في كل بلد واقر
الناس على معايشهم وعاد بالغنايم الى بلاده سنة
سبع وثلثين فيها سار عماد الدين زنكي الى بلد الهكار
وكان بيد الاكراد وقد اكثروا في البلاد الفساد
فملك تلك البلاد وبني هنالك قلعة عظيمة وسماها
القلعة العمادية وفيها خطب للاتابك زنكي بامد
وفيها اخذ مدينة عانة والحديثة سنة ثمان وثلثين
فيها غزو السلطان محمود على قصد الموصل والشام لوحشة
وقعت منه وبين عماد الدين زنكي فترددت الرسل بينهما

حتى استقر الحال على مائة الف دينار ثم ان الامور
تقلبت وعاد اصحاب الاطراف خرجوا على السلطان
فاحتاج الى مدارات زنكي فاطلق له الباقي من المال
استمالة له وفيها ملك الاتابك زنكي عدة بلاد من
ديار بكر وملك مدينة المعدن الذي يعمل منه النحاس من
ارمينية ومدينة حران واخذ من اعمال ماردين عدة مواضع
سنة تسع وثلثين فيها فتح عماد الدين زنكي الرها
وكان مدة حصاره لها ثمانية وعشرين يوما وكانت
الرها من اشرف المدن عند النصارى واعظمها محلا
وهي احد الكراسي عندهم فاشرفها البيت المقدس ثم
انطاكية ثم رومية وقسطنطينية والرها وكان
على المسلمين من الفرنج الذي بالرها شر عظيم ملكوا
من نواحي ماردين الى العراق عدة حصون كسروج
والبيرة وكانت غاراتهم تبلغ مدينة آمد من ديار بكر
وماردين ونصيبين وراس العين والرقة ولما ملكها
زنكي افتتحها ونكس صلبانها واباد قسوسها
ورهبانها وملا الناس ايديهم من النهب والسبي ثم انه
دخل البلد فراقه وانف لمثله من الخراب فامر باعادة
ما اخذ منه من اثاث ومال وسبي ورجال وجوار واطفال

فردوا عن آخرهم لم ينج منهم الا الشاذ والنادر فعاد البلد
عامرًا بعد ان كان داثرًا ثم رتّب البلد واصلح
من شانه وسار عنه فاستولى على ما كان بيد الفرنج من
المدن والحصون والقرى وكان فتحًا عظيمًا طار في
الآفاق ذكره وطاب به نشره وشهد له خلق كثير من الاولياء
والصالحين **قال** ابن الاثير حكى لي جماعة اعرف
صلاحهم انهم رأوا يوم فتح الرها الشيخ ابا عبد الله
بن علي بن مهران الفقيه الشافعي وكان من العلماء العاملين
الزاهدين في الدنيا المنقطعين عنها وله الكرامات الظاهرة
ذكروا عنه انه غاب في زاويته يومئذ ذلك ثم خرج
عليهم وهو مستبشر مسرور وقال حدثنا بعض اخواننا ان
اتابك زنكي فتح مدينة الرها وانه شهد بعد فتحها ثم
هذا ثم قال ما يضرك يا زنكي ما فعلت بعد اليوم يردد
هذا القول مرارًا فضبطوا ذلك اليوم فكان يوم الفتح
ثم ان نفرًا من الاجناد حضروا عند هذا الشيخ وقالوا
منذ رأيناك على السور تكبر ايقنا بالفتح وهو ينكر
حضوره وهم يقسمون انهم رأوه عيانًا قال وحكى لي
بعض العلماء بالاخبار والانساب وهو اعلم من رأيته
قال كان ملك جزيرة صقلية من الفرنج وكان بها بعض الصالحين

من المغاربين المسلمين وكان الملك يحضره ويكرمه ويرجع الى
قوله ويقدمه على من عنده من الرهبان والقسيسين
فلما كان الوقت الذي فتحت فيه الرها سيّر هذا الملك
جيشًا في البحر الى افريقية فنهبوا وغاروا واسروا
وجاءت الاخبار الى الملك وهو جالس وعنده هذا العالم
المغربي وقد نعس وهو شبيه النائم فايقظه الملك وقال
يا فقيه قد فعل اصحابنا بالمسلمين كيت وكيت اين كان محمد
عن نصرهم فقال له كان قد حضر فتح الرها فتضاحك
من عنده من الفرنج فقال لهم الملك لا تضحكوا فوالله ما قال
عن غير علم واشتد هذا على الملك فلم يمض قليل حتى اتاه
الخبر بفتحها قال وحكى لي ايضا غير واحد ممن اثق اليهم
ان رجلا من الصالحين رأى زنكي بعد موته في المنام
فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لي تعالى بما ذي فعلت
بفتح الرها **سنة اربعين وخمسماية** فيها استولت الفرنج بالاندلس
على ساحل البحر الرومي الذي كان بيد المسلمين وهو مدينة
شلب واشبونه وشنترين وما والاها **سنة احدى واربعين** فيها
احترق القصر الذي كان قد بناه المسترشد وكان في
نهاية الحسن وكان الخليفة المقتفي قد انتقل اليه بجواريه
وحظاياه ليقيم به ثلاثة ايام فما هو الا ان ناموا احترق عليهم

القصر بسبب ان جارية اخذت في يدها شمعة فعلق
لهبها ببعض الاخشاب فاحترق القصر وسلم الله الخليفة
واهله فاصبح وتصدق باشياء كثيرة واطلق المحابيس
وفيها جلس ابن العبادي الواعظ فتكلم والسلطان
مسعود حاضر وكان قد وضع على الناس مكسا فاحشا
فقال يا سلطان العالم انت تطلق في بعض الاحيان للمغني
اذا طربت قريبا مما وضعت على المسلمين من هذا المكس
فهبني مغنيا وقد طربت فهبني هذا المكس شكرا لنعمة
الله عليك واسقطه عن الناس فاشار السلطان بيده
اني قد فعلت فضج الناس بالدعاء له ونودي في البلد
باسقاطه فتسامع الناس ولله الحمد والمنة وفيها قتل
الاتابك عماد الدين زنكي ابن اقسنقر قال ابن الاثير
كان محاصر قلعة جعبر فبينما هو نائم دخل عليه نفر من مماليكه
فقتلوه غيلة وهربوا الى القلعة ولم يشعر اصحابه بقتله
فلما صعدوا وليكد لصقوا الى القلعة صاح من بها الى العسكر
يعلمهم بقتله فبادر اصحابه اليه فوجدوه ميتا وختم الله
بالشهادة اعماله ومن غريب ما حكي انه لما اشتد حصار
قلعة جعبر جاء في الليل ابن حسان المنبجي ووقف تحت القلعة
فنادى صاحبها فاجابه فقال له هذا المولى اتابك صاحب البلاد

وقد نزل عليك بعساكر الدنيا ولا معين لك وانا اريد
ان ادخل في قضيتك واخذ لك منه مكانا عوضا
عن هذا المكان وان لم تفعل فاي شيء تنتظر فقال له
صاحب القلعة انتظر الذي انتظر ابوك وكان ملك
بن بهرام صاحب حلب قد نزل على ابي حسان وحاصره
في منبج اشد حصار ونصب عليه عدة مناجنيق وقال يوما
لحسان وقد احرقه بحجارة المنجنيق اي شيء تنتظر
ما تسلم الحصن فقال له حسان انتظر سهما من سهام الله
فلما كان من الغد جاء ملك يرتب المنجنيق اذا اصابه
سهم فوقع في لبته فخر ميتا ولم يكن بجسده شيء
ظاهر سوى هذا المكان لانه لبس الدرع ولم
يزرره على صدره فلما سمع ابن حسان ذلك رجع عنه
وفي تلك الليلة قتل الاتابك زنكي وكان هذا من
الاتفاقات العجيبة والعبر الغريبة حكاه صاحب الروضتين
عن يحيى بن ابي طلحة في كتاب السيرة الصلاحية وكان
زنكي حسن الصورة اسمر مليح العينين طويل القامة
وليس بالطويل البائن وكانت سيرته من احسن سير
الملوك وكان من اكثرها حرصا وضبطا للامور وكانت
رعيته في امن شامل يعجز القوي عن التعدي على الضعيف

قال ابن الأثير حدثني والدي قال قدم الشهيد اتابك
زنكي الينا بجزيرة ابن عمر في بعض السنين وكان زمن
الشتاء فنزل بالقلعة ونزل العسكر بالخيام وكان من جملة
امرائه عز الدين ابو بكر الدبيسي وهو من اكبر امرائه
ومن ذوي الراي عنده فدخل الدبيسي وهو من اكبر
البلد ونزل بدار انسان يهودي واخرجه منها فاستغاث
اليهودي الى زنكي وهو راكب فسال عن حاله فاخبر به وكان
الدبيسي واقفا الى جانب زنكي وليس فوقه احد فلما سمع
الاتابك ذلك الخبر نظر الى الدبيسي نظر مغضب ولم
يكلمه كلمة واحدة فتاخر القهقرى ودخل البلد فاخرج
خيامه وامر بنصبها ولم تكن الارض تحتمل وضع الخيام
عليها وخرج اليها من ساعته وكان ينهى اصحابه
عن اقتناء الاملاك ويقول مهما كانت البلاد لنا فاي
حاجة لكم في الاملاك فان الاقطاعات تغني عنها وان خرجت
البلاد عن ايدينا فان الاملاك تذهب معها ومتى صارت
الاملاك لاصحاب السلطان ظلموا الرعية وتعدوا عليهم
وغصبوا املاكهم **وفيها** لما قتل زنكي سار اسد الدين
بن شيركوه من ساعته وقصد خيمة نور الدين وقال له انا
اعلم ان الوزير جمال الدين قد اخذ عسكر الموصل وعزم

على تقديم اخيك سيف الدين غازي وتملكه الموصل وقد
رايت ان اسيرك الى حلب وتجعلها كرسي مملكتك
وتجتمع في خدمتك عساكر الشام ثم اخذه وسار في
في خدمته الى حلب وسلمه قلعتها كما قدمناه **وفيها** سار
مجير الدين صاحب دمشق في عسكر الى بعلبك وحاصرها
وبها نائب زنكي نجم الدين ايوب والد السلطان صلاح
الدين فسلمها صلحا له واعطاه مالا وملكه قرايا من
اعمال دمشق وانتقل نجم الدين ايوب الى دمشق واقام بها
ولما بلغ ذلك نور الدين خاف ان يشتد عليه اسد الدين
ويميل الى صاحب دمشق لحصول اخيه نجم الدين عنده ومال
نور الدين الى مجد الدين ابي بكر بن الداية حتى ولاه
جميع اموره وجميع مملكته فشق ذلك على اسد الدين
وفيها حاصر عبد المؤمن مراكش وكان بها اسحاق بن علي
بن يوسف ابن تاشفين فاستمر احدى عشر شهرا ثم اخذها
عنوة فذكر انه مات من اهلها ايام الحصار بالجوع نيف
على عشرين ومائة الف ولما دخلها عبد المؤمن ضرب عنق
اسحاق المذكور في عدة من القواد وقتل في ذلك اليوم نيف
على سبعين الف رجل كذا نقله الذهبي في تاريخ الاسلام
عن اليسع ابن حزم في هذه السنة وذكر الكتبي في تاريخه في النسخ

التي بعدها ان عبد المومن استولى على مراكش بالسيف وقتل
من بها من المقاتلة ولم يتعرض للرعية واحضر اليهود والنصارى
وقال انتم تزعمون ان بعد الخمسماية عام يظهر من يعضد
شرعكم وقد انقضت المدة وانا اخيركم بين ثلث اما
ان تسلموا او ان تلحقوا بدار الحرب او ان اضرب رقابكم
فاسلم منهم طايفة ولحق بدار الحرب اخرى واخرب الكنايس
والبيع وردها مساجد وابطل الجزية وفعل ذلك في جميع
ولايته ثم فرق بيت المال وكنسه ورشه وصلى فيه وامر
الناس بالدخول اليه والصلوة فيه كما فعل امير المومنين
علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وقصد حسم الشرع ليعلم
الناس انه لا يوثر جمع المال ولا يدخر شيا ثم اقام معالم
الاسلام والحدود على الوجه الشرعي مع السياسة الكاملة
وقال من ترك الصلوة ثلثة ايام فاقتلوه وشدد في الامور
ولم يذكر ويدع منكرا الا ازاله وكان يصلي الصلوة الخمس
ويقرا في كل يوم سبعا من القران بعد صلوة الصبح
ويلبس الصوف ويصوم الاثنين والخميس **وفيها** وردت
الاخبار بان ابن جوسكين جمع الفرنج من كل ناحية
وقصد مدينة الرها على غفلة بموافقة من النصارى المقيمين
بها فدخلها واستولى عليها وقتل من فيها من المسلمين فنهض نور الدين

في عسكره ومن انضاف اليه من التركمان وغيرهم في
زهاء عشرة الاف فارس ووقفت الدواب في الطرقات
من شدة السير ووافوا البلد وقد حصل ابن جوسكين
واصحابه فيه فهجموا عليهم ووقع السيف فيهم وقتل من
ارمن الرها والنصارى من قتل وانهزم ابن جوسكين
بنفسه ومحق السيف كل من ظفر به من نصارى الرها
واستخلص من كان اسر فيه من المسلمين ونهب من
الرها شي كثير من المال والاثاث والسبي وفي هذه
المرة نهبت وخربت وخلت من اهلها ولم يبق بها الا
القليل قال ابن الاثير ومن عجيب ما جرى ان نور الدين
ارسل من غنايمها الى الامراء وارسل الى زين الدين
على جملة من الجواري فحملن الى داره ودخل ليستطرفهن
فخرج وقد اغتسل وهو يضحك فسئل عن ذلك فقال لما فتحنا
الرها مع زنكي كان في جملة ما غنمت جارية فمالت نفسي
اليها فعزمت ان ابيت معها فسمعت منادي الشهيد وهو
يامر باعادة السبي والغنايم وكان مهيبا مخوفا فلم اجسر
على اتيانها واطلقتها فلما كان الان ارسل الي نور الدين
سهمي من الغنيمة وفيه تلك الجارية فوطيتها خوفا من العود
وفيها ترددت المراسلات بين نور الدين ومعين الدين

آتش الى ان استقرت الحال بينهما على اجمل صفة واحسن
قضية وتزوج نور الدين بابنة معين الدين وجهزت
الى حلب وفيها قل المطر جدا وقلت مياه الانهار
وانتشر جراد عظيم واصاب الناس داء في حلوقهم
فمات بذلك خلق كثير سنة اثنين واربعين فيها سار
نور الدين محمود فتح ارتاح وهي بعزيز حلب واخذ
ثلث حصون صغار للفرنج فيها نزل الفرنج وعرفوا انه
كبش نطاح مثل ابيه وفيها اظلم الجو ونزل غيث ساكب
ثم اظلمت الارض في وقت العصر ظلاما شديدا وبقيت
السماء في عين الناظر اليها كصبغ الورس وكذلك
الجبال واشجار الغوطة وكل ما ينظر اليه من حيوانات وجماد
ونبات ثم جاء في اثر ذلك من الرعد القاصف والبرق
الخاطف والهدات المزعجات والرجفات والفزع ما ارتاع
لها الناس وبقي الامر على هذا الحال الى وقت العشاء
الاخيرة ثم سكن بقدرة الله تعالى واصبح على الارض والاشجار
وسائر النبات غبار بين البياض والحمرة قلت
وقد شاهدت بالقاهرة في سنة ست وعشرين وثمانمائة
مثل هذا غير انه لم ينزل مطر ولم يحصل رعد ولا برق
وانما حصلت ظلمة واحمرت السماء وتغير الجو تغيرا كثيرا

وظهرت رائحة مثل رائحة الحريق وحصل للناس من ذلك
خوف وتضرعوا الى الله تعالى بالدعاء واستمر هذا
من بعد العصر الى الليل ثم اصبح على رخام المدارس
والبلاط تراب اصفر ذكر بعض الناس انه من تراب
برقة من بلاد المغرب وفيها ولد ببعلبك الملك
العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب وقيل في سنة
فتح زنكي للرها وفيها اشتد الغلا بافريقية فهلك
بسببه اكثر الناس حتى خلت المنازل واقفرت المعاقل
وفيها راي رجل في المنام في شهر صفر قائلا ليس
من زار احمد بن حنبل غفر له قال ابن الجوزي فلم يبق
من خاص ولا عام الا زاره قال وعقدت يومئذ مجلسا
فاجتمع اليه الوف من الناس سنة ثلث واربعين فيها
نزل الفرنج على دمشق خرج ملك الالمان في جيوش لا
تحصى واجتمع اليه ملوك الفرنج التي بالساحل وجمعوا
في البيت المقدس وصلوا صلوة الموت وعادوا الى عكا
وفرقوا في العساكر ستمائة الف دينار ولم يظهروا انهم
يريدون دمشق بل وردوا بغتة وهرب المسلمون من بين
ايديهم وجمعوا الغلال والاتبان فاحرقوها وكان
صاحب دمشق مجير الدين ابق ابن محمد بن طغتكين ومدبر الامور

معين الدين آثر والأمر كله له ليس لمجير الدين منه شيء
فلما كان سادس ربيع الأول لم يشعر أهل دمشق
إلا وملك الألمان قد خيم على المزة وزحف إلى
البلد بخيله ورجله وكان معه نحو ستين ألف
راجل وعشرة الاف فارس وكانوا مائة الف راجل
وعشرة الاف فارس وخرج اليهم معين الدين ومجير الدين
في مائة الف راجل سوى الفرسان في يوم السبت
سادس ربيع الأول فتقاتلوا قتالا شديدا واستشهد من
المسلمين في هذا اليوم نحو مائتين منهم الفقيه الإمام
يوسف الفندلاوي شيخ المالكية عند النيرب
قريبا من الربوة وكذلك الزاهد عبد الرحمن الحلحولي قتلا
في مكان واحد وكان معين الدين قد رأى الشيخ
يوسف وقال له يا شيخ أنت معذور ونحن نكفيك
وليس بك قوة على القتال فقال قد بعت واشتري
فلا نقيله ولا نستقيله يعني قوله تعالى إن الله اشترى
من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة الآية
واستظهر الكفار على المسلمين وشرع الكفار في قطع
الأشجار والتحصن فيها وهدم القناطر وباتوا تلك
الليلة على هذا الحال وقد لحق الناس من الارتياع لهول

ما شاهدوه والروع بما عاينوه ما ضعفت به القلوب
وحرجت معه الصدور وباكروا الظهور إليهم في
غد ذلك اليوم وهو الأحد ورجعوا إليهم ووقع الطراد
بينهم واستظهر المسلمون عليهم وأظهروا القتل
والجراح فيهم وأبلى الأمير معين الدين في حربهم
بلاء حسنا تظهر من شجاعته وصبره ما لم يشاهد في
غيره وقتل من الفرنج خلائق واستشهد جماعة ولم
تزل رحاء الحرب دائرة بينهم إلى أن أقبل الليل
وعاد كل منهم إلى مكانه وبات الجند بإزائهم
وأهل البلد على أسوارهم ثم إن الفرنج تقدموا
وخيموا بالميدان الأخضر وضايقوا البلد حتى نزلوا
على أبوابه وكان آتش قد كاتب سيف الدين غازي
ونور الدين ابنا زنكي فلما كان في اليوم الخامس وصل
سيف الدين غازي في عشرين ألف ونزل بحمص
ووصل نور الدين محمود إلى حماة وفرح المسلمون بذلك
فأرسل غازي يقول لمعين الدين قد حضرت بجند
عظيم ولم أنزل ببلادي من يحمل السلاح فإن أنا
جئت ولقيت الفرنج وكانت علينا هزيمة وليست دمشق لي
ولا لي بها نائب لم يسلم منا أحد وأخذت الفرنج دمشق وغيرها

فان اجبت الي اقاتلهم فسلم البلد الحصن اثو به
وانا احلف لك ان كان النصر لنا لا ادخل دمشق
وارجع الي بلادي فتطله معين الدين وبعث الي الفرنج
الغربا يقول لهم ان ملك الشرق قد حضر فان رحلتم
والا سلمت دمشق اليه وحينئذ تندمون وارسل
الي فرنج الشام يقول لهم باي عقل تساعدون هولاء
الغرباء علينا وانتم تعلمون انهم ان ملكوا اخذوا ما
بايديكم من البلاد الساحلية وانا اذا رايت الضعف
عن حفظ البلد سلمته الي ابن زنكي وانتم تعلمون انه
ان ملك لا يبقي لكم معه مقام بالشام فاجابوه الي
التخلي عن ملك الالمان وبذل لهم حصن بانياس
فاجتمعوا بملك الالمان وخوفوه من عساكر الشرق
وحسنوا له الرحيل وكان زمان الفاكهة فاكل الفرنج
منها فانحلت اجوافهم ومات منهم خلق كثير ومرض
الباقون ولما ضاق باهل دمشق الحال اخرجوا الصدقات
والاموال على قدر احوالهم واجتمع الناس في الجامع
الرجال والنساء والصبيان ونشروا مصحف عثمان
رضي الله عنه وحثوا الرماد على رؤسهم وبكوا وتضرعوا
الي الله فاستجاب الله تعالى لهم وكان مع ملك الالمان

قسيس كبير طويل اللحية يقتدون به يسمى الياس
فاصبح في اليوم العاشر من نزولهم على دمشق
فركب حماره وعلق في عنقه صليبا وفي يده صليبين
وجمع القساوسة بين يديه بالصلبان وركب الملوك
والخيالة ولم يتخلف من الفرنج احد الا من يحفظ
الخيام وقال لهم القسيس قد وعدني المسيح اني افتح
اليوم دمشق ولا يردني احد فقصدوا البلد
ففتح المسلمون الابواب واستسلموا للموت وغاروا
للاسلام وحملوا حملة رجل واحد وكان يوما
لم ير في الجاهلية والاسلام مثله وقصد واحد
من احداث دمشق القسيس لعنة الله عليه وهو في
اول القوم فضربه فابان راسه عن بدنه وقتل حماره
فانهزم الفرنج لعنهم الله وقتل منهم اكثر من عشرة
الاف واحرقوا الصلبان وتبعوهم الي الخيام وحال
بينهم الليل فاصبحوا وقد رحلوا ولم يبق لهم اثر
وبعثوا يطلبون من معين الدين بانياس فقال انا وعدتكم
اذا رحلتم وهذا فعل الله تعالى قالوا فنحن نعود
الي دمشق ونقيم عليها ولا نرحل حتى ناخذها وكانوا
قد احرقوا الربوة وهدموا الجواسق وقطعوا الاشجار

ودرسوا ظاهر دمشق وقالوا نفيتم عليها فراى معين الدين
ان يفدي دمشق ببانياس فاعطاهم اياها وبقيت
في ايديهم حتى فتحها نور الدين وعاد سيف الدين غازي
الي بلاده واستبشر الناس بهذه النعمة التي انعمها
الله عليهم واكثروا من الشكر لله تعالى علي ما اولاهم
وذكر الحافظ ابن القاسم بن عساكر رحمه الله في تاريخه ان
الفقيه الفندلاوي رؤي في المنام فقيل له اين انت قال
في جنات عدن علي سرر متقابلين وقبره الان يزار
بمقابر باب الصغير من ناحية حايط المصلى وعليه بلاطة
كبيرة منقورة فيها شرح حاله قال ابن الاثير وفيها
وردت الاخبار في رجب من ناحية حلب بان نور الدين
صاحبها كان قد توجه في عسكره الى ناحية الاعمال
الافرنجية وقصد فامية وظفر بجمع من الحصون والمعاقل
الافرنجية وبعده وافية من الفرنج وان صاحب انطاكية
جمع الفرنج وقصده على حين غفلة منه فقاتله من عسكره
واثقاله وانهزم بنفسه وعسكره الى حلب سالما في
عسكره لم يفقد منه الا النفر القليل بعد قتل جماعة
وافرة من الفرنج وذكر ابن ابي طي ان اسد الدين لما كان
في نفسه على نور الدين لتقديم ابن الداية عليه لم يتبع نور

ثم مر به نور الدين فقال له ما هذا الوقوف والغفلة
في مثل هذا الوقت والمسلمون قد انكسروا فقال يا
خوند ايش ننفع نحن انما ينفع مجد الدين ابو بكر وهو صاحب
الامر فاستدرك نور الدين ذلك وطيب قلب اسد الدين
والزم مجد الدين ان يعرف لاسد الدين حقه واصلح
بينهما قال وقتل في هذه الكسرة شاهنشاه ابن ايوب
اخو الملك الناصر صلاح الدين وهو والد عز الدين فرخشاه
وتقي الدين عمر والست عذرا المنسوب اليها المدرسة
العذراوية وقبره بالتربة النجمية جوار المدرسة
الحسامية بمقبرة العونية ظاهر دمشق وفيها ابطل
نور الدين من حلب الاذان بحي على خير العمل والتظاهر
بسب الصحابة وانكر ذلك انكارا شديدا وساعده
على ذلك جماعة من اهل السنة وعظم هذا الامر على
الاسماعيلية واهل التشيع وضاقت لهم صدورهم وهاجوا
وماجوا ثم سكنوا واحجموا للخوف من السطوة النورية
المشهورة والهيبة المحذورة سنة اربع واربعين فيها
جمع الفرنج من الساحل ليقصدوا بلد حلب فسار اليهم
نور الدين بعساكره وجمع كثيرا من التركمان وكتب
الي معين الدين انر يستنجده فبعث اليه الامير مجاهد الدين

برازين ما بين باب صرخد في عساكر دمشق وجاءت عساكر
اخيه سيف الدين وسار الى انطاكية فخرج اليه البرنس فكان
بينهم موقعة عظيمة وكسرهم نور الدين وقتل منهم الف وخمسمائة
واسر مثلها وقتل البرنس وكان هذا اللعين من ابطال
الفرنج المشهورين بالفروسية وشدة البأس مع اشتداد
الهيبة وكثرة السطوة والسعي في الشر فاراح الله البلاد
وكفى العباد وحمل راسه الى نور الدين وعاد المسلمين بالغنائم
العظيمة والاسارى فبعث بعضها الى اخيه والى الخليفة والى
دمشق وذل دين الصليب وظهر من نور الدين في هذه
الواقعة من الشجاعة والصبر في الحرب على حداثة سنه ما
تعجب منه الناس وفيها فتح نور الدين حصن فامية
وكان على اهل حماة وحمص منه ضرر عظيم لشنون
الغارات منه على البلاد وكان منه وبين حماة مرحلة
واحدة وهو حصن منيع على تل مرتفع على من احصن القلاع
وامنعها وفيها جاءت زلزلة عظيمة ولحقت ببغداد نحو
عشر مرات وتقطع بحلوان جبل من الزلزلة وهلك عالم
من التركمان وفيها مات خلق كثير بالبرسام ولا
يتكلم المريض به حتى يموتوا وفيها توفي سيف الدين
غازي بن زنكي صاحب الموصل وكان عمره اربعة واربعين سنة

وكان من احسن الناس صورة ودفن بالمدرسة التي انشاها
بباطن الموصل وخلف ولدا ذكرا اخذه عمه نور الدين
محمود فرباه واحسن اليه فلم تطل ايامه ومات شابا
ولم يعقب وكان سيف الدين كريما شجاعا ذي عزم
وحزم وهو اول من حمل على راسه سنجق من الاتابكية
اصحاب الاطراف فانه لم يكن بينهم من يفعله لاجل السلاطين
السلجوقية وهو اول من امر عسكره ان لا يركب
احدهم الا والسيف في وسطه فلما امر هو اقتدى به
غيره من اصحاب الاطراف ودفن بمدرسته الاتابكية
التي بناها ووقفها على الحنفية والشافعية بالموصل وبنى
بها ايضا خانقاه للصوفية وتملك بعده الموصل اخوه
قطب الدين مودود وتزوج امراة اخيه التي مات
ولم يدخل بها وهي بنت حسام الدين تمرتاش صاحب
ماردين فولدت لقطب الدين اولاده الذين ملكوا
الموصل بعده قال ابن الاثير وكانت هذه الخاتون يحل
لها ان تضع خمارها عند خمسة عشر ملكا من اباها واجدادها
واخوتها وبني اخوتها وازواجها واولادها واولاد
اولادها ثم ذكرهم ابن الاثير في كتابه وسماهم وذكر
انها اشبهت في ذلك فاطمة بنت عبد الملك بن مروان زوج

عمر بن عبد العزيز فانه كان لها ان تضع خمارها
عند ثلث عشر خليفة وهم من معاوية رضي الله عنه الى اخر
خلفاء بني امية سوى اخرهم وهو مروان ابن محمد فانه
ابن عم لها ليس بمحرم والباقي محارم لها فان صاحب الروضتين
وما نبه اذ ذلك لا بعد ذكره ان امها عاتكة بنت يزيد
بن معاوية فمعاوية جد امها ويزيد جدها لامها ومعاوية
ابن يزيد خالها ومروان جدها لابيها وعبد الملك
ابوها والوليد وسليمان وهشام ويزيد اخوتها وعمر
ابن عبد العزيز زوجها والوليد بن يزيد ويزيد ابن
الوليد وابراهيم ابن الوليد اولاد اخوتها وهؤلاء
كلهم خلفاء وعدتهم ثلثة عشر لكن عاتكة ليست امها
بل امها امرأة مخزومية فاختل ما ذكره والصواب في ذلك
ان يقال كان لفاطمة ان تضع خمارها عند عشر من
الخلفاء وهم مروان ابن الحكم ونسله سوى مروان
ابن محمد واما عاتكة فجميع محارم لها سوى عمر ابن عبد
العزيز ومروان بن محمد لكن اثني عشر خليفة معاوية
جدها ويزيد ابوها ومعاوية بن يزيد حموها وعبد الملك
زوجها وسليمان ويزيد اولاد زوجها ويزيد بن عبد الملك
ابنها والوليد بن يزيد ابن ابنها ويزيد ابن الوليد

ابنا ابن زوجها وما ذكره ابن الاثير من امر بنت
حسام الدين ست الشام بنت ايوب اكثر منها محارم من
الملوك يجتمع لها من ذلك اكثر من ثلثين ملكا منهم
اخوتها الاربعة المعظم وصلاح الدين والعادل وسيف الاسلام
ومن اولادهم واولاد اولادهم واولاد اخيها الاكبر
شاهنشاه بن ايوب تقي الدين عمر وذريته اصحاب
حماة وفرخ شاه وابنه الامجد صاحب بعلبك انتهى
كلام الروضتين قال ابن الاثير ولما ملك قطب الدين
الموصل والبلاد الجزيرية كان اخوه نور الدين
بحلب وهو اكبر من قطب الدين وكاتبه بعض الامراء
وطلبوه اليهم فسار نور الدين من حلب بسبعين فارسا
من اكابر دولته منهم اسد الدين شيركوه ومجد الدين
بن الداية فتسلم اليهم محمد بن المقدم سنجار فلما سمع قطب الدين
الخبر جمع عساكره وارسلوا الى نور الدين ينكرون
عليه اقدامه واخذه ما ليس له ويهددونه بقصده ولاخراجه
من البلاد قهرا ان لم يرجع اختيارا فاعاد الجواب
انني انا الاكبر وانا احق ان ادبر امر اخي منكم
وما جئت حتى كاتبني امراؤكم ويذكرون كراهتهم لكم
فخفت ان يحمل بعضهم لكم على اخراج البلاد من ايدينا

وأما تهددكم اياي بالقتال فانا ما اقاتلكم الا
بجندكم ولهذا جئتكم جريدة وهرب اليه جماعة من
اجنادهم فخافوا ان يخامر عليهم باقي العسكر فدخل الا امرا
في الصلح وقال جمال الدين الوزير نحن نظهر للسلطان
والخليفة اننا نتبع نور الدين ونور الدين يظهر للفرنج
انه يتبع لنا ويهددهم بنا فمتى كاشفناه وحاربناه وقدر
ظفر بنا طمع فينا السلطان وان ظفرنا به طمع فيه الفرنج
ولنا بالشام حمص وقد صار له عندنا سنجار وهذه
انفع لنا من تلك وتلك انفع من هذه والراي ان نسلم
اليه حمص وناخذ سنجار وهو في ثغر بازاء الفرنج ونتعين
مساعدته فاتفق الجماعة على هذا الراي وسار جمال الدين
الوزير الى نور الدين وابرم معه الامر ونسلم حمص
وسلم سنجار الى اخيه وعاد نور الدين واخذ ما كان بسنجار
من الاموال واتفقت كلمتهم واتحدت اراءهم وكل واحد
منها لا يصدر الا عن امر اخيه وفيها اتصل الخبر
لنور الدين بافساد الفرنج في الاعمال الحورانية بالنهب
والسبي وان الارض اجدبت لاحتباس الغيث ورحل
الفلاحون فجاء نور الدين بجيشه الى بعلبك ليدفع الفرنج
فاتفق عند وصوله الى بعلبك نزول الغيث واستمر من يوم

الثلثا الى مثله فجرت الاودية وزادت الانهار و امتلات
بركة حوران فجد الناس بالدعاء وقالوا هذا
ببركته وحسن نيته وسيرته ثم نزل بجسر الخشب المعروف
بمنازل العساكر وراسل مجير الدين والرئيس مؤيد الدين
ابن الصوفي يقول انني ما قصدت بنزولي هنا طلبا لمحا ربتكم
وانما دعاني الى ذلك كثرة شكاية اهل حوران بان
الفلاحين اخذت اموالهم وسبيت نساؤهم واطفالهم
بيد الفرنج وعدم الناصر لهم ولا يسعني مع ما اعطاني
الله تعالى وله الحمد من الاقتدار على نصرة الاسلام و جهاد
المشركين وكثرة المال والرجال ان اقعد عنهم ولا انتصر
لهم مع معرفتي بعجزكم عن حفظ اعمالكم والذب عنها
والتقصير الذي دعاكم الى الاستصراخ بالفرنج على
على محاربتي وبذلكم لهم اموال الضعفاء والمساكين
من الرعية ظلما لهم وتعديا عليهم وهذا مما لا يرضي
الله ولا احد من المسلمين ولا بد من المعونة بالف فارس تجرد
مع من يوثق بشجاعته من المقدمين لتخليص ثغر عسقلان
وغزة فكان الجواب ليس بيننا وبينك الا السيف
نكث نجيب نور الدين وانكر هذا وعزم على الرحيل الى البلد
فجاءت امطار عظيمة منعته من ذلك وفيها مات صاحب مصر

الحافظ لدين الله عبد المجيد بن ابي القاسم ابن المستنصر
وقام بالامر بعده ولده الظافر سنة خمس واربعين في
اولها تقرر الصلح بين نور الدين وارباب دمشق وسببه
ان نور الدين اشفق من سفك دماء المسلمين فراسله
مجير الدين ثم خرج اليه هو والرئيس ابن الصوفي وبذلا
له الطاعة وان يخطب له بعد الخليفة والسلطان وينقش
اسمه على الدينار والدرهم فرضي وخلع على مجير الدين
وعلى الوزير ابن الصوفي وطيب قلوبهما وخرج اليه الامرا
والاعيان فخلع عليهم وافاض احسانه على فقراء دمشق
وفقهائها ورحل الى حلب وفيها وردت الاخبار بان
العرب خرجوا على الركب العراقي بين مكة والمدينة
فاقتتلوا وظهرت العرب على الحجاج واخذوا منهم ما لا
يحصى حتى انه اخذ من خاتون اخت السلطان مسعود ما
قيمته مائة الف دينار ومات معظم الناس جوعا وعطشا
وبردا وطلى بعض النساء اجسادهم بالطين سترا للعورة
ووصل الى دمشق من سلم منهم فحكوا ما نزل بهم من المصيبة
وانه كان من الحجاج من وجوه خراسان وعلمائها وذوي
امراء العساكر السلطانية والحرم والبنات والاموال
والامتعة الفاخرة ما لا يمكن وصفه وان العرب استولوا على

الجميع فكسى اهل دمشق العراق منهم واطلقوا لهم ما
يستعينوا به على العود الى اوطانهم وفيها مطرت
السماء باليمن مطرا كله دم بقي اثره في الارض
وفي ثياب الناس قاله ابن الجوزي وفيها اسر جوسكين
صاحب تل باشر واعزاز وعينتاب وبهسنا ومرعش وغيرها
من الحصون شمالي حلب وكان على المسلمين منه بلاء
عظيم فجهز نور الدين سلحداره اليه في جيش فظهر
جوسكين عليهم واسر السلحدار فعز ذلك على نور الدين فدس
جماعة من التركمان وقال من قدر منكم على جوسكين
اعطيته من الاموال والبلاد مهما اراد فجاءت طائفة
منهم فنزلوا في ارض عينتاب فاغار عليهم جوسكين واخذ
امراة مليحة فخلا بها تحت شجرة فكمن له التركمان فاخذوه
اسيرا واحضروه الى نور الدين فاعطى الذي اسره عشرة
الاف دينار واخذ نور الدين جميع ما كان بيده من
البلاد والقلاع والحصون وامن الناس شره سنة
ست واربعين فيها في المحرم عاد نور الدين حاصر دمشق
فنزل بعيون الفاسريا بين عذرا ودوما وارسل الى
مجير الدين جماعة يقول لهم قد كنت اتفقت معكم وحلفت
لكم والان فقد صح عندي انكم ظاهرتم الفرنج وما قصدي

الا الجهاد فان رحلتم عن الفرنج واعطيتموني عساكركم
لاجاهد بهم في سبيل الله رجعت عنكم فلم يردوا عليه
جوابا فرحل ونزل مسجد القدم واحدقت عساكره بالبلد
وضايقه ولم يزحف خوفا من سفك دماء المسلمين ووصلت
الاخبار بمجيء الفرنج لنصرة مجير الدين فضاقت صدور اهل
الصلاح وزاد انكارهم لمثل هذه الاحوال المنكرة ولم
تزل المناوشات تعمل في كل يوم من غير مزاحفة ولا محاربة
الى ثالث عشرين صفر فرحل الى داريا مستعدا لقتال الفرنج
فلما قرب الفرنج من داريا اشار على نور الدين خواصه
بالرحيل وقالوا ينبغي بين الفرنج وعسكر دمشق فارتفع الى
الى الزبداني ووصل الفرنج داريا في جمع قليل وخرج
مجير الدين ابق ومؤيد الدين ابن الصوفي اليهم واجتمعا
بملكهم فما صادفا عنده من القوة ما كانا يظنانه فاتفقوا
على نزول الفرنج على بصرى فلما نهضت عصت على مجير الدين ورحلوا
الى راس الماء ووصلوا الى بصرى وضايقوها فلم يظفروا
منها بطائل فعادوا الى بلادهم وبعثوا يطلبون من مجير الدين
ما قرره لهم على ترحيل نور الدين عن دمشق وبلغ نور الدين
فعاد الى دمشق وعرض عسكره بالبقاع فكانوا ثلاثين الفا
بالتركمان والعرب وغيرهم فنزل دركوشا ثم رحل فنزل حسبان الحسبان

ثم رحل الى مسجد القدم فنودي في دمشق في العسكر والاحداث
بالخروج الى قتاله فلم يخرج الا اليسير واقام مدة من غير
قتال ولا زحف ثم ترددت بينهم المراسلات على يد الفقيه
برهان الدين البلخي واسد الدين شيركوه واخوه نجم الدين
بن ايوب وتقرر الامر الى تجديد عهود وايمان وشروط
اشترطها عليهم ثم رحل عنهم عاشر ربيع الاخر طالبا
ناحية بصرى لان واليها عصى على المسلمين واعتضد
بالفرنج فالتمس نور الدين من دمشق المناجنيق والات
الحصار وبعث ذلك مع قطعة من عسكره وفيها قصد
بعض الفرنج ناحية من البقاع على حين غفلة من اهلها فنهبوا
ما فيها من المواشي وسبوا النساء واسروا الرجال فنهض
اليهم عسكر من بعلبك فلحقهم وقد ارسل الله من الثلوج
المتداركة ما ثبطهم عن الوصول الى بلاده فقتلوا من الفرنج
مقتلة عظيمة واستخلصوا الاسارى والمواشي وفيها
ورد الى صيدنية سفينة مركب فيه جماعة من اسارى المسلمين
وفيهم صبيان في جسدين احدهما ملتصق بالاخر وهما
توأمان في الخلقة سوى الفخذين والرجلين فانهما برجلين
على فخذين يتكلمان بالعربية وقد تعلما شيئا من القران
ذكرت الفرنج انهم اصابوهما في بعض الجزائر او في بعض المراكب

ومعهما شيخ كبير وهو والدهما وانه مات بصقلية
وكانا جميلي الصورة فصيحي العبارة وتسامع النصارى
بهما فكانوا ياتون اليهما لمشاهدة غرايب صنع الله ويحملان
الى المواضع والناس يبرّوهما وحصل لهما بذلك نعم طائلة
وافرة قال الكتبي في تاريخه كذا نقلته من كتاب عطف
الذيل للشيخ الشيوخ ابن حمويه قال ونظير هذا ما حكاه
التنوخي في كتاب نشوار المحاضرة ان صاحب ارمينية
بعث الى ناصر الدولة ابن حمدان في سنة نيف وعشرين
وثلثمائة رجلين ملتصقين من احدى الجانبين من فوق
الحقو الى دون الابط وكان احدهما يمشي الى جنب
الآخر ويجعل يده التي تلي جانب اخيه خلف ظهر اخيه
ويمشيان وانهما كانا يركبان دابة بسرج عدة وكان
احدهما اذا اراد البول قام الآخر معه وكان معهما
ابوهما فتعجب منهما ناصر الدولة واجزل صلتهما وكانا
يدخلان على الكبراء والاغنياء في البلد حتى لا
يراهما العامة نهارا وحصلت لهما نعمة وافرة قال
التنوخي بلغني ان احدهما مرض ومات وبقي الآخر
بعده في عقاب لم يستطيع ان يحمله معه ثم نتن عليه ومرض
بسراية العفن اليه فمات فدفنهما ابوهما وكان عمرهما

اكثر من ثلاثين سنة **وفيها** ملك الفرنج عسقلان لانهم
ضايقوها وقتل من المرتبين خلق كثير وعجز من
فيها فطلبوا الامان فامنوهم وقتل من المرتبين خلق
كثير بها من الذخاير والعدد والغلال ما لا يحصى وقيل
ان اهلها كانوا في مضايقة يترقبون النجدة من مصر
فبينما هم في آخر نفس واذا بمركب صغير قد اقبل من مصر
فاستبشروا واذا فيه رجل ومعه كتاب من صاحب مصر
الى الوالي يقول له ساعة وقوفك على هذا الكتاب تنفذ
لنا من مقصبة عسقلان باقة قصب غلاظا نجعلها نشابا
فقال للرسول نعم الى غد ثم خرج في الليل الى الفرنج
واخذ امانا لاهل البلد فلما طلع الفجر فتح الابواب
ودخل الفرنج البلد واحضر القاصد بالكتاب وقال له
هذا هو الجواب **سنة سبع واربعين** فيها توفي السلطان
مسعود بن محمد بن ملك شاه لم ير احد من الملوك السلاطين
ما راى وكانت ايامه نيفا وثلاثين سنة وذكر ابن هبيرة
في الافصاح ان المانظا ولعلى المقتفي اصحاب مسعود
واساوا الادب ولم يمكنه المجاهرة بالمحاربة اتفق الراي
على الدعاء عليه شهرا كما ابتدا هو والخليفة دعى النبي صلى
الله عليه وسلم على رعل وذكوان شهرا فابتدا هو والخليفة سرا كل واحد

يدعو اسحرًا من ليلة تسع وعشرين من جمادي الاول واستمر
الامر علي ذلك كل ليلة. فلما كمل الشهر مات مسعود علي
سريره لم يزد علي الشهر يومًا فتبارك الله رب العالمين مجيب
دعوة الداعين. ولما مات اجتمع راي الامراء علي تقرير ملك
شاه ابن محمود بن محمد بن اخي مسعود فاجلسوه واستمر ثلاثة
اشهر وقيل خمسة اشهر وكان مقدم العساكر خاص بك
نحت له ان يقبض علي ملكشاه ويتفرد بالملك فقال
لملكشاه اني اريد الملك لك من غير منازع واخوك ينازعك
والمصلحة ان اقبض عليك واكتب الي اخيك فاذا وصل قبضت
عليه وسلمته اليك فقال افعل فقبض عليه وكتب الي محمد
وهو بخوزستان يدعوه الي السلطنة فجاء الي همدان
فجلس علي التخت ودخل الناس يهنونه ويخاطبونه في اشياء
فقال ما لي في هذا الامر شي كلامكم مع الامير خاص بك
فهو الامر الدا والكل تحت يده وقدم له خاص بك من المال
والخيل والمماليك والخلع والجواهر شيا كثيرا واقام بهمدان
اياما وبلغه ما في نفس خاص بك من التدبير عليه فاستدعاه
وزنكي الجندار وشملة التركماني وهو في اعلا قصر المملكة
فلما صعد وادرج القصر احس شملة بالشر فقال لخاص بك
ارجع فما هذا علامة خير فلم يرجع فلما حصلوا في بعض مضايق

القصر اخذتهم السيوف فقتل خاص بك وزنكي الجندار وهرب
شملة ورموا براسيهما واكلت الكلاب لحومهما واحتوي
محمد علي اموالهما ومماليكهما وكان مما اخذ من خاص بك
الف الف دينار وسبعون الف ثوب من الاطلس وثلثماية
مملوك وخمسماية ومن النجايب والبغال والحشم والاثاث
ما لا يحد ولا يوصف ومع هذا جبوا له من العسكر كفنا
كفنوا به ما بقي من جثته من فضلة الكلاب وفيها فتح
نور الدين انطرسوس عنوة وطلبوا منه الامان علي
النفوس فامنهم وملك عدة من الحصون منها المرقب وكان
علي الاسلام منه ضرر عظيم وفيها باض ديك بيضة واحدة
وباض بازي بيضتين وباضت نعامة بغير ذكر حكاه
ابن الجوزي سنة ثمان واربعين فيها خرجت الغز علي
اهل خراسان وهم تركمان ما وراء النهر نحو ماية الف
خركاه فلما ملك الخطا ما وراء النهر طردوا منها هولاء
الغز فنزلوا بنواحي بلخ علي مراعيها وهولاء يدينون في
الاسلام في الجملة ويفعلون فعل التتار فجهز اليهم سنجر
العساكر مع الامير قماج فكسروه وقتلوا ولده وغنموا ما
كان معه واكثروا القتل في العسكر والرعايا واسروا
النساء والاطفال وقتلوا الفقهاء وعملوا العظايم وخربوا المدارس

وانهزم قماج الي مرو وارسل السلطان سنجر يتهددهم
فارسلوا جماعة من شيوخهم الي سنجر وقالوا قد بغيت
علينا ونصرنا الله عليك وللبغي مصرعة ونبذل لك اهدار
ماجري ونكون في خدمتك وتحت طاعتك ولا نريد
منك شيئاً بل نحمل اليك علينا جعلاً في كل سنة خمسين
الف راس من الخيل والبخاتي ومثلها من الغنم ومائة الف
دينار فاشار عليه اعيان اهل مملكته بالصلح واشار عليه
قماج ان لا يصالح فمال الي قول قماج ورد الشيوخ خائبين
فعادوا الي اصحابهم وقالوا لهم استعدوا فلا بد لنا من
قصدكم فجاؤا الي صحراء واسعة كالحلقة الدائرة والجبال
محدقة بها وليس لها طريق الا من مضيق واحد فنصبوا
خركاواتهم فيها وجعلوا الاموال والمواشي حولها كالسور
وجاءهم سنجر بعساكره فدخل من ذلك المضيق ونشب القتال
وكانت سهام عسكر سنجر تقع في الخركاوات وسهام الغز
لا تقع الا في الفرسان وكان سنجر قد وقف عند المضيق
في جماعة من اصحابه ولم يدخل ينتظر الدائرة علي من
تكون فحمل الغز حملة فطرحوا المسلمين مثل الغنم وقتل قماج
ومعظم عسكر سنجر وصار قتلى العسكر كالتلال وهرب من
بقي الي ناحية المضيق فلحقهم الغز فاتوهم من قبل وصولهم الي

المضيق وخرج العسكر الي المضيق وسنجر واقف في بقايا
عسكره فتقدم اليه كبراؤهم وترجلوا وقبلوا الارض
وقالوا انا سألناك الصلح فابيت وانت سلطاننا وقد قتل
بعض عبيدك وبقي البعض ليشيروا الي نفسهم ثم افردوه
عن اصحابه وصاروا كانهم في خدمته وهو معهم مثل الاسير
يجلسونه علي السرير لا غير وتفرق عسكره وجاؤا
به الي خراسان فنزلوا بلخ واستولوا علي البلاد واظهروا
الفساد وقتلوا الكبار والصغار واحرقوا وقتلوا القضاة
والعلماء في البلاد كلهم وظهر من جورهم ما لم يسمع
وينفذ وصف ما جري منهم علي تلك البلاد ولم يسلم
منهم شيء سوي هراة وجرجستان فامتنعت لحصانتها
كل هذا وسنجر معهم لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً
ثم عملوا له قفصاً من حديد وجعلوه فيه وكانوا اذا جاؤا
له بطعام يدخر منه الي وقت يتنبوه فيه كذا ذكره الكتبي
في تاريخه وقال الشيخ عماد الدين بن كثير انهم اسروا سنجر
فاقام عندهم شهرين ثم اخذوه وساروا به فدخلوا مرو
كرسي مملكة خراسان فسأله بعضهم ان يجعلها له اقطاعاً
فقال سنجر هذا لا يمكن هذه كرسي المملكة فضحكوا منه
وصفقوا له فنزل عن سرير الملك ودخل خانقاه وصار فقيراً من جملة

ن ناب عن الملك واستحوذ اولئك الاتراك على البلاد واظهروا
في الارض الفساد واقاموا سليمان شاه ملكا ثم عزلوه وولوا
ابن اخت سنجر الخاقان محمود بن محمد ابن كوخان وتفرقت الامور
واستحوذ كل انسان منهم على ناحية من تلك الممالك وصارت
الدنيا دولا فسبحان من يعز ويذل وفيها كان الغلا
بدمشق بلغت الغرارة خمسة وعشرون دينار ومات الفقرا على الطرق
وفيها اخذت الفرنج خذلهم الله تعالى عسقلان ولما ان نا
زلوها خرج المسلمون اليهم وقاتلوهم وطردوهم فايسوا من
اخذها وعزموا على الرحيل عنها فاتاهم الخبر بان اهل
البلاد قد اختلفوا وذلك انهم لما قهروا الفرنج داخلهم
العجب وادعى كل طائفة انه رحيل فعظمت الفتنة وتحاربوا
فقتل بينهم جماعة وزحفت الفرنج في الحال فلم يكن على السور
من يمنعهم فملكوا البلد فانا لله وانا اليه راجعون وبقيت في
ايديهم الى ان فتحها صلاح الدين يوسف سنة ثلث وثمانين وفيها
ملك نور الدين دمشق وسببه ان الفرنج لما ملكوا في السنة
الخالية عسقلان قوي امرهم بملكها حتى طمعوا في دمشق
واستضعفوا مجير الدين وتابعوا الغارة على اعمالها واكثروا
من القتل بها والنهب والسبي ثم زاد الامر الى ان جعلوا
للفرنج على اهل دمشق قطيعة في كل سنة وكان رسولهم يجي الى

دمشق ويجبيها من اهل البلد ثم ان طمع الفرنج تزايد حتى
ارسلوا استعرضوا العبيد والاماء الذين نهبوا من سائر
البلاد النصرانية وخيروهم بين المقام عند مواليهم والعود
الى اوطانهم فمن اختار المقام تركوه ومن احب وطنه ردوه
وكاتبت الامراء واعيان الدولة نور الدين يتولون
العباث العيانات وقالوا ان شئت حصرناه في القلعة فراى
نور الدين اخذه بالملاطفة خوفا من اعطائه البلاد للفرنج
فعدل الى ملاطفته ومكاتبته ومهاداته فانس به وصار
يكاتبه ويستشيره وكان نور الدين يكتب اليه ان فلانا
من الامراء يكاتبني وفلان يكاتبني فتارة يقبض
مجير الدين عليهم وتارة ينفيهم فخلت دمشق من الامراء
ولم يبق عنده غير عطاء بن حفاظ السلمي الخادم وكان
صاحب بعلبك وكان شهما شجاعا وقد رد مجير الدين اليه
امر دولته فكتب نور الدين الى مجير الدين يقول قد نفر
عنك عطاء قلوب الرعية فاقبض عليه ليعلم نور الدين
انه لا يتم له امر في دمشق مع وجود عطا فقبض عليه مجير الدين
وامر بقتله فقال له عطا لا تقتلني فان الحيلة قد تمت
عليك وذهب ملكك وسترى قولي فقتله ولم يلتفت اليه
فحينئذ طمع نور الدين في دمشق وراسل احداثها واعيانها

ناطاعوه فسار اليهم فنزل عليها وكتب مجير الدين الى
الفرنج يستنجدهم ويبذل لهم بعلبك واموالا كثيرة وبلغ
نور الدين ذلك فزحف على دمشق وظهر له العسكر من
دمشق ووقع الطراد بينهم اياما فلما كان يوم الاحد
عاشر صفر زحف عليهم ودفعهم الى باب كيسان ولم
يكن على السور احد من العسكر لسوء تدبير مجير الدين
وجاء واحد من رجالة نور الدين الى السور وعليه
امراة يهودية فدلت اليه حبلا فتسلق فيه وتبعه الرجال
واصعدوا علما وصاحوا نور الدين يا منصور فامتنع
الاجناد والرعية من القتال والممانعة لما بهم عليه من
بغض مجير الدين وظلمه وعسفه ومحبتهم لنور الدين وبادر
بعض الحطابين بفاس الى الباب الشرقي فكسر اغلاقه وفتحه
فدخل منه العسكر فلم يقف بين ايديهم احد ودخل
نور الدين البلد وصعد مجير الدين القلعة ومعه خواصه
واغلق ابوابها فارسل اليه نور الدين وطيب قلبه وامنه
على نفسه ونادى بامان اهل البلد على نفوسهم واموالهم
وتقرر الامر بينه وبين مجير الدين على حمص وكتب له
منشورا بها واخرج مجير الدين ما كان له في دوره
بالقلعة والخزاين من المال والالات والاثاث على كثرته

الى الدار الاتابكية دار رحبة واقام اياما ثم سار
الى حمص بعد ان كتب منشورا باقطاعه عدة ضياع باعمال
حمص برسمه ورسم جنده ثم احضر بعد ذلك اليوم
اماثل الرعية من القضاة والفقهاء والتجار وخوطبوا
بما زاد في ايناسهم وسرور نفوسهم وحسن النظر اليهم
مما يعود بصلاح احوالهم وتحقيق امالهم فاكثروا الدعاء
له والثناء عليه قال ابن الاثير ولما استقر نور الدين
في البلد عمل مع اهله مكرمة عظيمة واظهر فيهم عدلا
عاما وذكر بعض ما قدمناه اول الكتاب واقام مجير الدين
بحمص ثم كاتب احداث دمشق في اثارة الفتنة
فبلغ نور الدين ذلك فاعطاه بالس بدل حمص فبعد
عن دمشق فلم يرض بها ومضى الى بغداد وبنى بها دارا
قبالة النظامية واقام بها الى ان مات **وفيها** ظهر بنواحي
واسط دم من الارض لا يعلم به سبب ذلك **وفيها** هاجت
ريح شديدة بعد العشاء فيها نار فخاف الناس ان
تكون الساعة وزلزلت الارض وتغير ماء دجلة الى
الحمرة **وفيها** قتل بمصر خليفتها الظافر بالله العبيدي
واقاموا ولده مكانه ولقبوه بالفايز وكان صغيرا
لم يبلغ الخامسة فكتب المقتفي لامر الله عهدا لنور الدين محمود

بولاية مصر ولقبه بالملك العادل وامره بالمسير اليها
فلم يتيسر له ذلك لاشتغاله بحرب الفرنج وقرب عهده
باخذ دمشق ومنها ثارت الاسماعيلية واجتمعوا في سبعة
الاف مقاتل من بين فارس وراجل وقصدوا خراسان
ووقع المصاف فهزم الله الاسماعيلية فقتل رؤسهم واعيانهم
ولم ينج منهم الا القليل وخلت قلاعهم من الحماة ولولا
ان عسكر خراسان كانوا مشغولين بالغز لملكوا حصونهم
وقلاعهم واستاصلوا شافتهم سنة خمسين وخمسمائة فيها
تسلم نور الدين بعلبك وكانت بيد نجم الدين ايوب وكانت
قلعتها بيد رجل يقال له ضحاك البقاعي واحضر نجم الدين
الى دمشق واقطعه اقطاعا حسنا وجعل ابنه توران شاه
شحنة دمشق ثم من بعده جعل اخاه صلاح الدين يوسف
هو الشحنة بها وجعله من خواصه لا يفارقه حضرا ولا سفرا
لانه كان حسن الشكل حسن اللعب بالاكرة وكان
نور الدين يحب اللعب بالاكرة وفي شحنكية صلاح الدين
يقول عرقلة الشاعر يقول

رويدكم يا لصوص الشام	فاني لكم ناصح في مقالي
فاياكم وسمي النبي	يوسف رب الحجى والكمال
فذاك مقطع ايدي النساء	وهذا مقطع ايدي الرجال

ارسل امير المؤمنين المقتفي الى امير الحرمين بامره ان يركب
على باب الكعبة المكرمة باب ساج جديد قد البس جميع
خشبه فضة مطلي بذهب وان ياخذ امير الحرمين حلية
الباب القديم لنفسه ويسير اليه خشبه القديم مجردا
ليجعله تابوتا يدفن فيه عند موته قال ابو شامة ذكر لي
الفقيه عمارة الشاعر وقال لي امير الحرمين انه ابيع له
الفضة التي اخذها من الباب في اليمن فبلغ وزنها
خمسة عشر الف درهم ومنها قتل احمد بن محمد الحويزي
كان غلاما عاملا للمستغني على نهر الملك وكان اظلم
العالم تعلق الرجال بارجلهم والنساء بيديهن في السراديب
وبجانبهم من بين يديه ويتمسك بالدين والسجادة والمروقاة
تحته والسبحة بيده وهو يسبح ويقرا القران والناس
يعذبون بين يديه والسبحة بيده ويؤمي الى الجلاد بالراس
والوجه وكان يدعي الكرامات دخل الحمام يوما
بقرية في نهر الملك فدخل عليه ثلاثة فضربوه بالسيوف
وقطعوه ونقل الى بغداذ ومات فدفن في مقبرة جامع
المنصور وحفظ قبره لئلا ينبش فاصبح وقد خسف بقبره
فاجتمعت العامة على سبه ولعنه واظهر الله فيه عظيم قدرته
سنة احدى وخمسين فيها حاصر نور الدين قلعة حارم وهي حصن

غزتي حلب بالقرب من انطاكية وضيقوا على اهلها وهي
من امنع الحصون واحصنها فاجتمعت الفرنج يراجعون الى
رأيه فارسل اليهم يعرفهم قوتهم وانهم قادرون على حفظ
الحصن والدفع عنه بما عندهم من العدد والعدد وحصانة
القلعة وليشير عليهم بالمطاولة وترك اللقاء وقال لهم
ان لقيتموه هزمكم واخذ حارم وان اطقتكم انفسكم
اطقتها الامتناع عليه ففعلوا ما اشار به عليهم وراسلوا
نور الدين في الصلح على ان يعطوه حصة من اعمال حارم
فابى ان يجيبهم الا على مناصفة الولاية فاجابوه الى ذلك
فصالحهم وعاد **ومنها** خلص سنجر من اسر الغز بحيلة
وهرب الى قلعة ترمذ بعد ان اقام عند الغز اربع سنين
في الذل والهوان حتى ضرب به اهل بغداد الامثال
ما استشفى الغز من سنجر وقيل انه وعد الموكلين به
بالمال العظيم فاجابوه واوفى لهم ودخل مدينة مرو وقد
زال عنه البوس وورد على نور الدين كتاب سنجر بالتشوق
اليه وما انتهى اليه من جميع احواله واعلامه بما من الله عليه
من خلاصه من الشدة التي كانت عليه بيد الغز بحيلة
دبرها بحيث عاد الى منصبه من السلطنة ووعده بنصره
على الفرنج فامر نور الدين بزينة دمشق وفعلت في ذلك ما لم

بحربه عادة فيما تقدم في ايام ملوكها وامر بزينة القلعة
اسوارها بالجواشن والدروع والتراس والسيوف والاعلام
والات الملاهي وهرعت الخلائق والغز بامشاهدة هذا
فاعجبهم وبقي اسبوعاً **ومنها** جاءت الاخبار باغارة
الفرنج على اعمال حمص وحماه ثم سارت الفرنج في سبعمائة
فارس سوى الرجالة الى ناحية بانياس فوقع عليهم عسكر
الاسلام ونزل النصر فلم ينج من الملاعين الا القليل
وصاروا بين اسير وجريح وقيل جاءت الرؤس والاسارى
وكان يوماً مشهوداً ثم هيا نور الدين للجهاد وجاءته
الامداد ونودي في البلد بالتاهب والحث على الجهاد
فتبعه خلق من الاحداث والفقهاء والصلحاء ونازل بانياس
وجد في حصارها فافتتحها بالسيف وجاء الفرنج
لنصرة صاحب بانياس فلم يدركوه الا وقد اخذت وبلغ
نور الدين ان الفرنج على الملاحة بقرب طبرية فنهض
بجيوشه وجد في السير حتى ادركهم واوقعهم فكسرهم
ووقع القتل والاسر في الكفرة قال ابو يعلى فلم يفلت
منهم على ما حكاه المخبر الصادق غير عشرة نفر قيل ان ملكهم
فيهم وقيل قتل ولم يفقد من المسلمين الاجناد سوى رجلين
احدهما من الابطال وقيل ربعة من شجعان الكماة قتل رحمه الله

وجيء بالروس والاسري الي دمشق فالحبال علي الجمال
والمدموت علي الخيل بالزردبات والخوذ في ايديهم اعلامهم
وفرح المومنون وضج الخلق بالدعاء لنور الدين
سنة اثنين وخمسين كان بها وفي السنة التي قبلها
زلازل عظيمة متوالية بالشام وبحلب وحماة وشيزر وفامية
وكفرطاب والمعرة وانطاكية ودمشق وحصن الاكراد
وطرابلس فهلك بحلب تحت الردم خمسماية نفس واما حماة
فهلكت جميعها الا اليسير واما شيزر فما سلم منها الا
امراة وخادم وهلك جميع من كان فيها واما كفرطاب
فما سلم منها احد واما فامية فهلكت وساخت قلعتها
واما تل حران فانه انقسم لصفين وظهر من وسطه
نواويس وبيوت كثيرة واما حصن الاكراد وعرقا فهلكا
جميعا وسلم من اللاذقية نفر يسير وهلك اكثر اهل
طرابلس ونصف اهل انطاكية كذا ذكره ابن الجوزي
قال الذهبي والله اعلم بصحة ذلك وتحقق تفاصيله
وقال غيره انه وقع ابراج قلعة حلب وغيرها وانشق تل
حران نصفين وظهر فيه صنم قايم في الماء وخربت
صيدا وبيروت وعكا وصور وجميع قلاع الفرنج قال ابن الامير
ولقد بلغني من كثرة الهلكا ان بعض المعلمين بحماة فارق مكتبه

لمهم له فجاءت الزلزلة فاخربت الدور وسقط المكتب علي
الصبيان جميعهم قال المعلم

النقيب سوق العطارين وسكة معاد وعطلوا ليلا ثم
جمع المؤيد جموعا وجيش والتقى هو والعلوية
واشتد الحرب واحرقت المدارس والاسواق وكثر
القتل بالشافعية فالتجأ المؤيد الى قلعة فرخك وخربت
نيسابور بسبب هذه المصيبة ثم نزل المؤيد رئيس الشافعية
وعاد نقيب العلوي بنيسابور واشتد الخطب على
الرعية وسفكت الدماء وهتكت الاستار وخرب ما بقي
من البلد وبالغ الشافعية في الانتقام وخربوا مدرسة الحنفية
واستوصلت نيسابور فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
قال الذهبي هذا ملخص ما ذكره ابن الاثير في كامله
وفيها وقع بالعراق برد قال الذهبي انه كان فيه
ما وزنه خمسة ارطال ونحو ذلك وقيل انهم راوا بردة
منها تسعة ارطال بالبغدادي فاتلفت الغلال وتزايدت
دجلة زيادة عظيمة فغرقت بسبب ذلك محال كثيرة من بغداد
وصارت تلالا ولم يعرف احد موضع داره الا بالحزر والتخمين
وغرقت تربة احمد بن حنبل وخسفت هنالك القبور وطافت الموتى

على وجه الماء قال ابن الجوزي وفيها كثر المرض والموت سنة
خمس وخمسين وتعرف هذه السنة بسنة الخلفاء والملوك لان فيها
مات المقتفي والفايز صاحب مصر والسلطان ملكشاه وخسروشاه
صاحب غزنة وهي سنة قران المريخ لزحل في برج السرطان قال
الكتبي في تاريخه ومن الاتفاق العجيب ان المقتفي واقواله
في اشياء من ذلك مرضهما بالتراقي وموتهما في ربيع الاول وموت
السلطان محمود قبل موت ابيه بثلاثة اشهر وموت كل منهم ابعد
غرق بغداد بخمسة ومن العجيب ايضا ما ذكره عفيف الناسخ
قال رايت في المنام قائلا يقول اذا اجتمعت ثلث خاءات
مات المقتفي فمات في سنة خمس وخمسين وخمسماية وحكى
ابن خلكان قال اخبرني بعض مشايخ العراق الفضلاء ان
المستنجد بن المقتفي راى في منامه في حياة ابيه كان ملكا
نزل من السما فكتب في كفه اربع خاءات فعبر الرويا المعبر
بانه تلي الخلافة في سنة خمس وخمسين وخمسماية وكان الامر كذلك
وفيها بويع المستنجد بالله ابو المظفر يوسف بن المقتفي ودخل
الى الحجرة التي كان يقعد فيها فهجمت عليه ام اخيه ابي علي الحسن
ومعها جواريها بايديهن السكاكين ليقتلنه وتبايع لابنها
فدعا عليها فقال يا اماه ما الذي صنعت حتى تستحلين دمي
دافعني الله فوقفت على قتله وخرج من الحجرة وجاء اصحابه فاخذوا

تستنصر على اخيه ابي علي الحسن وهو صبي ولم يصبوا عليه
بل كان في ترفه وسعة وانتقم من الجواري اللاتي
اردن قتله وفيها مات صاحب مصر الفايز بالله وهو ابن
احدى عشر سنة وكان يصرع باسمه عيسى بن الظافر بنصره
وهو طفل بعد مقتل والده وكانت الامور راجعة الى الملك الصالح
طلايع بن رزيك وهو عبارة عن صاحب مصر وفيها بويع
العاضد بن يوسف بن الحافظ بمصر وهو ابن عم الفايز بن
الظافر بن الحافظ وهو اخر خلفاء العبيدية وفيها استعفى
القاضي زكي الدين ابو الحسن علي بن محمد بن يحيى ابو الحسن
القرشي من القضاء بدمشق فاعفاه نور الدين وولي مكانه
القاضي كمال الدين الشهرزوري وكان من خيار القضاة
واليه ينسب الشباك الكمالي الذي يجلس فيه الحكام بالجامع
بعد صلوة الجمعة من المشهد الغربي بالجامع الاموي سنة
ست وخمسين فيها قبض المؤيد على نقيب العلويين ابي
الحسن زيد الحسيني وبني جماعة وقتل جماعة وخربت نيسابور
ومما احرق سبع عشر مدرسة للحنفية واحرقت خمس خزاين
كتب ونهبت سبع خزاين وبيعت باخس الاثمان وفيها كان
الرخص كثيرا ببغداد ابيع اللحم اربعة ارطال بقيراط والبيض
كل مائة بقيراط وفيها مرض نقيب الاشراف بدمشق المعروف

بابن لبني الحسين مرضا شديدا ايس منه فوض السلطان
نور الدين النقابة وما كان بيده من الولايات الى ولده
واشتغل بتجهيزه والدعة وترتيب كفانه وعقد لقبره فاتفق
ان عافاه الله وانطرح ولده مريضا فمات في اليوم الخامس
فجهز بذلك الجهاز ودفن في ذلك القبر الذي بناه لوالده
وفيها قتل الملك الصالح فارس الدين ابو الغارات طلايع
ابن رزيك الارمني وزير العاضد صاحب مصر ووالد زوجته
وكان قد حجر على الولد الصغير واستحوذ على الاموال فقتله
الحاشية وهذا هو الذي بني الجامع عند باب زويلة ظاهر
القاهرة قال ابن خلكان ومن العجايب انه ولي الوزارة
في تاسع عشر شهر ونقل من دار الوزارة الى القرافة في
تاسع عشر شهر وزالت دولتهم في تاسع عشر شهر وكان الصالح
من علماء الرافضة وادبائهم واستوزر بعده ولده رزيك
سنة سبع وخمسين قال ابن الاثير فيها جمع نور الدين
العساكر بحلب وسار الى قلعة حارم وحصرها وجد في قتالها
فامتنعت عليه لحصانتها وكثرة من بها من فرسان الفرنج و
شجعانهم واجتمع الفرنج من ساير البلاد وساروا نحوه ليرحلوه
عنها فلما قاربوه طلب منهم المصاف فلم يجيبوه الى ذلك وراسلوه
وتلطفوا بالحال معه فعاد الى بلاده وفيها نهب عبيد مكة

الحاج ورحلوا الى المدينة ولم يطيقوا احد ولم يسعى
سنة ثمان وخمسين فيها جمع نور الدين عساكره ودخل بلاد
الفرنج فنزل بالبقيعة تحت حصن الاكراد وهو للفرنج
عازما على دخول بلادهم ومنازلة طرابلس وضرب الناس
خيامهم ولم يكن لهم التحرز ظنا من نور الدين انهم لا
يقدمون عليه فبينما الناس وسط النهار في خيامهم
لم يرعهم الا ظهور صلبان الفرنج من وراء الجبل الذي
عليه الحصن فالسعيد الذي ركب فرسه ونجى فخرج نور الدين
من ظهر خيمته عجلا بغير قباء فركب فرسا هناك للنوبة
وفي رجله شبحة فنزل انسان من الاكراد فقطعها فنجى
نور الدين وقتل الكردي فسئل نور الدين عن مخلفي
ذلك الكردي فاحسن اليهم جزاء لفعاله وقتل الفرنج واسروا
خلقا كثيرا ونهبوا جميع الوطاق وكان اكثر القتل
في السوقة والغلمان وسار نور الدين الى مدينة حمص
فاقام بظاهرها واحضر ما فيها من الخيام ونصبها بحيرة قدس
على فرسخ من حمص وبينها وبين مكان الوقعة اربعة فراسخ
واجتمع اليه كل من نجى من المعركة فقال له بعض اصحابه
ليس من الراي ان نقيم ها هنا فان الفرنج ربما حملهم
الطمع على المجيء الينا ونحن على هذه الحالة فوبخه واسكته وقال

اذا كان معي الف فارس فلا ابالي بهم قلوا او كثروا والله
لا استظل بجدار حتى اخذ بثار المسلمين وثاري
ثم انه ارسل الى حلب ودمشق واحضر الاموال والدواب
والاسلحة والخيام وسائر ما يحتاج اليه الجند فاكثر وفرق
ذلك جميعه على من سلم واما من قتل فاقر اولاده على
اقطاعه ومن لم يكن له ولد اعطاه لبعض اهله فعاد
العسكر كان لم يفقد منه احد واما الفرنج فانهم كانوا
عازمين على قصد حمص بعد الهزيمة لانها اقرب البلاد
اليهم فلما بلغهم مقام نور الدين عندها قالوا انه لم يفعل
هذا الا وعنده من القوة ان يمنعنا فتوقفوا واكثر نور
الدين من الخروج الى ان فرق في يوم واحد مائتي الف
دينار سوى الدواب والخيام والسلاح وغير ذلك وتقدم
الى ديوانه ان يحضروا الجند ويسألوا كل واحد منهم
عن الذي اخذ منه وكل من ذكر شيئا اعطوه عوضه
فحضر بعض الجند وادعى شيئا كثيرا علم النواب بكذبه
فيما ادعاه لمعرفتهم بحاله فارسلوا الى نور الدين ينهون
القضية ويستاذنون في تحليف الجندي على ما ادعى
فاعاد الجواب لا تكدروا عطايانا فاني ارجوا الثواب
والاجر على كثيره وقليله وقال لاصحابه ان كذبه لا ذلك

ادرارات كثيرة وصلات عظيمة للفقهاء والفقراء والصوفية
والقراء فلو استعنت بها الان لكان امثل فغضب من هذا
وقال ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم والله
اني لا ارجوا النصر الا باولئك فانما ترزقون وتنصرون
بضعفائكم كيف اقطع صلات قوم يقاتلون عني وانا
نائم في فراشي بسهام لا تخطي واصرفها الى من يقاتل
عني بسهام قد تخطي وقد تصيب ثم هولاء القوم
لهم نصيب في بيت المال اصرفه اليهم كيف اعطيه
غيرهم فسكتوا ثم كتب اليه نوابه انه لم نعتبر عليهم
شيئا وقد وقعت في هذه الورطة العظيمة فلو
امرتنا بالاقتراض من ارباب الاموال ما نستعين به
على جهاد العدو فقد نفدت الخزائن وتطمع العدو
في الاسلام وبات مفكرا وقال في نفسه نقترض
ثم ندفع العوض ثم قال ما افعل وبات قلقا الى وقت
السحر فراى انسانا ينشد هذه الابيات حيث يقول

احسنوا ما دام امركم	يا قذى في البدو والحضر
واغتنموا ايام دولتكم	انكم منها على خطر

فقام مرعوبا مستغفرا مما خطر له وعلم ان هذا تنبيه
من الله تعالى وكتب الى نوابه لا حاجة لنا باموال ثم ان الفرنج

ارسلوا الي نور الدين في المهادنة فلم يجبهم اليها فتركوا
عند الحصن من يحميه وعادوا الي بلادهم وتفرقوا
وفيها ظهر شاور بن مجير السعدي من بلاد الصعيد وجمع
اوباش الصعيد والجند وجاء الي القاهرة فخرج اليه زريك
ابن الصالح فهزمه شاور ودخل القاهرة فاخرج من دار
الوزارة ودور بني زريك ونهبها وبعث اليه العاضد بخلع
الوزارة ولقبه امير الجيوش وكان عادة الخلفاء المصريين
اذا غلب شخص صاحب المنصب وعجز صاحب المنصب عن
دفعه وعرفوا عجزه وفقوا القاهرة منهم ووثبوه فان
قوتهم انما كانت بعسكر وزيرهم وهو الملقب عندهم بالسلطان
ثم تبع زريك ابن الصالح الي ان احضر فقتله واستقر بالمملكة
وتلقب بالناصر ثم انه اساء السيرة فخرج عليه ابو الاشبال
ضرغام بن ثعلبة من الصعيد وتلقب بالمنصور وجمع جموعا
كثيرة فخرج اليه شاور فهزمه ضرغام وقتل ولده ودخل
اهلا لقاهرة شاور فانهزم الي الشام وكان نور الدين
بالشام فالتقاه واكرمه واقام عنده اياما ثم طلب منه العسكر
وقال اكون نايبك بالديار المصرية واقنع بما تعينه لي
من الضياع والباقي لك فاجابه نور الدين الي ذلك وسياتي
ذكره في السنة الاتية وشاور هذا هو الذي يقول فيه عمارة

الشاعر من جملة قصيدة حيث يقول

ضجر الحديد من الحديد وشاور	في نصر دين محمد لم يضجر
حلف الزمان ليأتين بمثله	حنثت يمينك يا زمان فكفر

سنة تسع وخمسين فيها امر نور الدين اسد الدين شيركوه
بالتجهز للمسير مع شاور واجابته لقصده في الاستصراخ
والاستنجاد واعادته شاور الي منصبه والانتقام ممن
نازعه في الوزارة فسار واخذ معه كل فارس منتخب من
فرسان الشام ومعه ابن اخيه صلاح الدين يوسف وسار
معهم نور الدين الي اطراف بلاد الاسلام مما يلي الفرنج
بعساكره ليشغلهم عن التعرض لاسد الدين فوصل اسد الدين
هو ومن معه الي مصر فخرج اليهم ابو الاشبال ضرغام فحاربهم
اياما فلما كان في بعض الايام التقوا علي باب القاهرة
فحمل ضرغام في اوايل الناس فجاءته طعنة خر صريعا فقطع
راسه وطيف به وعاد شاور وزيرا وتمكن من منصبه
وكانت وزارة ضرغام لسبعة اشهر وهي مدة الحمل قاله
ابن الاثير واقام اسد الدين بظاهر القاهرة وغدر به
شاور وعاد عما كان قرره لنور الدين من البلاد المصرية
ولاسد الدين ايضا وارسل اليه يامره بالعود الي الشام فانف
وارسل نوابه بلبيس وحكم علي البلاد الشرقية فارسل شاور الي الفرنج

ليستنجدهم ويخوفهم من نور الدين ان ملك مصر وكان الفرنج
قد ايقنوا بالهلاك ان ملكها نور الدين فلما ارسل اليهم
شاور يستنجدهم على اخراج اسد الدين من البلاد بادروا
الى اجابته وطمعوا في ملك ديار مصر وكان قد بذل
لهم مالا على المسير اليه فتجهزوا وساروا فلما بلغ نور الدين
خبر تجهزهم للمسير سار في عساكره الى اطراف بلادهم
مما يلي الفرنج ليمتنعوا من المسلمين فلم يمتنعوا لعلمهم ان
الخطر في مقامهم ان ملك اسد الدين مصر اشد من الخطر
في مسيرهم فتركوا في بلادهم من يحفظها وسار ملك القدس
في الباقين الى مصر وكان قد وصل الى الساحل جمع كثير
من الفرنج في البحر لزيارة بيت المقدس فاستعان بهم
ملك الفرنج ولما قارب الفرنج مصر فارقها اسد الدين وقصد
مدينة بلبيس وحاصروه بها ثلاثة اشهر وقد امتنع اسد الدين
بها وسورها من طين قصير جدا وليس له خندق وهو
يغاديهم القتال ويراوحهم فلم يبلغوا منه غرضا ولا نالوا
فبينما هم كذلك اذ اتاهم الخبر بهزيمة الفرنج بحارم وملك نور الدين
الحصن ومسيره الى بانياس فحينئذ سقط في ايديهم وراسلوا
اسد الدين في الصلح والعود الى الشام وتسليم ما بيده الى
المصريين فاجابهم الى ذلك لانه لم يعلم بما فعله نور الدين بالفرنج

في الساحل فرجعوا عنه قال ابن كثير وقبض اسد الدين
من شاور ستين الف دينار وسار الى الشام وعاد سالما
وفيها فتح نور الدين حارم قال ابن الاثير والسبب في هذا
الفتح ان نور الدين لما اصابه بالبقيعة من الفرنج ما اصابه
بعث الى اخيه قطب الدين بالموصل وفخر الدين قرا ارسلان
بالحصن ونجم الدين بماردين وغيرهم فطلب منهم النجدة
فبادروا وجاؤوا اليه بانفسهم الا صاحب ماردين فانه
جهز عساكره وتاخر هو بعذر منعه فلما اجتمعت العساكر
على حلب سار بهم نور الدين الى حارم فنازلها وبلغ الفرنج
فحشدوا وجاؤوا في ثلاثين الف فارس وفيهم الابرنس
صاحب انطاكية والقمص صاحب طرابلس وابن جوسكين
وهو من مشاهير الفرنج وابطالها والدوك معهم وهو رئيس
الروم ومقدمها وكان معهم من الرجالة ما لا يحصى فلما
تقاربوا واصطفوا للقتال بدأت الفرنج بالحملة على ميمنة
المسلمين وفيها عسكر حلب وفخر الدين فاندفعوا بين ايديهم
وقصدوا بذلك ان يبعدوا الفرسان عن الرجالة فيتبعهم
الفرسان فعطف حينئذ نور الدين في عسكر الموصل
على الرجالة فحصدهم بالسيف وعادت خيالتهم ولم يمعنوا
في الطلب خوفا على رجالتهم من العطب فصادفوا رجالتهم بين قتيل واسير

ولم يبق منهم لا قليل ولا كثير فسقط في ايديهم ورأوا
انهم قد ضلوا فلما رجعوا عاد عليهم المنهزمون فبقوا
في الوسط وقد احدق بهم المسلمون من كل جانب فذلوا
وخضعوا وعمل فيهم السيف فلم ينج منهم الا من يجي بن فرنس
واكثر المسلمون فيهم القتل قال العماد الكاتب قتل
منهم عشرون الفا وقال ابن الاثير زادت عدة القتلى
على عشرة الاف واما الاسرى فلم يحصوا كثرة ويكفيك
دليلا على كثرتهم ان جميع ملوكهم اسروا وهم الذين من
قبل ذكروا وسار نور الدين الى حارم فملكها وغنم ما فيها
من الاموال والخيل والسلاح والخيام وغير ذلك وعاد
الى حلب بالاسارى والغنايم وامتلأت حلب منهم وبيع الاسير
بدينار وفرقهم نور الدين على العساكر واعطى اخاه
وصاحبا لحصن الاموال العظيمة والتحف الكثيرة وعادوا
الى بلادهم قال الكتبي وفادى نور الدين الملوك وكان
قد استفتى الفقهاء فقال قوم يقتل الجميع وقال قوم يفادى
فمال الى الفدية فاخذ منهم ستماية الف دينار معجلة وخيلا
وسلاحا وغير ذلك وكان نور الدين يحلف بالله تعالى
ان جميع ما بناه من المدارس والاوقاف والربط وغيرها
من هذه المفادات وجميع وقفه منها وليس فيها من بيت المال

الدرهم الفرد انتهى وقال صاحب الروضتين وبلغني
ان نور الدين رحمه الله لما التقى الجمعان او قبله اتى
تحت تل حارم وسجد لربه عز وجل ومرغ وجهه وتضرع
وقال يا رب هولاء عبيدك وهم اولياوك وهولاء
عبيدك وهم اعداوك فانصر اولياءك على اعدائك
ايش فضول محمود في الوسط يشير الى انك يا رب ان
نصرت المسلمين فدينك نصرت فلا تمنعهم النصر بسبب محمود
وان كان غير مستحق للنصرة وبلغني انه قال اللهم
انصر دينك ولا تنصر محمودا من هو محمود الكلب حتى ينصر
سنة ستين وخمسماية فيها فتح نور الدين بانياس عنوة
وكان معه اخوه نصير الدين امير ميران فجاءه
سهم في عينه فاذهبها فلما راه نور الدين قال له
لو كشف لك عن الاجر الذي اعد لك لتمنيت ان تذهب
الاخرى وكان مع نور الدين ولد معين الدين انر
الذي سلم البرج بانياس للفرنج فقال له نور الدين للناس
بهذا الناس فرحة واحدة ولك فرحتان قال يا مولانا
ولم قال لان اليوم بردت جلدة ابيك من نار جهنم
قال ابن الجوزي وفيها ولدت امراة ببغداد اربع بنات
وبقي في بطنها ولد ذكر ومات به وعاشت البنات

سنة احدى وستين وفيها سار نور الدين الى حصن المنيطرة
ولم يحتشد له ولا جمع عساكره وانما سار اليه على غرة
من الفرنج الذين وصل الى المنيطرة فحصرها واخذها
عنوة وقتل من بها وسبى وغنم كذلك قاله ابن الاثير
وذكر ابن شداد ان ذلك كان في السنة الاتية وفيها
ثارت فتنة ببغداد بين الشيعة والسنة لان الشيعة اظهرت
النياحة والبكاء على اهل البيت يوم عاشورا واعلنوا
بسب الصحابة وبالغوا حتى انهم كانوا يضربون من يرونه
مكحلا فثارت فتنة شديدة سنة اثنين وستين وفيها عاد
اسد الدين شيركوه الى مصر وهي المرة الثانية لما كان
في نفسه من الحقد على شاور لما فعله معه مما تقدم وسير
نور الدين معه جماعة من الامراء وابن اخيه صلاح الدين
فسار في ربيع الاخر ونزل الجيزة غربي مصر على البحر
وتصرف في البلاد الغربية واقام بها نيفا وخمسين
يوما ثم عدا الى بر مصر القاهرة وسار الى الصعيد
وكان شاور قد اعطى الفرنج الاموال واقطعهم الاقطاعات
وانزلهم دور القاهرة وبنى لهم اسواقا تخصهم
وكان مقدمهم الامير مري ابن بيرزان فاستغاث
شاور بالفرنج فاتوه وخرج شاور وعسكر مصر والفرنج

فادركوا اسد الدين بمكان يعرف بالبابين ولما بلغ
اسد الدين خبرهم وكثرة عددهم وعددهم استشار
اصحابه فكل اشار عليه بعبور النيل الى الجانب الشرقي
والعود الى الشام وقالوا له نحن انهزمنا فهو الذي لا
شك فيه فالى اين نلتجي وبمن نحتمي وكل من في
هذه الدار من جندي وعامي وفلاح عدو لنا ويودون
لو شربوا دماءنا وحق لعسكر عدتهم الفا فارس قد
بعدوا عن ديارهم وقل ناصرهم ان يرتاع من لقاء
عشرات الوف مع ان كل اهل البلاد اعداهم فلما
قالوا ذلك قام انسان من المماليك النورية يقال له
شرف الدين برغش وكان بالشجاعة بالمكان المشهور
وقال من يخاف القتل والجراح والاسر فلا يخدم الملوك
بل يكون فلاحا او مع النساء في بيته والله لئن عدتم
الى الملك العادل من غير غلبة وبلاء يعتذرون به
ليأخذن اقطاعاتكم وليعودن عليكم بجميع ما اخذتموه
الى يومنا هذا ويقول لكم اتاخذون اموال المسلمين وتفرون
من عدوهم وتسلمونها مثل الديار المصرية يتصرف فيها
الكفار وقال اسد الدين هذا رايي وبه اعمل ووافقهما
صلاح الدين يوسف ابن ايوب ثم كثر الموافقون لهم على القتال

فاجتمعت الكلمة على اللقا فاقام بمكانه حتى
ادركه المصريون فرتب اسد الدين عساكره فجعل صلاح
الدين ابن اخيه في القلب وجعل معه الاثقال في القلب
يتكثر بها ولانه لم يمكنه ان يتركها بمكان اخر
فينهبها اهل البلاد وجعل في الميسرة الاكراد وقال
لصلاح الدين ومن معه ان الفرنج والمصريين يظنون
انني في القلب فيجعلون جمعهم بازائه وحملتهم
عليه فاذا حملوا عليكم فلا تصدقوهم القتال ولا تهلكوا
انفسكم واندفعوا بين ايديهم فان عادوا عليكم فارجعوا
في اعقابهم واختار من شجعان اصحابه جمعا يثق بهم
ويعرف صبرهم وشجاعتهم ووقف بهم في الميمنة وجعل
شاور الفرنج في الميمنة مع ابن بيرزان وعسكر مصر
في الميسرة واقام هو مع الملك مري في القلب ومعه
شوكة الفرنج والخيالة فلما تقاتل الطائفتان فعل
الفرنج ما ذكره اسد الدين وحملوا على القلب ظنا منهم
انه فيه فقاتلهم من به قتالا يسيرا ثم انهزموا بين
ايديهم فتبعهم فحينئذ حمل اسد الدين فيمن معه
على من تخلف عن الفرنج الذين حملوا على القلب من
المسلمين فهزمهم ووضع السيف فيهم فاثخن واكثر القتل

والاسر وانهزم الباقون فلما عاد الفرنج من اثر المنهزمين
الذين كانوا في القلب راوا مكان المعركة من اصحابهم بلقعا
ليس به منهم ديار فانهزموا ايضا وكان هذا من اعجب
ما تورخ ان الفي فارس هزمت عساكر مصر وفرنج الساحل
ثم سار اسد الدين الى ثغر الاسكندرية وجبى ما في
طريقه من القرى والسواد من الاموال ووصل الى الا
وتسلمها من غير قتال سلمها اهلها اليه فدخلها ونزل القصر
وجعل فيه محبس الفرنج الذي اسرهم ثم استناب بها صلاح
وعاد الى الصعيد وتملكه وجبى امواله وخرج شاور
الفرنج من القاهرة فحصروا الاسكندرية اربعة اشهر
واهلها يقاتلون مع صلاح الدين ويتقوتون بالمال فاشتد
الحصار وقل الطعام وبلغ اسد الدين فجمع عرب البلاد
وسار الى الاسكندرية فعاد شاور الى القاهرة فراسل
اسد الدين يطلب منه الصلح وبذل له خمسين الف دينار
سوى ما اخذه من البلاد فاجابه الى ذلك وشرط ان
الفرنج لا يقيمون بمصر ولا يتملكون منها قرية واحدة
وان الاسكندرية تعاد الى المصريين فاجيب الى
ذلك واصطلحوا وطلب صلاح الدين من ملك الفرنج مراكب
تحمل فيها الضعفاء من اصحابه فانفذها اليه فحمل فيها الضعفاء

من اصحابه فانفذها اليه فحمل فيها الضعفا ووجههم الي دمشق
وعاد اسد الدين الي الشام وصلاح الدين معه فخرج من
الاسكندرية في النصف من شوال ووصل الي دمشق
ثامن عشر ذي القعدة واما الفرنج فانهم استقر بينهم وبين
المصريين ان يكون بالقاهرة شحنة ويكون لهم من
دخل مصر كل سنة مائة الف دينار كل هذا يجري بين الفرنج
وشاور واما العاضد صاحب مصر فليس اليه من الامر شي
ولا يعلم بشي من ذلك قد حكم عليه شاور وحجبه وعاد
الفرنج الي بلادهم وتركوا جماعة من فرسانهم ومشاهيرهم
بمصر والقاهرة على القاعدة المذكورة **وفيها** احترقت
اللبادين وباب الساعات بدمشق حريقا عظيما صار تاريخا
وسببه ان بعض الطباخين اوقد نارا تحت قدر له ليلة
ونام واحترقت دكانه واتصلت النار في اللبادين ودور كثيرة
من الخضراء وذهبت اموال عظيمة واقامت الناس تلعب
اياما كثيرة **وفيها** دخل نور الدين بلاد الفرنج ومعه
اخوه قطب الدين وصاحب الموصل فاجتازوا على حصن الاكراد
وهو للداوية فلم يحاصروه لحصانته وصعوبته وانما اخذوا
جميع ما في قراه ونواحيها ثم ساروا الي حصون لهم ففتحوها
بعضها بالسيف وبعضها بالامان منها حصن العريمة وحصن صافيتا

واسروا وغنموا ثم توجهوا الي قلعة هونين فلما قربوا منها
اخلاها اهلها واحرقوها فلما وصل اليها نور الدين
لم يجد فيها فائدة فامر بخرابها وهدم سورها وعزم
على منازلة بيروت ثم وقع خلف في العسكر فرجع وتوجه
قطب الدين الي بلاده واعطاه نور الدين الرقة فانه حكم
عليها في طريقه ورتب نوابه بها **سنة ثلث وستين فيها**
قطع نور الدين الفرات واستولى على الجزيرة والرها وعاد
الي منبج وفيها قبض نور الدين على صاحب قلعة جعبر شهاب الدين
ابن مالك العقيلي وسببه ان نور الدين كان قد رصد حول
جعبر طايفة من العرب الكلابيين وامرهم بالقبض عليه
فنزل ذات يوم من القلعة يتصيد في بعض صحاريها
فاحاطت به العرب ومن معه فقبضوه واوصلوه الي نور الدين
فاعطاهم الوفا من الذهب والثياب واعتقله وشدد عليه
وراوده ان يسلم القلعة فامتنع وذكر ان اهله لا يطيعونه
في ذلك وبعث نور الدين بالجيش مع رسوله وكتابه
فلم يقدروا عليها بحرب ولا سلم ثم استولى عليها في
السنة الاتية **وفيها** فوض نور الدين امر حمص واعمالها
الي اسد الدين شيركوه مضافا الي ما بيده والتقدم على
جميع الجيوش فبقيت حمص بيده واولاده اكثر من مائة سنة

الى ايام الملك الظاهر **سنة اربع وستين** فيها اخذ نور الدين
قلعة جعبر وسببه انه لما حصرها عسكر نور الدين
ومقدم العسكر مجد الدين ابن الداية في السنة الماضية
ولم يرى في فتحها حيلة لا سلك مع صاحبها طريق اللين واشار
عليه باخذ العوض من نور الدين ولم يزل يتوسط معه
حتى اذعن على ان يعطي سروج واعمالها والملاحة في
حلب والباب وبزاعة وعشرين الف دينار معجلة فاخذ جميع
ما شرطه مكرها في صورة مختار وقال ابن الاثير وهذا
اقطاع عظيم جدا لكنه لا حصن فيه وتسلم مجد الدين
قلعة جعبر وصعد اليها وهذه القلعة من امنع الحصون
واحسنها مطلة على الفرات لا يطمع فيها بحصار وقد عجز
جماعة من الملوك اخذها وقتل عليها عماد الدين زنكي
والد نور الدين ولم تزل بيد شهاب الدين العقيلي وبيد
ابائه من قبله من ايام السلطان ملك شاه الى هذه السنة
قال ابن الاثير بلغني انه قيل لشهاب الدين ايما احب
اليك واحسن مقاما سروج والشام او القلعة فقال
هذا اكثر مالا والعز بالقلعة فارقناه **وفيها** سار
اسد الدين شيركوه الى الديار المصرية ثالث مرة وسببه
ان الفرنج قصدت الديار المصرية في جمع عظيم وكان السلطان

نور الدين في جهة الشمال ونواحي الفرات وطلعوا من
عسقلان واتوا بلبيس فنازلوها وحصروها فملكوها
قهرا ونهبوها وسبوا اهلها واقاموا خمسة ايام
ثم اتوا على القاهرة وحصروها فحمل اهلها الخوف
بما فعلوه باهل بلبيس على الامتناع فحفظوا البلد
وبذلوا الجهد في حفظه وكان شاور قد امر
اهل مصر ان ينتقلوا الى القاهرة وامر باحراق مدينة
مصر قبل نزول الفرنج عليهم بيوم وانتزح اهلها وخرج
الناس منها على وجوههم وهجوا في بلاد مصر وبلغ
اجرة الحمل الى القاهرة ثلثين دينارا وترك الناس
اكثر اموالهم فنهبت واحرقت واقامت النار تعمل
في مصر اربعة وخمسون يوما ثم ضاق الحصار وخيف
البوار وعرف شاور انه يضعف عن الحماية فشرع في عمل
الحيل وارسل الى ملك الفرنج يذكر له مودته ومحبته
القديمة وان هواه معه ويذكر له خوفه من نور الدين
والعاضد وان المسلمين لا يوافقونه على التسليم اليه
ويشير عليه بالصلح واخذ مال لئلا تسلم البلاد
الى نور الدين فاجابه الى الصلح على اخذ الف الف دينار
مصرية يعجل البعض ويتأخر البعض فحمل اليه شاور مائة الف دينار

وماطله بالباقي وسأله الرحيل عن البلد ليجمع لهم المال
فرحلوا قريبا وكان خليفة مصر العاضد عقيب حريق
مصر ارسل الي نور الدين يستغيث به وليعرفه ضعف
المسلمين عن الفرنج وارسل في الكتب شعور النساء
وقال هذه شعور نسائي من قصري يستغثن بك
لتنقذهن من الفرنج فقام نور الدين لذلك وتقدم وشرع
في تجهيز العساكر الي مصر ولما صالح شاور الفرنج على
ذلك المال عاود العاضد مراسلة نور الدين واعلامه
بما لقي المسلمون من الفرنج وبذل له ثلث بلاد مصر
وان يكون اسد الدين شيركوه مقيما عنده في عسكره
واقطاعهم عليه خارجا عن الثلث لنور الدين ولما اتا
الرسل نور الدين من العاضد ارسل الي اسد الدين يستدعيه
من حمص فلما خرج القاصد من حلب لقي اسد الدين قدم
لانه لما بلغه ذلك بقي مسلوب القرار مغلوب الاصطبار
لانه كان قد طمع في بلاد مصر فتحا وخروجها من يدهم
وان يستولي عليها الكفار فساق في يوم واحد من
حمص الي حلب لانه ركب وقت طلوع الشمس من حمص
ودخل حلب من اخر ذلك اليوم ويقال ان هذا لم
يتفق لغيره الا للصحابة رضي الله عنهم واجتمع بنور الدين وامره

بالتجهز الي مصر والسرعة في ذلك واعطاه مايتي الف
دينار سوي الثياب والدواب والالات والاسلحة
وحكمه في العساكر فاختار الفي فارس وامر صلاح الدين
بالخروج معه فامتنع وقال يا مولانا ما يكفي ما لقيت
من الشدائد فقال لا بد من خروجك فما امكنه
مخالفة نور الدين احب نور الدين مسير صلاح الدين
وفيه ذهاب بيته وكره صلاح الدين المسير
وفيه سعادته وملكه وعسي ان تكرهوا شيا وهو
خير لكم وعسي ان تحبوا شيا وهو شر لكم
وجمع اسد الدين العساكر من التركمان وغيرهم
وسار الي مصر في جيش عرمرم وقيل كان سبعين
الف فارس وراجل فتقهقر الفرنج لمجيئه ووصل
الي القاهرة واجتمع بالعاضد فخلع عليه واكرمه
واجريت عليه وعلي عساكره الجرايات الكثيرة ولو
يمكن شاور المنع من ذلك لانه راي العساكر كثيرة
بظاهر البلد وراي العاضد معهم من داخل فلم يتجاسر
علي اظهار ما في نفسه فكتمه وهو يماطل اسد الدين
في تقرير ما كان بذل لهم من المال والاقطاع
للعساكر وافراد ثلث البلاد لنور الدين وهو يركب كل يوم

الي اسد الدين ويسير معه ويعلله ويمنيه وما يعدهم
الشيطان الا غرورا ثم انه كاتب الفرنج واستدعاهم
وقال يكون مجيكم الي دمياط في البر والبحر وبلغ
اعيان دولة المصريين ذلك فاجتمعوا عند اسد الدين
وقالوا ان شاور رهين فساد البلاد والعباد وقد كاتب
الفرنج وهو سبب هلاك الاسلام ولما تأخر وصول الفرنج عزم
علي ان يعمل دعوة لاسد الدين ومن معه من الامراء ويقبض
عليهم فنهاه ابنه الكامل وقال له والله ان عزمت
علي هذا الامر لاعرفن اسد الدين فقال له ابوه
لئن لم نفعل هذا لنقتلن جميعا فقال صدقت ولكن
نقتل ونحن مسلمون والبلاد بيد المسلمين خير من ان
نقتل وقد ملكها الفرنج وليس بينك وبين عود الفرنج
الا ان يسمعوا بالقبض علي شيركوه وحينئذ لو مشي العاضد
الي نور الدين لم يرسل فارسا واحدا ويملكون البلاد
فترك ما كان عزم عليه ولما رأي العسكر النوري المطل
من شاور اتفق صلاح الدين يوسف وعز الدين جرديك
وغيرهما علي قتل شاور واعلموا اسد الدين بذلك فنهاهم
فقالوا ليس لنا في البلاد شيء مع بقاء هذا علي حاله واتفق
ان اسد الدين سار الي زيارة قبر الشافعي رضي الله عنه وقصد

شاور عسكر علي عادته للاجتماع به فلقيه صلاح الدين
وعز الدين جرديك ومعهما جمع من العسكر فخدموه
واعلموه ان اسد الدين في الزيارة فقال المضي اليه
فسار ومعه قليلا ثم القوه عن فرسه وهرب اصحابه واخذ
اسيرا وسجنوه في خيمة وتوكلوا بحفظه فعلم اسد الدين
الحال فعاد سريعا ولم يمكنه الا اتمام ما عملوه وارسل
العاضد في الوقت يطلب منه راس شاور وحثه علي قتله
فقتل وحمل راسه الي القصر فارسل العاضد الي اسد الدين
خلعة الوزارة ومعه مكتوب علي طومار بخط العاضد
فاصورته هذا عهد لم يعهد الي وزير بمثله فتقلد
امانة رآك امير المومنين اهلا لحملها والحجة عليك
عند الله بما اوضحه لك من مراشد سبيله فخذ كتاب
امير المومنين بقوة واسحب ذيل الفخار بان اعتزت خدمتك
بنوة النبوة والتزم حق الامامة تجد للفوز سبيلا
ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا
ولقبه بالملك المنصور سلطان الجيوش ثم لم يلبث
اسد الدين ان حضرته المنية بعد خمسة وستين يوما
من ولايته فقلد العاضد بعده الامر لصلاح الدين يوسف
ولقبه الملك الناصر وجهز اليه خلعة الوزارة وهي عمامة بيضاء

بسنبي بطرف ذهب وثوب دبيقي بطراز ذهب وجبة
تحتها سقلاطي بطراز ذهب وطيلسان دبيقي بطراز
دقيق ذهب وعقد جوهر قيمته عشرة آلاف دينار
وسيف محلى بجوهر قيمته خمسة آلاف دينار وفرس
حجرة صفراء من مراكيب العاضد قيمتها ثمانية آلاف دينار
لم يكن بالديار المصرية أسبق منها وطوق وسرفسار
ذهب مجوهر وفي رأسها مائتا حبة جوهر وفي
قوائمها أربع عقود جوهر وفي رأسها قصبة ذهب في
رأسها طلعة مجوهرة وفي رأسها شدة بيضاء بأعلام
ذهب ومع الخلعة عدة تخوت وعدة من الخيل وأشياء أخر
ومنشور الوزارة ملفوف في ثوب أطلس ذهب كذا
ذكر في الروضتين وكتب بتقليده القاضي الفاضل
وكتب العاضد على طرته هذا عهد أمير المؤمنين إليك
وحجة عند الله عليك فأوف بعهدك ويمينك وخذ
كتاب أمير المؤمنين بيمينك ولمن مضى بجدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم أحسن أسوة ولمن بقي لبقيته بنا
أعظم سلوة تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين يعني
بمن مضى أسد الدين وبمن بقي صلاح الدين قال العماد

وهذا آخر منشور وطومار بتلك الدولة وختمت وبددت
عقودها وما انتظمت فقام صلاح الدين بالسلطنة
أتم قيام وتاب عن الخمر وأعرض عن أسباب اللهو وتقمص
بلباس الدين وحفظ ناموس الشرع المتين ولما مات
أسد الدين تطاول جماعة من الأمراء النورية وكل
منهم يطلب الأمر والوزارة لنفسه منهم الأمير عين الدولة
الياروقي وقطب الدين خسرو ابن تليل وسيف الدين
علي المشطوب وشهاب الدين محمود الحارمي العاضد صلاح الدين
فطلب العاضد لصلاح الدين وولاه الأمر وحمله
على ذلك ضعف صلاح الدين وأنه لا يجسر على المخالفة
ولما عاد صلاح الدين إلى دار الوزارة لم يلتفت إليه
أولئك الأمراء ولا خدموه فقام بأمره الفقيه ضياء الدين
عيسى الهكاري وأمال إليه المشطوب ثم قصد شهاب الدين
الحارمي وقال له إن صلاح الدين هو ابن أختك
وملكه لك وقد استقام الأمر له فلا تكن أول من يسعى
في إخراجه عنه ولا يصل إليك ولم يزل به حتى أحضره
إلى عنده وحلفه له ثم عاد إلى قطب الدين وقال له إن
صلاح الدين هو ابن أختك وملكه لك وقد استقام الأمر له
فلا تكن أول من يسعى في إخراجه عنه ولا يصل إليك ولم يزل به

حتى احضره الى عنده وحلفه له ثم عاد الى قطب الدين وقال له
ان صلاح الدين قد اطاعه الناس ولم يبق غيرك
وغير الياروقي وعلى كل حال يجمع بينك وبين صلاح الدين
وان اصله من الاكراد فلا تخرج الامر عنه الى
الاتراك ووعده زيادة اقطاعه فلانه وحلفه ثم
ذهب الى عين الدولة الياروقي وكان اكبر الجماعة
واكثرهم جمعا فلم ينفعه رقاته ولا نفذ فيه سحره
وقال انا لا اخدم يوسف ابدا وعاد الى نور الدين بمن معه
فانكر عليهم فراقهم له وثبت قدم صلاح الدين ورسخ
ملكه قال ابن ابي طي ولما استولى الملك الناصر
على الوزارة مال اليه العاضد واحبه محبة عظيمة
وبلغ من محبته له انه كان يدخل اليه الى القصر راكبا
واذا حضر عنده اقام معه في القصر اليوم والعشرة
لا يعلمون اين مقره قال ولما استولى الملك الناصر على
الوزارة ومال اليه العاضد وبلغ ذلك نور الدين فاعظم
ذلك واكبره وتافف منه مرات وتنكر وقال كيف اقدم
صلاح الدين ان يفعل شيئا بغير امري وكتب بذلك
عدة كتب فلم يلتفت الملك الناصر الى قوله الا انه
لم يخرج عن طاعته وامره وما فارق قوله رايه واشارته

وامر نور الدين من بالشام من اهل صلاح الدين واصحابه
بالخروج اليه وطلب منه حسابا يفهمه فما صار اليه
وكان يقول كثيرا ملكنا ابن ايوب انتهى قال
صاحب الروضتين هذا كله مما تقتضيه الطباع
البشرية والجبلة الادمية وقد اجرى الله سبحانه وتعالى
العادة بذلك الا من عصمه الله ومن انصف عذر
والذي انكره نور الدين افراط صلاح الدين في
تفرقة الاموال واستبداده بذلك من غير مشاورته
هذا مع ان ابن ابي طي متهم فيما نسبه الى نور الدين
بما لا يليق به فان نور الدين كان قد اذل الشيعة
بحلب وابطل شعارهم وكان والد ابن ابي طي
من رؤوس الشيعة فنفاه من حلب وقد ذكر ذلك كله
ابن ابي طي في كتابه مفرقا في مواضع فلهذا هو
كثير التحمل على نور الدين رحمه الله فلا يقبل منه
ما ينسبه اليه مما لا يليق به انتهى وكان صلاح الدين
في الصورة الظاهرة نائبا عن الملك العادل نور الدين
والخطبة لنور الدين في البلاد كلها ولا يتصرفون الا
عن امره وكان نور الدين يكاتب صلاح الدين بالامير
الاسفهسلار ويكتب علامته في الكتب تعظيما ان يكتب اسمه [illegible]

في كتاب بذل الامير الاسفهسلار صلاح الدين وكافة
الامراء بالديار المصرية يعملون كذا وكذا واستمال
صلاح الدين قلوب الناس وبذل لهم الاموال مما
كان اسد الدين قد جمعه ومما اعطاه العاضد
فمال الناس اليه واحبوه وقوي امره وضعف امر
العاضد وارسل صلاح الدين يطلب من نور الدين اخوته
فلم يجبه الى ذلك وقال اخاف ان يخالف احد منهم فتفسد
البلاد ثم ان الفرنج اجتمعوا ليسيروا الى مصر فسير
نور الدين العساكر وفيهم اخو صلاح الدين شمس الدولة
توران شاه وهو اكبر من صلاح الدين فلما اراد
ان يسير قال له ان كنت تسير الى مصر وتنظر الى
اخيك انه يوسف الذي كان يقوم في خدمتك وانت
قاعد فلا تسر فانك تفسد البلاد واحضرك حينئذ
واعاقبك بما تستحقه فان كنت تنظر اليه انه صاحب
مصر وقائم فيها مقامي وتخدمه كما تخدمني فسر اليه
واشدد ازره وساعده على ما هو بصدده فقال
افعل معه من الخدمة والطاعة ما يصل اليك ان شاء الله تعالى
قال ابن ابي طي ولما ملك الملك الناصر مصر انتزع
نور الدين حمص والرحبة من ناصر الدين ابن اسد الدين

وقد كان يتألم الملك الناصر ويقال انه
لما مرض قال ما اخطأت الا في انفاذي اسد الدين
الى مصر بعد علمي برغبته فيها وما يحزنني شيء كعلمي
بما ينال اهلي من يوسف ابن ايوب ثم التفت الى
اصحابه فقال انا اذا مت فسيروا بابني اسماعيل
الى حلب فانه لا يبقى عليه غيرها قال ابن ابي
طي ولقد كان يبلغ الملك الناصر من اقوال نور الدين
واقوال اصحابه اشياء تؤلمه وتمضه غير انه لقاها
بصدر رحيب وخلق عذب حدثني ابي عن ابن
قاضي الدهليز وكان من خواص الملك الناصر قال
جرى يوما بين يدي السلطان ذكر نور الدين فاكثر
الترحم عليه ثم قال والله لقد صبرت منه على مثل
حز المدى ووخز الابر وما قدر احد من اصحابه
ان يجد علي ما يعده ذنبا ولقد اجتهد هو بنفسه
ايضا ان يجد لي هفوة يعدها فلم يقدر فلقد
كان يتعمد في مخاطباته ومراسلاته الاشياء
التي لا يصبر على مثلها العلي ان تضرروا وتغير فيكون
ذلك وسيلة الى منابذتي لما بلغته ارادته يوما قط
انتهى وقد تقدم جواب صاحب الروضتين قريبا وقال

وقد وقفت على كتاب بخط نور الدين الى ابن ابي عصرون
يشكو فيه من صلاح الدين وذلك ضد ما قاله ابن الاثير
ثم اورده لفظا لكتاب **ومنها** قتل الطواشي مؤتمن
الخليفة وحصلت وقعة السودان بين القصرين وسببه
لما تملك صلاح الدين نقص اقطاع المصريين وكان بالقصر
طواشي يدعى مؤتمن الخلافة يحكم في القصر فاجتمع هو
ومن معه على ان يكاتبوا الفرنج ليقدموا الى الديار المصرية
ليخرجوا منها الجيوش الشامية وعرفوهم بانه اذا اخرج
اليهم صلاح الدين بمن معه اخرج المصريون من بقي من
اصحابه بالقاهرة وجهز الكتاب مع انسان امن عليه فاتفق
ان رجلا من التركمان مر بالبير البيضاء فرأى مع انسان
خلق الثياب نعلين جديدين ليس بهما اثر مشي فانكرهما
واخذهما منه وجاء بهما الى صلاح الدين ففتقهما فوجد فيهما
مكاتبة الفرنج من اهل القصر يرجون بحركتهم حصول النصر
فاخذ الكتاب وفحص عن كتابته فذكر انه خط شخص
من اليهود فاحضره ليسأله ويعاقبه على كتابته فلما احضر
بين يديه نطق بالشهادتين ثم ذكر ان الامر بذلك
مؤتمن الخلافة فكتم صلاح الدين هذا فاسرها يوسف في
نفسه ولم يبدها لهم فاستشعر الطواشي بان صلاح الدين

قد اطلع على الامر فلازم القصر مدة طويلة خوفا على
نفسه ثم عنت له في بعض الايام ان خرج الى قصر له
بقرية يقال لها الخرقانية بقرب قليوب وخلاقته الدنية
فارسل صلاح الدين اليه من قبض عليه وقتله وحمل راسه
اليه ثم عزل جميع الخدام الذي بالقصر واستناب على
القصر عوضهم بهاء الدين قراقوش وامره ان يطالعه
بجميع الامور صغيرها وكبيرها ولما حصل ذلك غار
السودان وثاروا وكانوا اكثر من خمسين الفا فاقتتلوا
هم وجيش صلاح الدين بين القصرين واستمر القتال يومين
وقتل كثير من الفريقين وكان العاضد يطلع في
المنظرة ويعاين الحرب بين الفريقين فقيل انه امر
من بالقصر ان يقذفوا العساكر الشامية بالنشاب والحجارة
ففعلوا وقيل ان ذلك كان عن غير اختياره فامر شمس
الدولة تورانشاه باحراق منظرة العاضد فلما هموا بذلك
فتح المنظرة وخرج منها زعيم الخلافة ويقول دونكم العبيد
الكلاب اخرجوهم من بين اظهركم ومن بلادكم وكانت
السودان قويت انفسهم بناء على ان العاضد راضي
بفعالهم فلما سمعوا ذلك ضعفت جاشهم وقوي عسكر صلاح الدين
وارسل الى محلتهم السودان المعروفة بالمنصورة التي فيها دورهم واهلهم

بباب زويلة فاحرقها وولوا عند ذلك مدبرين وركبهم السيف
فقتل منهم خلق كثير ثم طلبوا الامان فاجابهم الى
ذلك واخرجهم الى الجيزة **وفيها** قتل العاضد بالقصر
الكامل واخاه ابني شاور وعمهما وذلك انهم لاذوا
بالقصر ولو انهم جاؤا الى اسد الدين سلموا فانه ساءه
قتل شاور **قلت** رحم الله الكامل بن شاور فان المرجو
من الله ان يغفر له بقوله لابيه لما هم بمسك اسد الدين
وتمناه ونحن مسلمون والبلاد بيد المسلمين خير من ان
نقتل وقد ملكها الفرنج كما قدمناه **وفيها** احترق
جامع حلب فجدده نور الدين **سنة خمس وستين** وفيها
نزل الفرنج خذلهم الله تعالى على دمياط **قال** ابن
الاثير كان فرنج الساحل لما ملك اسد الدين مصر
قد خافوا وايقنوا بالهلاك وكاتبوا الفرنج الذين
بالاندلس وصقلية يستنجدونهم ويعرفونهم ما تجدد من
ملك مصر وانهم خائفون على بيت المقدس من المسلمين
وارسلوا جماعة من القسوس والرهبان يحرضون الناس
على الحركة فامدوهم بالمال والرجال والسلاح وقصدوا
دمياط ظنا منهم انهم يملكوها ويتخذونها ظهيرا يملكون
بها البلاد بزعمهم فلما نازلوها حصروها وضيقوا على من بها

فارسل اليها صلاح الدين العساكر في النيل وحشر فيها
كل من عنده وامدهم بالمال والسلاح والذخاير وتابع
رسله الى نور الدين يشكوا ما هو فيه من المخاوف ويذكر انه
ان تخلف عن دمياط ملكها الفرنج وان سار اليها
خلفه المصريون في مخلفيه ومخلفي عسكره بالسوء
وخرجوا من طاعته وصاروا من خلفه والفرنج من امامه فجهز
اليه نور الدين العساكر ارسالا كلما تجهزت طائفة
ارسلها فتتابعت الجيوش تتبع بعضها بعضا ثم سار نور الدين
بنفسه بمن عنده من العساكر فدخل بلاد الفرنج فنهبها واغار
عليها واستباحها ووصلت الغارات الى ما لم تكن
تبلغه لخلو البلاد عن ممانع فلما راى الفرنج تتابع العساكر
الى مصر ودخول نور الدين بلادهم ونهبها واخرابها
رجعوا خائبين ولم يظفروا بشي فهذا موضع المثل
ذهبت النعامة تطلب قرنين فعادت بلا اذنين وعادوا
الى بلادهم فراوها خاوية على عروشها وكان مدة مقامهم
على دمياط خمسين يوما اخرج فيها صلاح الدين اموالا
لا تحصى حكى لي عنه انه قال ما رايت اكرم من العاضد
ارسل الي مدة مقام الفرنج على دمياط الف الف دينار مصرية
سوى الثياب وغيرها انتهى وذكر الذهبي ان اقامتهم بدمياط

احدي وخمسون يوما وقال الكنجي ثلثة وخمسون يوما
قال وحبس صلاح الدين الجيوش مع ابن اخيه تقي الدين عمر
بن شاهين شاه ومع خاله شهاب الدين محمود ووقع في
الفرنج الوبا والفنا فرحلوا بعد ان مات منهم خلق كثير
وقال العماد الكاتب بلغني من شدة اهتمام نور الدين
رحمه الله بامر المسلمين حين نزل الفرنج علي دمياط انه قرئ
عليه جزو من حديث كان له به رواية فجاء من جملة
تلك الاحاديث حديث مسلسل بالتبسم فطلب منه بعض طلبة
الحديث ان يتبسم لتتم السلسلة علي ما عرف من عادة
اهل الحديث فغضب من ذلك وقال اني لاستحي من الله
تعالي ان يراني متبسما والمسلمون محاصرون بالفرنج
وفيها وصل نجم الدين ايوب الي مصر فخرج صلاح
الدين وجميع الامراء وخرج العاضد لتلقيه عند
باب الفتوح عند شجرة الاهليلج اكراما لولده ولم تجري
بذلك عادة وكان من اعجب يوم شهده الناس وخلع
عليه العاضد وبعث الملك الافضل وحمل اليه من القصر
الالطاف والتحف والهدايا وقال له صلاح الدين يا ابتاه
هذا الامر امرك ونحن بين يديك فقال يا ولدي ما اختارك
الله لهذا الامر الا وانت كفو له فلا ينبغي ان تغير

موقع السعادة فحكمه في الخزائن كلها وكان رحمه الله
كريما يطلق ولا يرد واقطعه صلاح الدين الاسكندرية
ودمياط والبحيرة واقطع شمس الدولة اخاه قوص واسوان
وعيذاب وكانت عبرتها في هذه السنة ثماني الف
دينار وستة وستين الف دينار وسبب توجه نجم الدين
الي مصر ان صلاح الدين ارسل طلبه من نور الدين ليكمل
له السرور وتجمع القصة مشاكلة ما جري للنبي
يوسف عليه السلام قاله ابن شداد وقال ابن ابي طي
ان سببه ان الخليفة المستنجد بالله ارسل من بغداد
الي نور الدين يعرفه في تاخيره اقامة الدعوة بمصر
فاحضر الامير نجم الدين ايوب والزمه الخروج الي الديار
المصرية وحمله رسالة مهمة وهذا امر يجب المبادرة
اليه ليحظي بهذه الفضيلة الجليلة والمنقبة النبيلة
قبل هجوم الموت وحصول الفوت لا سيما وامام الوقت
متطلع الي ذلك بكليته وهو عنده من اعظم امنيته وفيها
توجه نور الدين الي الكرك فنازلها ونصب عليها المناجنيق
واقام عليها اربعة ايام فاتاه الخبر ان الفرنج قد
جمعوا وساروا اليه وان ابن الهنفري وابن الرفيق
وهم فارسا الفرنج في وقتهما في المقدمة اليه فرحل نور الدين

نحوهما للقائهما ومن معهما قبل ان يلحق بهما باقي الفرنج
فحادوا عن طريقه فقصد نور الدين وسط بلادهم ونهب
ما كان على طريقه ثم نزل الى البلقاء قال ابن الاثير
وكان سبب توجه نور الدين الى الكرك وابن نجم
الدين لما اراد التوجه الى مصر اجتمع معه من التجار
ومن كان له مع صلاح الدين انس ومودة ما لا يعد
فخاف نور الدين عليهم فسار معهم الى الكرك وسار
نجم الدين ومن معه من هناك وفيها كانت الزلزلة
الكبرى لم ير الناس من اول الاسلام مثلها عمت اكثر
البلاد من الشام ومصر والجزيرة والموصل والعراق
والعواصم وانطاكية واللاذقية وجبلة وجميع بلاد الساحل
الى الداروم وتهدم من الاسوار والقلاع والدور
وهلك من الناس ما خرج عن العد والاحصاء ووقع
معظم دمشق وشرفات الجامع وسقف رؤس المناير
وكانت تهتز مثل النخل في يوم ريح عاصف وكانت
بحلب اعظم بحيث وقع نصف القلعة والبلد وهلك من
اهلها ثمانون الفا تحت الردم ولم يمت بدمشق
الا رجل واحد اصابه حجر وهو على درج جيرون لان
اهلها خرجوا الى الصحراء قال الكتبي في تاريخه وفي

من بحي من اهل حلب لم يقدروا ان ياوون الى
بيوتهم السالمة من الخراب خوفا من الزلزلة فانها
عاودتهم غير مرة وكانوا يخافون يقيمون بظاهر
حلب من الفرنج فحضر نور الدين وامر بعمارة ما تهدم
من البلاد والقلاع والاسوار والجوامع واخرج من الاموال
ما لا يقدر قدره ورتب في كل بلد طائفة صالحة
من العسكر خوفا من الفرنج واما بلاد الفرنج خذلهم
الله فان الزلزلة فعلت بها ايضا قريبا من هذا
وهو ايضا خايفون على بلادهم من نور الدين ووقعت
قلعة حصن الاكراد بحيث لم يبق للسور اثر
ولولا ان نور الدين كان بالبلقاء والفرنج قبالته
الثار واخذ حصن الاكراد وجاءه ما شغل
قلبه من ناحية الشرق ودمشق اما الشرق فوفاة اخيه
قطب الدين مودود بالموصل واما دمشق فوفاة العمادي
وكان نايبه في حلب وغيرها وكانت له بعلبك وتدمر
وكان عزيزا عنده وصاحبه وحاجبه وبلغه ايضا وفاة
مجد الدين ابن الداية بحلب وكان صاحب امره
وفيها امر نور الدين بعمارة جامع داريا القايم الان
وكان قديما عند ابي سليمان الداراني فاحرقه الفرنج

لما نزلوا على داريا ايام مجير الدين ابق فجدد نور الدين
في هذه السنة وجعلت وسط المقبرة وعمر بها ايضا
مشهدا لابي سليمان الداراني فيها كانت حروب كثيرة
بين ملوك الغرب بجزيرة الاندلس وكذلك بين ملوك
الشرق سنة ست وستين سار نور الدين الى سنجار ففتحها
وهدم سورها بالمناجنيق وسلمها الى ابن اخيه الاكبر
عماد الدين زنكي ثم سار الى الموصل وكان بها سيف الدين
غازي ابن مودود اخو نور الدين بالتخلا وفيه زوال الدع
وكان المتولي لامور فخر الدين عبد المسيح وهو المتحكم
في المملكة وليس لسيف الدين من الامر الا الاسم
وكان عبد المسيح هذا نصرانيا فاظهر الاسلام وكان
يقال ان له كنيسة في وسط داره وكان سيء السيرة
خبيث السريرة في حق المسلمين والعلماء خاصة فراسل
عبد المسيح نور الدين يسأله الرجوع وعدم التعرض الى الموصل فلم
يلتفت نور الدين الى رسالته وقال لرسوله قل لصاحبك
انا ارفق ببني اخي منك فلا تدخل بيننا وذكر له
تهديدا كبيرا وكان كل من بالموصل مع نور الدين وكاتبوه
بالوثوب على عبد المسيح وتسليمه اليه فلما علم عبد المسيح ذلك
راسله في تسليم البلد اليه وتقريره على سيف الدين ويطلب

الامان لنفسه واقطاعا يكون له فاجابه الى ذلك وقال
لا سبيل الى اتابكية بالموصل بل يكون عندي بالشام
فاني لم ات لاخذ البلاد من اولاد اخي وانما جئت
لاخلص الناس منه وانولى انا تربية اولاد اخي فاتفقت
القاعدة على ذلك وملك الموصل ليه وسكن القلعة واقر
سيف الدين غازي على الموصل وولى بقلعتها خادما
يقال له سعد الدين كمشتكين وجعله دزدارا فيها
وقسم جميع ما خلفه اخوه قطب الدين بين اولاده
بمقتضى الفريضة الشرعية ولما كان محاصر الموصل
جاءته خلعة من الخليفة فلبسها فلما دخل الموصل خلعها
على ابن اخيه سيف الدين غازي واطلق المكوس من الموصل
وسائر ما فتحه من البلاد واعطى الشيخ عمر الملا ستين الف
دينار من فتوح الفرنج وامر ببناء الجامع النوري بالموصل
فبني واقام بالموصل نحو عشرين يوما وسار الى الشام
فقيل له انك تحب الموصل والمقام بها وتراك قد اسرعت
العود فقال قد تغير قلبي فيها فان لم افارقها ظلمت
ويمنعني ايضا اني هاهنا لا اكون مرابطا للعدو
وملازما للجهاد كذا قاله في الروضتين وقال الشيخ
عماد الدين ان نور الدين لما كان في آخر ليلة من اقامته بالموصل

راى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول لك طابت لك
بلدك وتركت الجهاد وقتال اعداء الله فنهض من
فوره الى السفر وما اصبح الا وهو سائرا الى الشام
واستقضى الشيخ ابا سعد ابن ابي عصرون وكان معه
على سنجار ونصيبين والخابور فاستناب فيها ابن ابي عصرون
ثوابا واخذ معه عبد المسيح الى دمشق وغير اسمه
عبد الله واقطعه اقطاعا حسنا وفيها كانت وفاة
امير المؤمنين المستنجد وخلافة ابنه المستضيء وذلك ان المستنجد
كان قد مرض في هذه السنة ثم عوفي فعمل ضيافة عظيمة
بسبب ذلك وفرح الناس وكان قد تغير على قطب الدين
قيماز مقدم جيوشه وعلى ولده المستضيء وامر في مرضه
بالقبض عليهما فبلغ قيماز ذلك فخلا بابن صفية الطبيب
وقال لا بد من التدبير في الخلاص منه والا فعلت بك
وصنعت فقال لا شيء اضر عليه من الحمام فاشار
عليه فقال لست اريد ولا اطيق الحرارة وطال الامر
على قيماز فدخل على المستضيء واستوثق منه باليمين
ثم دخل الى الدار قهرا وحمل المستنجد في فراشه وادخله
الحمام وهو يستغيث ويقول لا اريد وقيماز يقول له يا مولانا
هذا هو الذي ينفعك ولا بد منه ولما حصل في الحمام اغلق

عليه الباب حتى مات رحمه الله تعالى وكان حسن السيرة فيه
محبة لاهل العلم والخير واكراما لهم واحسانا اليهم
امرا بالمعروف ناهيا عن المنكر فطنا ذكيا فصيحا يحكى
عنه انه التقى ابن شبيب في البرية فقال له ابن شبيب
فقال عبدك يا امير المؤمنين اراد الخليفة ابن شبيب واراد
ابن شبيب عبدك كان رحمه الله من خيار الخلفاء واعدلهم
وارفقهم بالرعايا ووضع عنهم المكوس والضرائب ولم
يترك بالعراق مكسا وكان شديدا على اهل العيث
والفساد والسعاية بالناس قال ابن الاثير بلغني انه قبض
على انسان كان يسعى بالناس ويكثر فيهم السعايات
فاطال حبسه فحضر بعض اصحابه وشفع فيه وبذل عنه عشرة الاف
دينار فقال انا اعطيك عشرة الاف دينار وتحضر لي اخر
مثله حتى احبسه واكف شره عن الناس وحكى الشيخ عماد
الدين ابن كثير ان المستنجد راى في منامه النبي
صلى الله عليه وسلم غير مرة وكان اخرهن قبل ان يلي
باربعة ايام وهو يقول قل اللهم اهدني فيمن هديت وعافني
فيمن عافيت دعاء القنوت بتمامه وذكر الذهبي انه ما
زالت الحمرة الكثيرة تعرض في السماء منذ مرض المستنجد
وكانت ترى ضوؤها على الحيطان وكانت خلافته احدى عشر سنة وشهرا

وهو الثاني والثلاثون من خلفاء بني العباس فهذا العدد له
بحساب الجمل اللام والالف وفيه يقول بعض الادباء شعر
اصبحت لبني العباس كلهم ه ان عددت بحساب الجمل الخلفاء لا
وولي بعده ابنه المستضيء ابو محمد الحسن وخلع يومئذ
على الناس اكثر من الف خلعة واطلق الاموال للامراء
والعلويين والهاشميين والقضاة والعلماء وجميع الناس
ورد المظالم واسقط المكوس قال ابن الجوزي واظهر في
العدل والكرم ما لم نره في الاعمار ثالث واحتجب فلم
يركب لاسمع الخدم ولم يلي الخلافة من اسمه الحسن
وكنيته ابو محمد غير الحسن ابن علي رضي الله عنهما والمستضيء
وفيها عزل صلاح الدين قضاة مصر لانهم كانوا شيعة
وولي قضاة القضاة لصدر الدين عبد الملك بن درباس
الماراني الشافعي فاستناب في سائر المعاملات قضاة
شافعية وفيها صلاح الدين بالقاهرة موضع سجن المعونة مدرسة
للشافعية وهي دار الغزل مدرسة للمالكية وفيها اشترى
تقي الدين عمر بن شاهنشاه منازل العز بمصر وعملها مدرسة
للشافعية ووقف عليها حمام الذهب والروضة وغيرهما
وفيها بنى الملك الناصر دار سعيد السعداء خادم من
خدام القصر خانقة للصوفية وصنع بيمارستانا للمرضى وبنى

على تربة الشافعي رضي الله عنه بالقرافة مدرسة
وفيها خرج صلاح الدين الى الغزاة واغار على الرملة
وعسقلان وغزة وكان بايلة قلعة في البحر قد حصنها
اهل الكفر فعمر لها مراكب وحملها الى الساحل على الجمال
وركبها الصناع هناك وشحنها بالرجال والعدد وكان
على الحاج منها خطر عظيم وفيها توجه صلاح الدين الى
الاسكندرية وامر بعمارة اسوارها وابراجها وابدانها
وسمع بها حينئذ من السلفي وفيها شرع صلاح الدين
في عمارة سور القاهرة لانه كان قد تهدم اكثره
وصار طرقا لا يرد داخلا ولا خارجا وولاه لقراقوش
الخادم وفيها امر بتغيير شعار الاسماعيلية وقطع الاذان
بحي على خير العمل في ديار مصر كلها وشرع في تمهيد
الخطبة لبني العباس وفيها ظهر بدمشق مغربي ادعى
الربوبية واري الناس خوارق من السحر فضربت عنقه
سنة سبع وستين فيها خطب بمصر لبني العباس وسببه
ان صلاح الدين لما استولى على مصر وضعف امر العاضد
كتب اليه نور الدين يامره بقطع خطبة المصريين واقامتها
لبني العباس فخاف من اهل مصر ان لا يجيبوه لميلهم الى
العلويين وربما وقعت فتنة لا يتدارك فكتب الى نور الدين يخبره

فلم يصغ الى قوله وارسل اليه يلزمه بذلك الزاما لا فسحة له فيه
واتفق ان العاضد مرض فجمع صلاح الدين الامراء والاعيان
واستشارهم فمنهم من اجاب ومنهم من خاف ذلك الا انه لم
يمكنه الا امتثال امر نور الدين وكان قد دخل الى مصر انسان
اعجمي يعرف بالامير العالم فلما راى ما هم عليه من الاحجام
قال انا ابتدئ بها فلما كان اول جمعة من المحرم صعد المنبر
قبل الخطيب ودعا للمستضيء بامر الله فلم ينكر احد ذلك
عليه فلما كان الجمعة الثانية امر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة
بقطع خطبة العاضد واقامتها للمستضيء بامر الله ففعلوا ذلك
ولم ينتطح فيها عنزان وكتب بذلك الى سائر البلاد المصرية
وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلم بذلك وقيل بلغه
فارسل الى صلاح الدين يستدعيه ليوصي اليه فخاف ان يكون
خديعة فلم يذهب اليه ومات العاضد يوم عاشوراء فندم صلاح
الدين على الاستعجال بقطع خطبته كذا قال ابن الاثير
وقال ابن ابي طي الحلبي لما عول صلاح الدين على الخطبة
لبني العباس امر والده الامير نجم الدين النزول الى
الجامع في جماعة من اصحابه وامراء دولته وذلك في اول جمعة
من السنة وامره ان يحضر الخطيب اليه ويامره بما يختار وانما فعل
ذلك الملك الناصر ووكل الامر الى غيره استظهارا خوفا

على قاعدته ربما طرات او عدو ربما ثار فيكون هو معتقدا
من ذلك ولما حضر الخطيب الى عند نجم الدين قال له ان
ذكرت هذا المقيم بالقصر ضربت عنقك قال فلمن اخطب
قال للمستضيء بامر الله العباسي فلما صعد المنبر وخطب
ووصل الى ذكر الخليفة لم يذكر احدا لكنه دعا للائمة
المهديين وللسلطان الملك الناصر ونزل فقيل له في ذلك
فقال ما علمت اسم المستضيء ولا نعرفه ولا حضر معي في ذلك
قبل الجمعة وفي الجمعة الثانية افعل ان شاء الله تعالى
ما يجب فعله في تحرير الاسم والالقاب على جاري العادة
في مثل ذلك قال وقيل ان العاضد لما اتصل به ما فعل
من قطع اسمه من الخطبة قال لمن خطب قيل له لم يخطب لاحد
مسمى قال في الجمعة الاخرى يخطبون لرجل مسمى واتفق
انه مات قبل الجمعة الاتية قيل انه افكر واستولى عليه الفكر
والهم حتى مات وقيل انه لما سمع ذلك اهتم وقام
ليدخل الى داره فعثر وسقط فقام متعللا خمسة ايام
ومات وقيل انه امتص فص خاتمه وكان تحته سم
فمات ولما اتصل موته بالملك الناصر قال لو علمنا انه
يموت في هذه الجمعة ما غصصناه برفع اسمه من الخطبة
وحكي ان القاضي الفاضل قال للسلطان لو علم انكم ما ترفعون اسمه

من الخطبة لهم حيث اشار الحال العاضد قبل نفسه قال
وحكي ابن المارستاني في سيرة ابن هبيرة الوزير قال
من عجيب ما جرى من امر المصريين انه راى انسان من
اهل بغداد في سنة خمس وخمسين وخمسماية كان قمرين احدهما
انور من الاخر والانور منهما مسامت للقبلة ولاحدهما سود
منها طول وهبت ادنى نسيم فحركتها وانحركها وظلها
في الارض وكان الرجل يتعجب من ذلك وكانه يسمع اصوات
جماعة يقرؤن بالحان واصوات لم يسمع قط مثلها فسال
من حضر وقال ما هذا فقالوا قد استبدل الناس باما مهم
قال وكان الرجل يستقبل القبلة وهو يدعوا الله ان يجعله
اماما برا تقيا واستيقظ الرجل وبلغ المنام ابن هبيرة الوزير
اذ ذاك ببغداد فعبر المنام بان الامام الذي بمصر يستبدل
به وتكون الدعوة لبني العباس لمكان اللحية وقوي هذا
عنده حين كاتب نور الدين حين دخل اسد الدين الي
مصر في اول مرة بانه يظفر بمصر وتكون الخطبة لبني
العباس بها علي يده وقيل في ذلك الزمان اشعار في
هذا المعنى فمنها قصيدة شمس المعالي ابي الفضائل
الحسين بن محمد بن بركات وكان صاحب ابن هبيرة
حين سمع تاويل المنام شعر

ليهنيك يا مولى الامام بشارة ... بها سيف دين الله بالحق مرهف
ضربت بها هام الاعادي بهمة ... تقاصر عنها السمهري المثقف
لحت الي شرق البلاد وغربها ... بعوثا من الاحرار عجبي وتلف
فقامت مقام السيف والسيف قاطر ... ونابت مناب الرمح والرمح يرعف
وقدت لها جيشا من الرعب هايلا ... الي كل قلب من عداتك يرجف
ملكت بها اقصى المعاني عنوة ... وكادت بمن فيها المشارق ترجف
ليهنيك يا مولاي فتحا تتابعت ... اليك به خوض الركايب توجف
اخذت به مصرا وقد حال دونها ... من الشرك ناس من لهى الحق تقذف
وقد دنست منها المنابر عصبة ... يعاف المتقي منهم ويانف
فطهرتها من كل شرك وبدعة ... اغر عزيز بالمكارم يشغف
فنادت بمجد الله باسم امامنا ... تتيه علي كل البلاد وتشرف
ولا عز وان دانت ليوسف مصره ... وكانت الي عليايه تتشوف
تملكها من قبضة الكفر يوسف ... وخلصها من عصبة الرفض يوسف

قال يحيى ابن ابي طي يريد بيوسف الاول يوسف الصديق
النبي عليه السلام وبيوسف الثاني المستنجد بالله الخليفة ويؤيد
وقاله على سبيل الفال لا انه قال لعد هذا البيت شعر
فشابهته خلقا وخلقا وعفة ... وكل عن الرحمن في الارض يخلف
وجرى الفال للبيت باسم الملك الناصر يوسف ابن ايوب
لان المستنجد مات قبل تغير الخطبة لبني العباس وهذا من عجيب الاتفاق

قال العماد ولما توفي العاضد جلس السلطان الملك الناصر
للعزا واغرب في الحزن والبكاء وبلغ الغاية في اجمال الامر
والتوديع له الى قبره ثم تسلم القصر بما فيه وكان مذ قتل
موتمن الخلافة قد وكل السلطان بالقصر بها الدين
قراقوش وجعله زمامه واستنابه مقام نفسه واقامه
فما دخل الى القصر شي وخرج الا بمراي منه ومسمع
وحصل اهل القصر بعد ذلك على صفة مشرع فلما
توفي العاضد امر السلطان بالاحتياط على اولاده في
موضع خارج القصر جعله برسمهم على الانفراد وقرر
ما يكون لهم برسم الكسوات والاقوات والازواد وجمع
الباقين من عمومتهم وعشيرتهم في ايوان واحترز عليهم في
ذلك المكان وابعد عنهم النساء لئلا يتناسلون فيكثروا
وهم الى الان محصورون محسورون ان يظهروا ثم عرض
من بالقصر من الجواري والعبيد والعدة والعديد والطارف
والتليد فوجد اكثرهن حرائر فاطلقهن وجمع الباقيات
فوهبهن وفرقهن واخلا دوره واغلق قصوره وسلط
جوده على الموجود وابطل الوزن والعد عن الموزون والمعدود
واخذ ما صلح له ولاهله من خيار الذخائر وزواهر الجواهر
ونفائس الملابس ومحاسن العرائس وقلائد الفرائد والدرة اليتيمة

والياقوتة العالية الغالية القيمة والمصنوعات التبرية
والمصنوعات العنبرية والاواني الفضية ووصف
العماد اشياء عديدة ثم قال واطلق البيع بعد ذلك
في كل جديد وعتيق ولبيس وسحيق وبال واسمال
ورخيص وغال وكل منقول ومحمول ومصنوع ومعمول
واستمر البيع فيها مدة عشر سنين وتنقلت الى البلاد
بايدي المسافرين الواردين والصادرين وقال
ابن ابي طي لما تسلم القصر لم يجد من المال كبير امر
لان شاور كان قد ضيعه في اعطائه الفرنج في
المرات التي تقدم ذكرها ووجد فيه ذخائر جليلة
من ملابس وفرش وخيول وخيام وكتب وجوهر
ومن عجيب ما وجد فيه قضيب زمرد طوله شبر وكسر
قطعة واحدة وكان سمك حجمه مقدارا الابهام
ووجد فيه طبل للقولنج اذا ضرب عليه احد فيه ريح
غليظ او غيره خرج منه ذلك الريح من دبره
ووجد فيه ابريق عظيم من الحجر المانع ووجد سبعمائة
يتيمة من الجوهر فاما قضيب الزمرد فان السلطان
اخذه وامر صانعا ليقطعه فابى الصانع قطعه فرماه
السلطان فانقطع ثلث قطع وفرقه على نسائه واما طبل القولنج

فأخذه بعض الأكراد ولم يدر ما هو فضرب به فجيق
أي ضرط ولم يدر ما شأنه فكسره وأما الأبريق فأنفذه
السلطان إلى بغداد وفرق على الأمراء شيئاً كثيراً
من قطع البلخش والياقوت والذهب ثم باع الباقي وقال
الكتبي في تاريخه كان في القصر من الجواهر النفيسة
ما لم يكن عند خليفة ولا عند ملك مما قد جمع على
طول السنين فمنها الدرة اليتيمة مثل بيضة الحمام والياقوتة
الحمراء وتسمى حافر الحمار وزنها أربع عشر مثقالاً
والحبل الياقوت الأحمر وأرسل إلى نور الدين عدة
من ذلك عدة من الأمتعة المستحسنة والآلات المثمنة
وقطع البلور واليشم والأواني التي لا يتصور وجودها
في الوهم وثلث قطع من البلخش أكبرها نيف وثلاثون
مثقالاً والثاني ثمانية عشر مثقالاً والأخرى دونهما وفرق
بها من اللآلي مصونها ومكنونها ومن الذهب ستين
ألف دينار ومن الطيب العطر ما لم يسمع بمثله ومن ذلك
عمامة ألف أبو طيلسانه فلما حضرت بين يدي نور الدين
وكان بحلب قال والله ما كان بنا من حاجة إلى
هذا ما وصل إلينا عشر معشار ما أنفقناها في العساكر
التي جهزناها إلى مصر وما قصدنا بفتحها إلا فتوح

الساحل ومن جملة ما أبيع خزانة الكتب وكانت من
عجائب الدنيا ويقال أنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام
دار كتب أعظم من الدار التي بالقاهرة في القصر
ومن عجائبها أنه كان بها ألف ومائتان وعشرين نسخة
بتاريخ الطبري ويقال أنها كانت تحتوي على ألفي ألف
وستمائة ألف مجلدة وكان فيها من الخطوط المنسوبة
أشياء كثيرة وحصل القاضي الفاضل منها وذلك
أنه دخل إليها واعتبرها فكل كتاب صلح له قطع جلده
ورماه في بركة كانت هناك فلما فرغ الناس من
شري الكتب اشترى هو تلك الكتب التي ألقاها في
البركة على أنها مخرمة ثم جمعها بعد ذلك ومنها حصل
ما حصل من الكتب وقال العماد الكاتب كانت الكتب
قريباً من مائة وعشرين ألف مجلدة وقال ابن الأثير كان
فيه من الكتب المنتخبة بالخطوط المنسوبة والخطوط
الجيدة نحو مائة ألف مجلدة قال ابن أبي طي واقتسم الناس
بعد ذلك دور القصر وأعطى السلطان القصر الشمالي
للأمراء فسكنوه وأسكن أباه نجم الدين في اللؤلؤة
وهو قصر عظيم على الخليج الذي بين البستان الكافوري وانتقل
الملك العادل إلى مكان أخرجه وأخذ باقي الأمراء دوره

من كان ينتمي اليهم وزاد الامر حتى صار كل من التمس
دارًا اخرج منها صاحبها وسكنها وانقضت تلك الدولة
برمتها وذهبت تلك الدولة بجملتها بعد ان كانوا قد احتووا
على البلاد واتخذوا العباد مائتين وثمانين سنة وكسورًا
قال وحكي ان الشريف الجليس وهو رجل كان قريبًا
من العاضد يجلس معه ويحدثه عمل دعوة لشمس الدولة ابن
ايوب اخي السلطان بعد انقراض دولتهم وحضر معه جماعة
من اكابر الامراء فلما جلسوا على الطعام قال شمس الدولة
للشريف حدثني باعجب ما شاهدته من امر القوم قال
نعم طلبني العاضد يومًا فحضرت مع جماعة فلما دخلنا
عليه وجدنا عنده مملوكين من الترك عليهم اقبية مثل
اقبيتكم وقلانس كقلانسكم وفي اوساطهم مناطق كمناطقكم
فقلنا له يا امير المؤمنين ما هذا ما رأيناه قط فقال هذه
هيئة الذين يملكون ديارنا ويأخذون اموالنا وذخائرنا
قال ولما قطعت خطبة العاضد استطال اهل السنة على
الاسماعيلية وتتبعوهم واذلوهم وصاروا لا يقدرون
على الظهور من بيوتهم واذا وجد احد من الاتراك
مصريًا اخذ ثيابه وعظمت الاذية بذلك وخلا اكثر
اهل مصر عنها الى البلاد وفرح الناس بذلك وكتبت الكتب الى

الاقطار وتحدث به السمار ولما وصل خبر ذلك الى
نور الدين ندب للبشارة الى بغداد شهاب الدين ابي
المعالي المطهر ابن ابي عصرون وكتب معه نسخة بشارة
تقرأ بكل مدينة يمر بها فسار الى ان وصل بغداد فخرج
الموكب في تلقيه وجميع اهل بغداد مكرمين لخطير وروده
معظمين لجليل مورده ونثرت عليه دنانير الانعام
وحبي بكل احسان واكرام وارسلت التشريفات الى
نور الدين وصلاح الدين وقال الذهبي في تاريخ
الاسلام ووصل الاستاذ عماد الدين صندل الطواشي
الى دمشق رسولًا من دار الخلافة في جواب البشارة
بالخلع والتشريفات لنور الدين وصلاح الدين فلبس
نور الدين الخلعة وهي فرجية وجبة وقباء وطوق
ذهب الف دينار وحصان بسرج خاص وسيفان ولواء
وحصان اخر بجليلة يجنب بين يديه وقلد السيفين
اشارة الى الجمع له بين مصر والشام وخرج الى دست
السلطنة واللواء منشور والذهب منثور الى ظاهر
دمشق وانتهى الى اخر الميدان ثم عاد وسير الى صلاح
الدين تشريف فايق لكنه دون تشريف نور الدين
بقليل فكان اول اهبة عباسية دخلت الديار المصرية

وتفصيل هذا العجيب وكان منها اعلام وبنود وذوائب
عباسية للخطباء بمصر وسير الي بغداد لكاتب خلعة ومائة
دينار من الديوان **فائدة** العاضد آخر خلفاء العبيديين
وكان قاطعا لدولتهم لأن العاضد في اللغة القاطع لا يعضد
شجرها اي لا يقطع ويقال ان المعز لما اتي الي القاهرة قال
لديوان الانشاء اكتبوا لنا القابا تصلح لنا ان نتلقب بها فكتبوا
له القابا آخرها كان فيها لقب العاضد وهو اتفاق غريب
وقال عجيب واسم العاضد عبد الله ولد سنة ست واربعين
وبويع له سنة خمس وخمسين وعمره تسع سنين وعاش احدي
وعشرين سنة وخلافته احدي سنة وما نقلناه من كون مولده
سنة ست قاله ابن كثير وقال الكتبي ولد سنة اربع
واربعين وعاش ثلثا وعشرين سنة وكانت سيرته مذمومة
وكان شيعيا خبيثا لو امكنه قتل من قدر عليه من اهل السنة
قتل وكان هؤلاء الطائفة تدعي اشرافا فاطميون
فملكوا البلاد وقهروا العباد وقد ذكر جماعة من اكابر
العلماء انهم لم يكونوا لذلك اهلا ولا نسبهم صحيحا بل المعروف
انهم بنو عبيد وكان والد عبيد هذا من نسل القداح
الملحد المجوسي وقيل كان والد عبيد هذا يهوديا من
اهل سلمية من بلاد الشام وكان حدادا وعبيد هذا كان

اسمه سعيدا فلما دخل المغرب تسمي بعبيد الله وزعم
انه علوي فاطمي وادعي نسبا ليس بصحيح لم يذكره
احد من مصنفي الانساب العلوية ثم ترقت به الحال
الي ان ملك وتسمي بالمهدي وبني المهدية بالمغرب ونسبت اليه
وكان زنديقا خبيثا عدوا للاسلام متظاهرا بالتشيع
متسترا به حريصا علي ازالة الملة الاسلامية قتل من
الفقهاء والمحدثين والصالحين جماعة كان يرسل علي
الفقهاء والعلماء فيذبحون في فرشهم وكان قصده
اعدامهم من الوجود ليبقي العالم كالبهائم فيتمكن من
افساد عقائدهم وضلالتهم والله متم نوره ولو كره الكافرون
وكان له شيعة ببغداد وخراسان فكانوا يترجون
ان المهدي يطلع بالمغرب ويغلب علي الارض كلها وكان له
دعاة بالمغرب يدعون الناس اليه والي طاعته ويأخذون
عليهم العهود ويلقون الي الناس من امره بحسب عقولهم واحتمال
كل طبقة منهم فمنهم من يلقون اليه انه المهدي ابن رسول الله
وحجة الله علي خلقه ومنهم من يلقون اليه انه الله الخالق
الرازق وكان اذا ضج الناس من يد احد الدعاة قمعه
بحبسهم وقمعه فيقتلهم ويقول لهم امرت بهذا ويقول الدعاة
هو امرنا وبامره فعلنا ولذا امتحنا وبقي هذا البلاء علي الاسلام

من اول دولتهم الى اخرها وذلك من ذي الحجة سنة تسع وتسعين
وما يتين الى هذه السنة وفي ايامهم كثرت الرافضة واستحكم
امرهم ووضعت المكوس على الناس واقتدى بهم غيرهم
وافسدت عقائد طوايف من اهل الجبال الساكنين بثغور الشام
كالنصيرية والدرزية والحشيشية نوع منهم وتمكن دعاتهم
منهم لضعف عقولهم وجهلهم ما لم يتمكنوا من غيرهم واخذت
الفرنج اكثر البلاد بالشام والجزيرة حتى اخذوا القدس
ونابلس وعجلون والغور وبلاد غزة وعسقلان وكرك
الشوبك وطبرية وبانياس وصور وعكا وصيدا وبيروت
وصفد وطرابلس وانطاكية وجميع ما والا ذلك الى بلاد
سيس واستحوذوا على بلاد آمد والرها وراس العين وبلاد
شتى غير ذلك وقتلوا من المسلمين خلقا لا يحصيهم الا الله
وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان مما لا يحد ولا
يوصف وكادوا ان يتغلبوا دمشق ولكن الله سلّم الى ان
من الله على المسلمين بظهور البيت الاتابكي ومن يلوذ بهم
مثل صلاح الدين فاستردوا البلاد وازالوا هذه الدولة
عن رقاب العباد وكانوا اربعة عشر مستخلفا عدة خلفاء بني
امية لكن بنو امية كانت مدتهم نيفا سنة كان ثلثة
من هولاء المستخلفين بافريقية وهم الملقبون بالمهدي والقائم

والمنصور واحد عشر بمصر وهم الملقبون بالمعز والعزيز
والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلي والامر والحافظ
والظافر والفايز والعاضد فالمهدي تولى خمسا وعشرين سنة
ثم تولى ابنه بعده القائم بالله اثني عشر سنة وسبعة اشهر
وكان اسوا حالا من ابيه وزاد شره على شر ابيه اضعافا
جاهر لعنه الله بشتم الانبياء وكان ينادي في اسواق
افريقية والمهدية العنوا عايشة وبعلها العنوا الغار
ومن حوى وقتل الفقهاء والعلماء القتل الذريع ثم تولى
بعده ابنه المنصور بالله سبع سنين وستة عشر يوما ثم تولى
بعده المعز لدين الله ثلاثا وعشرين سنة وخمسة اشهر وله
بنيت مدينة القاهرة وهو اول من خطب له بمصر منهم واذن
فيها بحي على خير العمل ثم تولى بعده العزيز بالله احدى
وعشرين سنة وخمسة اشهر ثم تولى بعده ابنه الحاكم بامر الله
وعمره احدى عشر سنة وستة اشهر خمس وعشرين سنة وشهرا
وكان اسوء بهم سيرة وافحشهم سريرة كان يجري منه
ما لو جرى من الصبيان حالة لعبهم لاستنكر ولنذكر شيئا من
افعاله القبيحة وسيرته الملعونة كان قبحه الله كثير التلون
في اقواله وافعاله وكانت اخلاقه متضادة بين شجاعة واقدام
وجبن واحجام ومحبة العلم وانتقام من العلماء وميل الى الصلحاء

وقتل الصلحاء والغالب عليه السخا وربما بخل بما لم يبخل به احد
ولبس الصوف سبع سنين وامتنع من دخول الحمام وبقي ثلث
ثلث سنين يجلس في الشمع ليلاً ونهاراً ثم عن له ان لا
يجلس الا في الظلمة وكان يتوصل الى القتل بكل وجه
وقتل من العلماء والكتاب ما لا يحصى وجرى في ايامه امور
كثيرة عجيبة منها انه امر بسب الصحابة رضي الله عنهم وامر
ان يكتب ذلك على ابواب المساجد والشوارع ثم محاه ثم امر
بقتل الكلاب ثم نهى عنه ومنع التراويح عشر سنين ثم اباحها
وهدم قمامة وبنى مكانها مسجداً ثم اعادها كما كانت
اولاً وبنى المدارس وجعل فيها العلماء والمشايخ ثم هدمها
وقتلهم وكانت افعاله كلها من هذه النسبة فمنها انه كان
يعمل الحسبة بنفسه فيدور في الاسواق على حمار له
فمن غش في معيشته امر عبداً اسوداً معه يقال له مسعود
ان يفعل به الفاحشة العظمى ولم يسبق الى هذا الامر المنكر
غيره الله ومنها انه منع النساء من الخروج الى الطرقات ليلاً
ونهاراً ومنع الاساكفة من عمل الخفاف المتخذة للنساء
ولم تزل النساء ممنوعات من الخروج الى الطرقات الى خلافة
الظاهر قال ابن خلكان وكان مدة منعهن سبع سنين
وسبعة اشهر ومنها انه امر بغلق الاسواق نهاراً وفتحها ليلاً

فامسكوا ذلك ظاهراً وباطناً حتى مر يوماً بشيخ يعمل النجارة
بعد العصر فوقف عليه وقال الم انهكم عن هذا فقال يا
سيدي ما كنا نسهر لما كنا نتعيش في النهار فهذا من
جملة السهر فتبسم وتركه واعاد الناس الى امرهم الاول ومنها
انه نهى عن اكل الملوخية والجرجير وعلل تحريم الملوخية
بميل معاوية اليها وعلل تحريم الجرجير بكونه منسوباً
الى عائشة رضي الله عنها وعذره قبحه الله اخس من ذنبه
واطلع على جماعة اكلوا الملوخية فضربهم بالسياط وطاف
بهم القاهرة ثم ضرب رقابهم على باب زويلة ومنها انه
نهى عن بيع الرطب وجمع منه شيئاً كثيراً واحرقه وكان
مقدار النفقة على احراقه خمسمائة دينار ونهى عن بيع العنب
وانفذ شهوداً الى الجيزة ومعاملتها حتى قطعوا اشياء كثيرة
من كرومها وداسوها ورموها وداسوها بالبقر وجمع ما
كان في مخازنها من جرار العسل فحملت الى شاطئ النيل
وكسرت وقلبت في البحر ونهى عن بيع الزبيب على اختلاف
انواعه ومنع التجار من حمله الى مصر ثم جمع منه شيئاً كثيراً
واحرقه ونهى عن بيع السمك الذي لا قشر له ثم ظفر
بمن باعه فقتله ومنها انه امر النصارى ان يحملوا في اعناقهم
الصلبان وان يكون طول الصليب ذراعاً ووزنه خمسة ارطال

وامر اليهود ان يحملوا في اعناقهم قرامي خشب زنة الصلبان
وان يلبسوا العمايم السود ولا يركبوا من مسلم حمارا
ولا بهيمة ثم افرد لهم حمامات وامرهم ان يدخلوا اليها
والصلبان والقرامي في اعناقهم وامرهم في وقت بالدخول
في الاسلام كرها ثم امرهم بالعود الي دياتهم فارتد منهم
في ستة ايام ستة الاف نفر وخرب كنايسهم ثم اعادها
وكان ببغداد ذلك اختبارا للطاعة العامة ليترقي الي
ادعاء الربوبية كما ادعاها فرعون في زمن موسي النبي
عليه السلام وكان امر الرعية اذا ذكره الخطيب علي المنبر
ان يقوم الناس صفوفا احتراما لاسمه وكان يفعل ذلك في
ساير مملكته حتي في الحرمين الشريفين وكان اهل
مصر علي الخصوص اذا قاموا خروا سجدا حتي انه يسجد
بسجودهم من في الاسواق من الرعاع وغيرهم ثم ادعي
الربوبية وكتب له بسم الحاكم الرحمن الرحيم وصار قوم من
الجهال اذا راوه يقولون يا واحد يا احد يا محي يا مميت
وادعي علم الغيب في وقت وكان يقول فلان قال
في بيته كذا وكذا وفعل كذا وكذا وكان ذلك باتفاق
اعتمده مع العجايز اللواتي يدخلن الي بيوت الامراء
وغيرهم ويخبرنه بذلك فرفعت اليه في اثناء ذلك رقعة مكتوب فيها شعر

بالجور والحكم قد رضينا	وليس بالكفر والحماقة
ان كنت اوتيت علم غيب	بين لنا كاتب البطاقة

فحين قراها سكت عن الكلام في المغيبات وكان
هو واصحابه من الخلفاء بمصر يدعون السيادة ويقولون
انهم من ولد فاطمة بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم
يريدون الافتخار بذلك علي بني العباس خلفاء بغداد
فيقولون ابونا علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وامنا فاطمة
رضي الله عنها وكان الحاكم يقول ذلك في كل جمعة
علي المنبر وكان يرفع اليه الرقاع وهو علي المنبر في
اثنا اشتغال الناس فرفعت اليه رقعة مكتوب فيها شعر

انا سمعنا نسبا منكرا	يتلي علي المنبر في الجامع
ان كنت فيما قلته صادقا	فانسب لنا نفسك كالطايع
او كان حقا كلما ادعي	فاعدد لنا بعد الاب السابع
او فدع الانساب مستورة	وادخل بنا في النسب الواسع

ذلك فرماها من يده ولم ينتسب بعدها حكي سبط
ابن الجوزي في مرآة الزمان ان المحضر الذي برز من
ديوان القادر بالله بالقدح في الحاكم وفي انسابه
كان منه ليشهد من اثبت اسمه ونسبه في هذا الكتاب
من السادة الاشراف والقضاة والعلماء والعدول والاكابر

والاماثل يعرفون من انتساب لرتبة ابيه الكمات بطلعة الشيطان
المنسوبين الى ديصان بن سعيد الخرمي شهادة يتقربون
بها الى الله تعالى معتقدين ما اوجب الله تعالى على العلماء
ان ينشروه للناس ولا يكتمونه شهدوا جميعا ان الناجم
بمصر وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم حكم الله عليه
بالبوار والخزي والنكال والاستئصال ابن معد بن
اسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا اسعده الله تعالى
وانه لما صار الى المغرب تسمى بعبيد الله وتلقب لنفسه
المهدي ومن تقدمه من سلفه الانجاس الروافض الكلاب
الارجاس عليه وعليهم لعنة الله تعالى ولعنة اللاعنين
ادعياء لا نسب لهم في ولد علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
ولا يتعلقون منه بسبب من الاسباب وانهم كفار ملحدين
زنادقة معطلون وللاسلام جاحدين ولمذهب المجوس
معتقدين قد عطلوا الحدود واحلوا الخمور وسفكوا
الدماء وسبوا الانبياء عليهم الصلوة والسلام وادعوا
الربوبية وكتب فيه من الاعيان الرضي والمرتضى
والشيخ ابو حامد الاسفرايني والشيخ ابو الحسين القدوري
وجماعة من العلماء ببغداد واعيانها وصنف له بعض
الباطنية كتابا ذكر فيه ان روح آدم انتقلت الى علي

وروح علي انتقلت الى الحاكم وقرئ هذا الكتاب بجامع القاهرة
فقصد الناس قتل مصنفه فسيره الحاكم الى جبال
الشام فنزل بوادي التيم وناحية بانياس فاستمال
الناس واعطاهم المال واباح لهم الخمور والفروج
واقام عندهم مدة يدعوهم الى معتقد الحاكم فاضل
منهم خلقا كثيرا وهناك قرى كثيرة يعتقدون
خروج الحاكم وانه لا بد ان يعود ويملك الارض
وهذه خيالات فاسدة وظنون كاذبة نعوذ بالله منها
وكان السبب في هلاك الحاكم انه اراد قتل اخته
سيدة الملوك وهم ان يرسل اليها القوابل ليتحقق
بكارتها وقال لبعض من دارها سمعت انكم تجمعون
الجموع وتدخل اليكم الرجال ولا بد من قتلكم وتكرر
هذا القول منه مرارا فعلمت اخته انه يقتلها لا محالة
لما تعلمه من خبث طويته ومؤاخذته بالصغاير واصراره
على الكباير وصاحب البيت ادرى بالذي فيه وكانت
من النساء المدبرات فخرجت ليلا واتت الى دار الامير
سيف الدين بن دواس وكان الحاكم قد عزم على قتله
قبلها فاجتمعت به وعرفته ذلك فقال لها كيف الحيلة
في امره فقالت الراي عندي ان تجهز له رجالا يقتلونه عند خروجه

الي حلوان فانه ينفرد بنفسه وانت تكون المدبر لدولة
ولده والوزير له فاتفقا علي ذلك ثم رجعت الي قصرها فلما
كان صبيحة النهار خرج الحاكم علي عادته وانفرد بنفسه علي
المقطم وكان ابن دواس قد احضر عشرة عبيد واعطي كل واحد
منهم خمسمائة دينار وعرفهم كيف يسلكون فسبقوه الي الجبل فلما
انفرد خرجوا عليه وقتلوه بالقرب من حلوان فخرج الناس
علي عادتهم يلتمسون رجوعه ومعهم دواب المواكب ففعلوا ذلك
سبعة ايام ثم راوا حماره الاشهب المدعو بالقمر وقد قطعت
يداه وعليه سرجه ولجامه فتبعوا اثر الحمار الي ان انتهوا الي
المقصبة التي في شرقي حلوان فنزل رجل اليها فوجد فيها ثيابا
مزررة لم تحل ازرارها وفيها اثر السكاكين فلم يشكوا في
قتله ثم تولي بعده ابنه الظاهر لاعزاز دين الله خمسة عشر سنة
وثمانية اشهر وخمسة ايام ثم تولي بعده ابنه المستنصر بالله
سبعا وستين سنة وكان في ايامه غلاء وشدة ثم تولي
بعده ابنه المستعلي بالله ابو القاسم احمد سبع سنين وشيئا
ثم تولي بعده ابنه الامر باحكام الله ابو علي المنصور بويع
وله خمس سنين وقام بدولته الافضل ابن امير الجيوش تسعا
وعشرين سنة وهو العاشر من صلب عبيد الله الملقب بالمهدي
ثم بعده ابن عمه الحافظ لدين الله ابن الامير ابي القاسم محمد ابن

المستنصر بضع عشرة سنة وشيئا ولم يبلغها منهم منذ قام المهدي
من ابوه غير خليفتين الا هذا والعاضد ثم تولي بعده
ابنه الفائز بنصر الله ست سنين واشهرا ثم تولي العاضد
لدين الله وانقطعت تلك الدولة فالحمد لله علي ما تيسر من
هلاكهم وابادة ملكهم ورضي عن من سعي في ذلك
وازالهم ورحم من بين مخرقتهم وكذبهم ومحالهم وفيها
بدت الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين لان نور الدين
كتب الي صلاح الدين بان يجمع العساكر ويقدم الي الشام ليحصر
الكرك ويجتمعا هناك لتدبير امور لا يمكن ذكرها في كتاب
فسار صلاح الدين الي بلبيس وكتب الي نور الدين يخبره
بانه واصل وخرج نور الدين من دمشق فنزل علي البلقاء
واقام منتظره وشاور صلاح الدين اصحابه فخوفوه من نور الدين
فانثنوا عزمه فكتب يعتذر باختلال البلاد وانه متي بعد
عنها لا يامن اهلها فشق علي نور الدين ولم يقبل عذره
وعزم علي قصد مصر واخراج صلاح الدين منها وشرع يتجهز
وبلغ صلاح الدين الخبر فجمع الامراء واهله وقال ما ترون
فلم يجبه احد منهم بشيء فقام ابن اخيه تقي الدين عمر وقال
اذا جاءنا قاتلناه وصددناه عن البلاد ووافقه
غيره من اهله فشتمهم نجم الدين ايوب وانكر ذلك واستعظمه

وكان ذي رأي وعقل وقال تقي الدين نحوه وشبهه
وقال انا ابوك وهذا شهاب الدين خالك نظري في
هولاء كلهم من يحبك ويريد لك الخير مثلنا فقال لا
فقال والله لو رايت انا وهذا خالك نور الدين لم
يمكنا ان نترجل ونقبل الارض بين يديه ولو امرنا
بقتلك لقتلنا فاذا كنا نحن فكيف غيرنا وهذه البلاد
له ونحن مماليكه وانت نايبه فيها واذا اراد عزلك فاي
حاجة له الي المجيء ينفذ كتابا مع نجاب يامرك بالمسير
اليه حتي يقصد خدمته ويولي بلاده من يريد وتفرقوا
عليه فكتب اصحاب الاخبار الي نور الدين بصورة
الحال وما قال نجم الدين واما نجم الدين فانه خلا بابنه
وقال له يا قليل المعرفة تجمع هذا الجمع الكثير وتطلعهم
علي ما في نفسك ومتي بلغ نور الدين انك عازم علي
منعه من البلاد قصدك بعساكر الشام والشرق وديار بكر
والروم وغيرهم ولم يبق معك احد واولهم خالك وغيره
ممن نافسك في الملك وفي قلوبهم منك ما فيها وقد كتبت
اصحاب الاخبار الي نور الدين بما قلت فاكتب اليه كتابا
تذعن فيه بالطاعة له وقل له ما حاجة الي قصدي بنفسك
ابعث احد غلمانك يحملني الي بين يديك فهو اذا سمع هذا

عدل عن قصدك واشتغل بما هو اهم عنده والايام
تندرج والله كل وقت في شان فيفعل ذلك فلما
راي نور الدين الامر هكذا عدل عن قصده وانثني
عنه واشتغل بالفرنج وكان الامر كما قال نجم الدين
توفي نور الدين ولم يقصده ولا ازاله وكان هذا
من احسن الاراء واجودها ومنها اتخذ نور الدين
الحمام الهوادي وهي المناسيب التي تطير في البلاد
البعيدة الي اوكارها وكتب بذلك الي جميع البلاد
فاتخذت في الابراج وكتب منشورا لاربابها واقطاع
اصحابها ويودي بالتهديد لمن اصطاد منها شيئا
وكان سبب ذلك ان مملكته قد اتسعت وكانت
من حد بلاد النوبة الي همذان لا يتخللها سوي
بلاد الفرنج وكان الفرنج لعنهم الله ربما نازلوا بعض
الثغور فالي ان يصل الخبر ويسير اليهم قد بلغوا
بعض الغرض فحينيذ امر بذلك فوجد بها راحة كبيرة
كانت الاخبار تاتيه لوقتها لانه كان له في كل
ثغر رجال مرتبون ومعهم حمام المدينة التي تجاورهم
فاذا راوا وسمعوا امرا كتبوه لوقته وعلقوه علي الطاير
وسرحوه الي المدينة التي هو بها في ساعته فتنقل الرقعة

الطائر آخر من البلد الذي تجاورهم في الجهة التي
فيها نور الدين وهكذا الى ان تصل لأجناد البر الحفظة
الثغور بذلك حتى ان طايفة من الفرنج نازلوا ثغراً له
فأتاه الخبر بنوصر فكتب الى العساكر المجاورة لذلك الثغر
بالاجتماع والمسير بسرعة وكبس العدو ففعلوا ذلك وظفروا
بهم وكان الفرنج قد امنوا البعد نور الدين عنهم فرحمه الله
ورضي عنه فما كان احسن نظره في الرعايا والبلاد
ودون الملوك الى الاقتداء بسيرته وما احسن قول القاضي
الفاضل في وصف حمام الطيور ملائكة الملوك ليشير
بذلك الى نزولها على الملوك من جو الهواء نزول الملائكة
على الانبياء عليهم السلام من السماء مع فرط ما بينهما من
الأمانة لا يتوهم من جهتها خيانة وقد اطنب في ذلك
العماد الكاتب واطرب واعجب واغرب **وفيها** اسقط
الملك صلاح الدين عن اهل مصر المكوس والضرائب وقرئ
المنشور بذلك على رؤوس الاشهاد يوم الجمعة بعد الصلاة وكان
مقدار ما اسقطه في السنة من العين مائة الف دينار **وفيها**
عزل الخليفة المستضيء وزيره ابن رئيس الرؤساء وقبض
على ابنه كمال الدين وكان كمال الدين هذا كثير الظلم
والعسف في الاحكام وكان سبباً في عزل ابيه تظلمت

اليه امرأة كان يعذب زوجها وقالت له خف من دعوة
تصادف اجابة فاستهزئ وقال تحري لها وقت
السحر فلم يكن بعد ذلك الا اياما قلائل حتى نكب
وانشد بعضهم في هذا المعنى حيث يقول **شعر**

اتحتقر الدعاء وتزدريه	وعند الله ما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطي ولكن	لها امد وللامد انقضاء

وتبين ان المرأة صادقة بعد ذلك فقالت له يا هذا
أيقنت برأيك ومشورتك **سنة ثمان وستين** فيها
بعث صلاح الدين الى نور الدين هدية فيها فيل وحمار
عتابي مخطط كثوب عتابي فاهدى نور الدين الفيل
الى ابن اخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل مع شيء
من تحف الثياب والعود والعنبر وجهز الحمار العتابي
الى بغداد مع هدايا وتحف سنايا وخرج الناس للفرجة
عليه وكان فيهم رجل عتابي كثير الدعاوي وهو
بليد ناقص الفضيلة فقال رجل ان كان بعثوا الينا
حمار عتابي فنحن عندنا عتابي حمار **وفيها** سار
نور الدين الى الموصل وصلى في الجامع الذي بناه وتصدق
بمال كثير فلما علم صلاح الدين بتوجهه الى الموصل خرج بعساكر
مصر الى الشام وحاصر الكرك والشوبك ونهب اعمالهما وكان حما عن

من العرب نازلين بأرض الكرك ينقلون الأخبار الى الفرنج
واذا غاروا على البلاد دلوهم على المسلمين فنفاهم صلاح الدين
وقتل بعضهم واخلى من بقي عن ارض الكرك ثم عاد الى مصر
قال ابن شداد وهي اول غزاة غزاها صلاح الدين من مصر
وعاد نور الدين من الموصل فقطع الفرات وقصد بلاد
الروم وسببه ان الملك عز الدين قليج ارسلان بن مسعود
ابن قليج ارسلان بن سليمان السلجوقي كان قد قصد ذي
النون ابن دانشمند صاحب ملطية وسيواس وغيرها واخذ
بلاده واخرجه عنها طريدا فسار الى نور الدين مستجيرا به
فاكرمه واحسن اليه ووعده النصرة والسعي في رد ملكه
اليه وراسل قليج ارسلان وشفع اليه في اعادة ما غلبه
من بلاده فلم يجبه الى ذلك فسار نور الدين نحوه وفتح
عن بلاده بهسنا ومرعش ومرزبان وما بينهما من الحصون
وسير طايفة من عسكره الى سواس فملكوها فلما راى
قليج ارسلان ذلك خاف منه وراسل نور الدين يستعطفه
ويسئله الصلح والصفح عنه ورد بلاد ابن الداشمند
فاجابه الى ذلك بشروط منها ان يجدد اسلامه على يد
رسول نور الدين لانه كان يتهم باعتقاد مذاهب
الفلاسفة ومنها انه اذا طلب عسكره الى الغزاة يسيره

ومنها انه تزوج ابنته لسيف الدين غازي ولد اخي
نور الدين وذكر امورا غيرها فلما سمع قليج ارسلان
الرسالة قال ما قصد نور الدين الا الشناعة علي بالزندقة
وقد اجبته الى ما طلب انا اجدد اسلامي على يد رسوله
واستقر الصلح وترك عسكرا في سيواس مع فخر الدين
عبد المسيح في خدمة ابن الداشمند فاقام عنده حتى
توفي نور الدين فرحل العسكر عنها وعاد قليج ارسلان
ملكها ومنها شرع نور الدين في بناء مدرسة للشافعية
بقرب الحجارين وهي المدرسة المعروفة بالعادلية
الان فادركه اجله وقد وضع المحراب وبني البنيان
وبقي امرها على حاله الى ان جاء العادل ابو بكر فازال
تلك العمارة وبناها بهذا البناء المتقن المحكم ودفن بها
ومنها اجتمع الفرنج بالشام وقصدوا زرع ووصلوا الى
سمسكين فبرز اليهم نور الدين فهربوا منه الى الفوار
الى السواد ثم الى الشلالة فبعث سرية الى طبرية
فغاروا هنالك وسبوا وقتلوا وغنموا وعادوا سالمين
ورجع الفرنج خايبين ومنها اجتمع السودان والعبيد
من بلاد النوبة وخرجوا في امم عظيمة قاصدين تملك
بلاد مصر فصاروا الى اعمال الصعيد وصمموا على قصد اسوان وحصارها

ونهب قراها وكان بها كنز الدولة فانفذ يعلم الملك الناصر
وطلب منه نجدة فانفذ قطيعة من جيشه مع الشجاع فلما وصل الى
اسوان وجد العبيد قد عادوا عنها بعد ان اخربوا ارضها
فاتبعهم الشجاع وكنز الدولة فجرى بينهم حرب عظيم قتل فيها
من الفريقين عالم عظيم ورجع الشجاع الى القاهرة واخبر
بفعال العبيد وتمكنهم من بلاد الصعيد فانفذ الملك الناصر اخاه
شمس الدولة في عسكر كثيف فوجدهم قد دخلوا بلاد
النوبة فسار فنزل اليها ونزل الى قلعة ابريم وافتتحها بعد
ثلثة ايام وغنم ما كان بها من المال والكراع والميرة وخلص
جماعة من الاسرى واسر من وجد بها وهرب صاحبها ثم
رجع شمس الدولة وخلا بالقلعة شخص من الاكراد يقال له
ابراهيم وانضم اليه جماعة من الاكراد البطالين فشنوا الغارات
على بلاد النوبة حتى ضجروا بهم واكتسبوا اموالا كثيرة
ثم انهم قصدوا جزيرة في البحر فغرق اميرهم وجماعة من اصحابه
ورجع من بقي الى قلعة ابريم واخذوا جميع من كان بها واخلوها
بعد ما اقاموا بها سنتين فعاد النوبة اليها وملكوها وانفذ ملك
النوبة منهم رسولا الى شمس الدولة وهو مقيم بقوص ومعه كتاب
يطلب الصلح ومع الرسول هدية [illegible] فكتب له جواب
كتابه واعطاه زوجي نشاب وقال ما لك عندي جواب الا هذا

وجهز معه رسولا يعرف بمسعود الحلبي واوصاه ان يكشف
له خبر بلادهم ليدخلها فسار الحلبي مع الرسول حتى وصل دنقلة
وهي مدينة الملك فالمعمود فوجدتهم بلادا ضيقة ليس لهم
زرع الا الذرة وعندهم نخل صغار منه ادامهم قال ودنقلة
ليس فيها عمارة الا دار الملك فقط وباقيها اخصاص قال ابن
ابي طي وفيها كانت وفاة الامير نجم الدين ايوب
بن شاذي والد صلاح الدين سقط عن فرسه فمات بعد ثمانية
ايام رحمه الله وكان صلاح الدين قد عاد من الكرك فلما بلغه
خبره بالطريق حزن عليه وتاسف حيث لم يحضره وفيها
وصل شهاب الدين بن ابي عصرون من بغداد وقد ادى الرسالة
بالخطبة العباسية ومعه ترفيع لنور الدين بدرب هارون وصريفين
فرمان من اعمال العراق كما تسلمها الاتابك عماد الدين زنكي
فاراد نور الدين ان يبني ببغداد مدرسة على حافة الدجلة
ويقف عليها القريتين فادركه اجله وعاقه القدر عن ذلك
وجاء مع شهاب الدين خمسون دينارا من دنانير النثار التي
نثرت يوم دخوله الى بغداد بالبشارة وزن كل دينار
عشرة دنانير وفيها بعث صلاح الدين سرية صحبة
قراقوش مملوك تقي الدين عمر ابن شاهنشاه الى بلاد افريقية
فملكوا طائفة كبيرة منها من ذلك مدينة طرابلس الغرب وعدة

مدت مهما وفيها ارسل نور الدين وزيره الموفق خالد
ابن القيسراني الي صلاح الدين ليقيم حسابا بالديار المصرية
خراجا يحمل اليه في كل سنة سنة تسع وستين فيها
قال ابن الجوزي في المنتظم انه سقط ببغداد برد كبار
كالنارنج ومنه ما وزنه سبعة ارطال ثم اعقب ذلك سيل
عظيم وزيادة عظيمة في دجلة لم يعهد مثلها اصلا فخربت
شيئا كثيرا من العمارات والترب والمزارع حتي المترب
وخرج الناس الي الصحراء وكثر الضجيج والابتهال الي الله
حتي حصل الفرج وتناقص الماء قال واما الموصل فانه
كان بها نحو ما كان ببغداد واهلك بالماء نحو
من الفي دار واستهدم بسببه مثل ذلك وهلكت تحت
الهدم خلق كثير وكذلك بالفرات زادت زيادة
عظيمة هلك بسببها شيء كثير من القري وغلت الاسعار
بالعراق في هذه السنة في الزروع والثمار ووقع
الموت في الغنم واصيب كثير ممن اكلها بالعراق
وغيرها وفيها قال ابن الساعي توالت الامطار بديار بكر
والموصل اربعين يوما وليلة لم يروا الناس الشمس سوي مرتين
لحظتين يسيرتين ثم تستتر بالغيوم فتهدمت بيوت كثيرة
ومساكن علي اهلها وزادت دجلة بسبب ذلك زيادة عظيمة

وغرق كثير من مساكن بغداد والموصل ثم تناقص الماء
باذن الله تعالي وفيها سار نور الدين الي بلاد
الروم في خدمته الجيش وملك الارض وصاحب ملطية
وخلق من الملوك والامراء فافتتح عدة من حصونهم وحاصر
قلعة الروم وقصد صالحه صاحبها بخمسين الف دينار وجزية
ثم عاد الي حلب وقد وجد النجاح في كل ما طلب ثم اتي
دمشق مسرورا محبورا وفيها دخل توران شاه
اخو صلاح الدين الي اليمن فملكها قال ابن ابي طي وكان
سبب خروج توران شاه الي اليمن انه كان كريما
جوادا وكان اقطاعه بمصر لا يقوم بنفقته ولا ينهض
بمروته وكان قد انتظم في سلكه عمارة الشاعر
وكان من اهل اليمن وكان اذا خلا به وصف له
بلاد اليمن وكثرة اموالها وخيرها وضعف من بها
وانها قريبة الماخذ لمن طلبها ووافق ذلك انه كان به
رجل من اهل اليمن شريف يقال له هاشم بن غانم واطمعه
في المعاونة لان صاحب اليمن عبد النبي كان قد
تعدي علي هذا الشريف فاعلم شمس الدولة اصحابه
بعزمه علي اليمن فاجابوه وتجهز ثم دخل علي اخيه
صلاح الدين واستاذنه في دخول اليمن فاذن له
واطلق له نفقة قوت سنة وزوده فوق ما كان في نفسه واصحابه

جماعة من الامراء والجند وسار في البر والبحر في البر
العساكر وفي البحر الازواد والعدد فوصل الى مكة
زادها الله شرفا فاعتمر بها ثم خرج الى اليمن فلقيه
الشريف هاشم بن غانم الحسيني وجمع الاشراف بنو سليمان
في جمع كثير فوصل زبيد فخرج اليه عبد النبي فقاتله
فهزمه توران شاه واسره واسر زوجته الحرة وكانت
ذات اموال جزيلة فاستولى على اشياء جزيلة وذخاير
جليلة ونهب الجيش زبيد ثم سار الى عدن ففتحها
عنوة وولى عز الدين الزنجبيلي ثم فتح صنعا وحصون
اليمن والمداين فيقال انه فتح ثمانين حصنا ومدينة
واستولى على اموالها وذخايرها وقتل عبد النبي
بن مهدي وكان هذا قد تغلب على بلاد اليمن
ودعي الى نفسه وتسمى بالامام وزعم انه سيملك
الارض كلها وقد كان اخوه علي ابن مهدي قد تغلب
قبله عليها وانتزعها من ايدي اهل زبيد واستقر
توران شاه في ملك اليمن وخطب للخليفة العباسي
وصفت اليمن من اكدارها وعادت الى ما سبق
من مضمارها وكتب الى اخيه الملك الناصر يخبره بما
فتح الله عليه واحسن اليه فكتب الملك الناصر بذلك الى
نور الدين فارسل نور الدين بذلك الى الخليفة يبشره بفتح اليمن

والخطبة بها ويكسر الروم مرة ثانية وكان مما تضمنه
كتاب البشارة ولم ينج من عشرة الاف غير عشرة جرحى
مستنفرة قد فرت من قسورة **ومنها** اكثر نور الدين
من الصدقات والصلات وزاد في الاوقات وكسى
اليتامى وزوج الارامل واغنى الفقراء وكشف المظالم
بحيث لم يبق في بلاده مظلمة **وفيها** وصل رسول
نور الدين الموفق خالد بن القيسراني الى الديار
المصرية واجتمع بالملك الناصر وانهى اليه رسالة نور الدين
ومطالبته بحساب جميع ما حصله وارتفع اليه من ارتفاع
البلاد فصعب ذلك على صلاح الدين واراد شق
العصا ومواجهته بالمخالفة والاباء لكنه عاد الى
طباعه الحسنة واظهر الطاعة المستحسنة وامر بكتابة
الحساب وتحرير الجواب فبادر الى ذلك جماعة الدواوين
والحساب وعرضه على ابن القيسراني واراه جرايد
الاجناد بمبالغ اقطاعاتهم وكميات جامكياتهم
ورواتب نفقاتهم فلما حصل عنده جميع ذلك ارسل
معه هدية الى نور الدين على يد الفقيه عيسى وهي خمس
ختمات شريفات احداها ثلاثون جزوا مغشات
باطلس ازرق مضببة بصفايح ذهب وعليها اقفال ذهب

مكتوبة بالذهب بخط ياسر وختمه مفصلة بديباج نستقي
عشرة اجزاء بخط راشد وختمه بخط ابن البواب
مجلد واحد وختمه بخط مهلهل جزو واحد وختمه
بخط الحاكم البغدادي وثلثة احجار بلخش وزن احدها
اثنان وعشرون مثقالا وحجر وزنه اثني عشر مثقالا
وحجر وزنه عشرة مثاقيل ونصف وست قضبان زمرد
قصبة وزنها ثلثة عشر مثقالا وثلث وربع وقصبة
وزنها ثلثة مثاقيل وثلث وحجر ياقوت وزنه
سبعة مثاقيل وحجر ازرق وزنه ستة مثاقيل وسدس
ومائة عقد من الجواهر النفيسات وزنها جميعها ثمانمائة
وسبعة وخمسون مثقالا وخمسون قارورة دهن بلسان و
وعشرون قطعة بلور واربعة قطع جزع وابريق يشم
وطست يشم وسفرة مينا مذهب وصحون صيني
وزبادي وسكارج اربعون قطعة وكرتان عود
قماري وزن احداهما ثلثون رطلا بالمصري والاخرى
احدى وعشرون رطلا ومائة ثوب اطلس واربعة
وعشرون ثوبا من الوسي بيض وحلة فلفلي مذهبة
وحلة مراسيش صفراء مذهبة وغير ذلك انواعا من
القماش قيمتها مائتان وخمسة وعشرون الف دينار

مصرية وعدة من الخيل والغلمان والجواري وشيا كثيرا
من السلاح على اختلاف ضروبه ومن الذهب عشر
صناديق مقفلات مختومات لم يعلم مقدار ما فيها فلما
فصلت العير عن الديار المصرية لم تصل الى الشام حتى
مات نور الدين رحمه الله فمنها ما اعيد ومنها ما استهلك
لان الفقيه عيسى وابن القيسراني وضعوا عليهم من
نهبهم واستبدوا باكثرها وقيل انها وصلت جميعها
الى السلطان لانه اتصل به خبر موت نور الدين فانفذ
من ردها وفيها صلب عمارة اليمني الشاعر واصحابه
وسبب ذلك انه اجتمع جماعة من رؤساء الدولة
الفاطمية الذين كانوا بها حكاما فاتفقوا فيما بينهم
ان يردوا الدولة الفاطمية فكتبوا الى الفرنج ليستدعوهم
اليهم وعينوا خليفة من الفاطميين ووزيرا وذلك في
غيبة السلطان ببلاد الكرك ثم اتفق مجيئه وحرض
عمارة لشمس الدولة على المسير الى اليمن ليضعف
الجيش بذلك عن مقاومة الفرنج اذا قدموا لنصرة
الفاطميين فخرج توران شاه ولم يخرج معه عمارة
بل اقام بالقاهرة فضبطت في هذا الحديث ويداخل
المتكلمين فيه ويصافيهم وكاد ان امرهم ان يتم ويأبى الله

الآن بنيّر نوره فادخلوا في الشورى الواعظ زين الدين
بن نجا فاظهر لهم انه معهم ثم جاء الى صلاح الدين واخبره
بما قالوا عليه وطلب من السلطان ما لا يمكن كاملا من الحوامل
والعقار فبذل له وامره بمخالطتهم وتعرف شانهم فصار يعلمه
بكل متجدد فجاء رسول ملك الفرنج بالساحل الى صلاح الدين
بهدية ورسالة وهي للباطن اليهم واتى الخبر الى صلاح الدين
من بلاد الفرنج بحقيقة الحال وقيل ان عبد الصمد الكاتب كان
يلقى القاضي الفاضل بخضوع زائد فلقيه يوما فلم يلتفت اليه فقال
القاضي الفاضل ما هذا الا بسبب فاحضر ابن نجا الواعظ واخبره
الحال وطلب منه كشف الامر فاخبره بامرهم فبعثه الى
صلاح الدين فاوضح له الامر فاستدعاهم السلطان واحدا
واحدا وقررهم فاقروا بذلك فاعتقلهم ثم استفتى الفقهاء
في امرهم فافتوا بقتلهم فعند ذلك امر بقتل رؤسهم واعيانهم
واتباعهم وعلمائهم وامر بنفي من بقي من جيش العبيد الى
البلاد وافرد ذرية العاضد واهل بيته في دار فلا يصل
اليهم اصلاح ولا افساد واجرى عليهم ما يليق بهم من الارزاق
والثياب وقد كان عمارة معاديا للقاضي الفاضل فلما
حضر عمارة بين يدي السلطان قام القاضي الفاضل الى السلطان ليشفع
عنده فتوهم عمارة انه يتكلم فيه فقال يا مولانا السلطان

لا تسمع منه فغضب القاضي الفاضل وخرج من القصر فقال له السلطان
انما كان يشفع فيك فندم ندما عظيما ولما ذهب به
ليصلب طلب ان يمر به على مجلس القاضي الفاضل فاجتازوا
به عليه فاغلق بابه فقال عمارة عبد الرحيم قد احتجب ان
الخلاص هو العجب ثم صلب هو والجماعة بين القصرين
وكان الذين صلبوا منهم المفضل بن الكامل القاضي وهو
ابو القاسم هبة الله قاضي قضاة الديار المصرية زمن
الفاطميين وابن عبد القوي داعي الدعاة وقد كان يعلم
بدفاين القصر فعوقب ليدل عليها فامتنع فمات واندرست
والعويرس وكان قد تولى ديوان النظر ثم القضاء
بعد ذلك وشبريما كاتب السر وعبد الصمد احد امراء
المصريين ونجاح الحمامي ورجل منجم نصراني ارمني
كان قد قال لهم امرهم يتم بطريق علم النجوم وعمارة
اليمني وكان عمارة هذا ينسب الى الرفض ويتهم
بالزندقة والكفر ذكره عماد الكاتب في الجريدة انه
قال في قصيدته التي يقول في اولها شعر

العلم مذ كان محتاجا الى العلم	وشفرة السيف تستغني عن القلم
قد كان اول هذا الدين من رجل	سعى الى ان دعوه سيد الامم

قال العماد ويجوز ان يكون هذا البيت معمولا عليه فافتى فقهاء مصر

فقتله قال وللعمارة في مصلوب بمصر يقال له طرخان وكان
خرج على الصالح بن رزيك وظفر به الصالح فصلبه فقال
فيه عمارة حيث يقول شعر

أراد علو مرتبة وقدر … فأصبح فوق جذع وهو عالي
ومد على صليب الجذع منه … يمينا لا تطول على شمال
ونكس رأسه لعتاب قلب … دعاه إلى الغواية والضلال

قال العماد فكأنه وصف حاله ومآل أمره وحكى
القاضي تاج الدين بن بنت الأعز أن القاضي العوريس رأى
عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم كأنه أخرج رأسه
من السماء فقال له العوريس الصلب حق فقال له عيسى
ابن مريم نعم فعبرها العابر وقال لصاحب هذه الرؤيا
يصلب لأن عيسى معصوم ولا يمكن أن يكون ذلك
راجعا إليه لأن الله تعالى قص لنا أنه لم يصلب فينبغي أن
يكون راجعا إلى الرائي فكان الأمر كما قال
وكتب صلاح الدين إلى نور الدين يعلمه بما وقع منهم
وبهم من الخزي والنكال قال العماد ووصل الكتاب
يوم وفاة نور الدين وفيها وصل اصطول الفرنج من
صقلية فنازلوا الاسكندرية بغتة خائنا على مراسلة
الذين صلبوا وكان معهم ألف وخمسمائة فرس وعدتهم

ثلاثون ألف مقاتل ما بين فارس وراجل وكان معهم
ما يحمل شيئا وست سفن كبار وأربعون مركبا
فبدر اليهم اهل الثغر فحملوا على المسلمين حملة
أوصلتهم إلى السور ففقد من المسلمين فوق المائتين
فلما أصبحوا زحفوا على الاسكندرية ونصبوا ثلاث
دبابات بكباشها وهي كالأبراج وثلاثة مناجنيق ترمي
بحجارة سود استصحبوها من صقلية وزحفوا إلى أن
قاربوا السور فرأى الفرنج من شجاعة أهل الاسكندرية ما
راعهم وبعث بطاقة إلى الملك صلاح الدين فبادر
واستمر القتال يومين وفي اليوم الثالث فتح المسلمون
باب البلد وكبسوا الفرنج على غفلة وأحرقوا الدبابات
وصدقوا اللقاء ودام القتال إلى العصر ونزل نصر الله النصر
وقتل من الفرنج خلق ووصل مدد المسلمين إلى البلد لأجل
الصلاح فكبروا عند المغرب وهاجموا الفرنج
في خيامهم فتسلموها بما حوت وقتلوا من الرجالة
ما لا يحصى واقتحم المسلمون البحر فغرقوا المراكب وأحرقوا
وهربت باقي المراكب وصار العدو بين سليم وقتيل وغريق
واحتمى ثلثمائة فارس في تل فأخذوا وأسروا وغنم
المسلمون غنيمة عظيمة فلله الحمد والمنة وفيها كانت وفاة الملك العادل

نور الدين وكان رحمه الله قد ركب يوم عيد الفطر الى
الميدان الاخضر القبلي وصلى فيه صلوة العيد ومضى
الفوقاني الى الميدان الاخضر الشمالي ومد سماطا حافلا
وطهر ولده الملك الصالح اسماعيل في هذا اليوم
وزينت له البلد وضربت البشاير وكان ذلك يوم
الاحد ثم ركب يوم الاثنين واركب على العادة
وكان معه همام الدين مودود فقال لنور الدين
هل نكون هاهنا في مثل هذا اليوم في العام القابل
فقال نور الدين قل هل نكون بعد شهر فان السنة
بعيدة فجرى على منطقهما ما جرى به القضاء السابق
فان نور الدين لم يصل الى الشهر وهمام الدين لم
يصل الى العام ثم شرع نور الدين في اللعب بالاكرة
مع خواصه فاعترضه بعض الامراء وقال له باش فغضب
لذلك ولم يكن ذلك من سجيته وساق ودخل
الى القلعة فحصل له سوء مزاج واشتغل بنفسه واوجاعه
وتنكدت عليه جميع حواسه وطباعه واحتبس
اسبوعا عن الناس والناس في شغل عنه بما هم فيه
من اللعب والانشراح في الزينة التي تصير لاجل
طهور ولده فانعكست تلك الافراح بالاتراح ونسخ الجد

ذلك المزاح وحصل للملك العادل خوانيق في حلقه
منعته من النطق وكان قد اشير عليه بالفصد فلم
يقبل وبالمبادرة الى المعالجة فلم يفعل وكان امر
الله قدرا مقدورا فلما كان يوم الاربعاء الحادي
عشر من شوال من هذه السنة قبض الى رحمة الله تعالى
وقت طلوع الشمس عن ثمان وخمسين سنة مكث منها
في الملك ثمان وعشرون سنة وصلي عليه بجامع القلعة
ودفن بالقلعة ثم نقل الى تربته بجاور مدرسته
التي بناها لاصحاب ابي حنيفة جوار الخواصين
وكانت دار سليمان بن عبد الملك رحمه الله تعالى
وقبره بها يزار ويخلق شباكه ويطيب ويتبرك به
كل مار ويقول قبر نور الدين الشهيد لانه
قتل مظلوما **وفيها** بويع بعد موت نور الدين
لولده الملك الصالح اسماعيل وكان صغيرا لم
يبلغ الحلم وحمل اتابكه الامير شمس الدين ابن
المقدم وحلف له الامراء والمقدمون بدمشق واطاعه
الناس في ساير بلاد الشام واطاعه صلاح الدين
وخطب له بها وضرب له السكة باسمه فيها ثم بعد ذلك
اختلف الامراء وحارت الاراء وظهرت الشرور وكثر الجور

وقد كانت لا توجد في زمانه ولا تجسر احد ان يتعاطى
شيئا منها ولا من الفواحش وانتشرت الفواحش وظهرت
حتى ان ابن اخي نور الدين غازي بن مودود صاحب
الموصل لما تحقق موت عمه وكان محصورا منه
نادى مناديه في البلد بالمسامحة في اللعب واللهو
والشراب المسكر والطرب ومع المنادي دن وقدح
ومزمار الشيطان فانا لله وانا اليه راجعون وقد
كان ابن اخيه هذا وغيره من الامراء والملوك الذين
له حكم عليهم لا يستطيع ان يفعل احد منهم شيئا
من المناكر والفواحش فلما مات مرج امرهم وعاثوا
في الارض فسادا وطمحت الاعداء من كل
جانب في المسلمين وعزم الفرنج على قصد دمشق
وانتزاعها من ايدي المسلمين فبرز اليهم ابن
المقدم الاتابك فوافقهم عند بانياس فضعف
عن مقاومتهم فهادنهم مدة ودفع اليهم اموالا جزيلة
عجلها لهم ولولا انه خوفهم بقدوم الملك
الناصر صلاح الدين لما هادنوه ولما بلغ ذلك صلاح الدين
كتب الى الامراء خاصة ابن المقدم يلومهم على
ما صنعوا من المهادنة ودفع الاموال الى الفرنج وهم

اقل واذل واخبرهم انه عزم على قصد البلاد
الشامية ليحفظها من الفرنج فردوا اليه كتابا
فيه غلظة وكلاما فيه بشاعة وكتبوا الى سيف الدين
غازي صاحب الموصل ليملكوه عليهم ليدفع عنهم
كيد صلاح الدين فلم يجبهم لانه خاف
ان تكون مكيدة منهم ثم توجه الملك الصالح الى
حلب واقام بها الى ان توفي في سنة سبع
وسبعين وكان صالحا كما سمي لما اشتد به المرض
وضعف وصف له الاطباء قليل خمر فقال
لا افعل حتى اسأل الفقهاء فافتاه بعضهم بالجواز
فلم يفعل وقال ان كان الله قد قرب
اجلي ايؤخره شرب الخمر قيل له لا قال
فوالله لا لقيت الله وقد فعلت ما حرم علي
فمات ولم يشربه رحمه الله تعالى ورحم اباه
وجده وعوضهم الجنة بمنه وكرمه والحمد لله رب العالمين
وهذا آخر ما يسر الله من سيرة الملك العادل
نور الدين على يد مؤلفه سيدنا ومولانا
الشيخ الامام اقضى القضاة بدر الدين ابي الفضل
محمد بن الشيخ الامام قاضي القضاة شيخ الاسلام

بركة الأنام تقي الدين أبي الصدق أبي بكر
قاضي شهبة الأسدي الشافعي أسبغ الله
ظلالهما وختم بالصالحات أعمالهما بمنه وكرمه
وكتبه الفقير إلى الله تعالى أحمد بن محمد الأسدي
في عام تسع وخمسين وثمانمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل
نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين
وقد كتب هذا الكتاب أيضا بمشورة فخر الأقران
وزبدة الأعيان وحيد الدهر فريد العصر
ناصح الإخوان محب الفقراء والعلماء والمساكين
صحيح العقيدة التامة الحنفية على نهج الشريعة
المحمدية سالك طريق الرشاد الناهي عن فعل
المنكر والفساد صاحب البلاغة الفائقة اللائقة سليم
القلب صاحب المجالس بالمعارف واستصحاب أهل
الفنون من جميع أهل الكمالات وأهل السعادات
العبد الصالح المطيع لربه الخائف الوجل من لقاء
ربه كريم الذات ولطيف الصفات المؤدب من لسانه
العفو عن الخدام من جرايم زلته ومعلمه أعني به
الخادم بدار السلطنة العثمانية قرضه الحقير ذكره إلى زمان

سلطاننا هذا معمر العراقين خادم الحرمين الشريفين
سلطان مراد خان بن سلطان سليم خان بن سلطان
سليمان زمان نصره الله بحرمة القرآن ورحم الله أبيه
وساير آبائه وأجداده من نسل آل عثمان إلى اثني
عشر بطنا بالتمام وقد عرفت لصاحب هذا الكتاب
أنه قد خدم بدار السلطنة بقية عمره من زمان المرحوم
سلطان سليمان إلى يومنا هذا فخر الأكابر
والأعاظم أعني به شريف الاسم ولطيف المعاني
محمد أفندي دفتردار تيمار حالا بمحمية دار السلام بغداد
حميت عن الأضداد اللهم احفظه وسلمه وانصره
على جميع أعدائه واجعل عاقبته بخير وسعادة وبلغه
جميع مقاصده على ما يقصد ويختار واجعل آخر
كلامه تلقين الشهادة ويحشر مع الإيمان بحرمة
النبي وآله وصحبه من بني عدنان وقد كتب
هذا الكتاب أفقر الورى وأضعف العباد قليل العمل
وكثير الأمل المستغرق بذنوبه الذي لا يعرف
لوهم من اسمه [illegible] البغدادي
بلدا والحنفي مذهبا والصوفي مشربا وقد وقع الفراغ والتحرير من تأليف [illegible]
في أواخر شهر رجب المرجب ليلة هلال شهر شعبان المعظم من شهور سنة [illegible]
رزقنا الله خيرها وكفانا الله شرها
آمين يا رب العالمين